مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحققه هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء الرابع

ممالك اليمن والحبشة والسودان وإفريقيا والمغرب والأندلس وقبائل العرب



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : **MASĀLIK AL-ᵓABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ᵓAMṢĀR**

Classification: Lexicons

Author : Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ᶜUmari

Editor : Kāmil Salmān al-Jubūri and: Mahdi al-Najm

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 10240 (15 Volumes)

Size : 17*24

Year : 2010

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**

التصنيف : موسوعات

المؤلف : شهاب الدين ابن فضل الله العمري

المحقق : كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم

الناشر : دار الكتب العلميـــة – بيروت

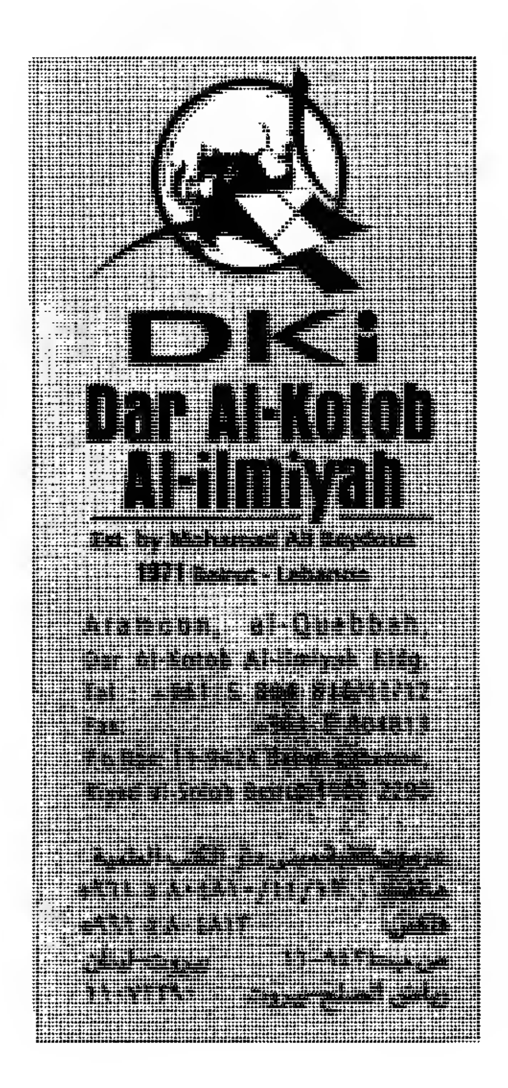
عدد الصفحات : 10240 (27 جزءاً في 15 مجلداً)

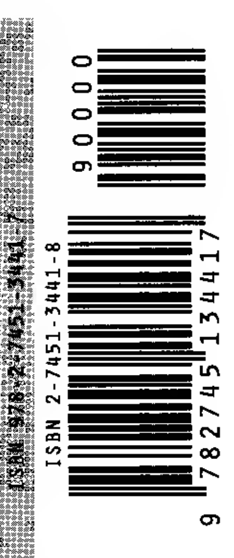
قياس الصفحات: 17*24

سنة الطباعة : 2010

بلد الطباعة : لبنـــان

الطبعة : الأولى





ISBN 978-2-7451-3441-7

ISBN 2-7451-3441-8

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فهذا هو السفر الرابع من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي، المتوفى بها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

وهو مختص بممالك اليمن والحبشة والسودان وإفريقيا والمغرب والأندلس وقبائل العرب.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا السفر على مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبوسراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧/ ٢ ص ٤٦٢ـ ٥٧٠، وهي تتمة الجزء الثاني وتمام الجزء الثالث برقم ٢٧٩٧/ ٣ (ص ١ ـ ٥٧) وهو خاص بالباب الخامس عشر فقط.

وقد كتبت في الأصل برسم خزانة السلطان المملوكي، والملك المؤيد شيخ ابن عبد الله المحمودي (ت٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) ووقّفها الملك المؤيد على طلبة العلم بجامعه (المؤيدي) في القاهرة.

والتي قام بنشرها مصورة العلامة الدكتور فؤاد سزكين ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ـ فرانكفورت ـ ألمانيا الإتحادية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

وقد نشر هذا السفر على هيئة أقسام متفرقة وبفترات متفاوتة، ومن قبل ناشرين ومحققين عدّة:

١ـ نشرة الاستاذ أيمن فؤاد سيد للقسم الخاص بمملكة اليمن، وتضم الأبواب

٧ـ ١١ من المسالك، طبعة دار الاعتصام ـ القاهرة ١٩٧٤ ـ ثم أعيد طبعها ضمن (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) للمحقق نفسه من قبل المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥.

٢ـ نشرة العلامة حسن حسني عبد الوهاب للقسم الخاص بإفريقية والمغرب والأندلس، وتضم الأبواب ١٢ـ ١٤ من المسالك، وقد نشرت بعنوان (وصف إفريقيا والمغرب والأندلس) أواسط القرن الثامن للهجرة، في مجلة البدر التي يصدرها مؤسسو الجامعة الزيتونية بتونس مج ٢/ع٦ـ ٨/ ص ١ـ ٥٠ ثم طبعت مستقلة تحت العنوان نفسه.

وقد تفضل مشكوراً الاستاذ الحاج الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي ببيروت بتزويدي بمصورة منها.

٣ـ نشرة السيدة دورتيا كرافولسكي للقسم الخاص بقبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، وتضم الباب الخامس عشر من المسالك، طبعة المركز الإسلامي للبحوث ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

وتمتاز هذه بنشرة باعتمادها على نسخة آيا صوفيا المرقمة ٣٤١٧ ونسخة بودليانا ـ أكسفورد برقم ٢٨٨ مع سعة معرفة المحققة بالتاريخ والتراث الإسلاميين.

وقد تفضل مشكوراً أستاذي العلامة الدكتور محمد رضوان السيد عميد معهد الدراسات الإسلامية العليا ببيروت بتزويدي بنسخة منها.

وقد أفدت من هذه النشرات في تقويم النص، وتصحيح بعض الكلمات وضبطها، والإفادة من بعض الهوامش بما يتعلق في كل قسم من أقسامها بعد مراجعة مصادرها التي اعتمد عليها المحققون.

هذا ما استطعت تقديمه، وحسبي أني كنت مخلصاً فيه، والله من وراء القصد.

وهو حسبي ونعم الوكيل.

جمهورية العراق ـ الكوفة.

كامل سلمان الجبوري

الباب السابع في مملكة اليمن
وفيه فصلان الفصل الاول فيما بيد اولاد رسول

٢

الصفحة الأولى من مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبوسراي، استنبول رقم ٢٧٩٧/ ٢ (ص ٤٦٢ـ ٥٧٠) و(٢٧٩٧/ ٣ (ص ١ـ ٧٥)

الفصل الثاني فيما بيد الاشراف واليمن اقليم متسع وله
ذكر قديم ذكر البكري ان عرضه ستة عشر مرحلة وطوله
عشرون مرحلة المرحلة ست فراسخ وهو كرسي ملك التبابعة
من حمير وبه كانت سبا وفيه كانت بلقيس عرشها المذكور في
القران الكريم وحدوده من قبلة الموضع المعروف بطلحة الملك
ومن الشرق حاوجلم ومن الغرب حضرموت ومن الشمال لحضرموت
عدن وهو يشتمل على عدة بلاد وقلاع وحصون حصينة وكن مدنه.
ينفصل البرما بين بعضها عن بعض وبلادها مختلفة نجود وتهايم فالنجود
باردة الهوا طيبة المسكن والتهايم حارة شديدة الحر وقاعدة
الملك بها تعز وزبيد وتعز من النجود مبنية على جبل شاهق وزبيد
من التهايم مبنية في وطاة واليمن مفرق الملك بعضه بيد الشرفا
المطيعين لامام الزيدية لا يطيعون الا ائمتهم القايمين منهم اماما
بعد اماما مروقا عنه مملكة صنعا وبعضه بيد اكراد عصاه على ملوك
اليمن وبعضه بايدي عرب لا تطيع وهذا الكلام عليها جملا فلنتكلم
عليها تفصيلا الفصل الاول في ما بيد اولاد رسول
فاما معظم اليمن مع تعز وزبيد وصاحبهما هو المشار اليه اذا قيل
صاحب اليمن واخبرني بجملة ما اذكر من احوالها ابو جعفر احمد بن محمد
المقدسي يعرف بابن غانم وكان من كتاب الانشا بمصر وبدمشق
ثم دخل اليمن وخدم بها صاحبها اذ ذاك الملك المويد داوود
ابن عمر رحمه الله في كتابة الانشا واختص به وابو محمد عبد الباقي
ابن عبد المجيد اليمني الكاتب وجملة ما اذكره عنهما ولا يبرح الا بقول
كل واحد منهما على التخصيص وهو ان صاحب اليمن يصيف بتعز ويشتي
بزبيد وتعز بلد كثير الما بارد الهوا كثير الفاكهة من العنب

الصفحة الثانية من مخطوطة أحمد الثالث

والماشية وأهلها موصوفون بالجمال ورقة البشرة واللطافة ويليها
بلدة استقيرة ثم ارحصونة لتزلوشة وبين المرية وغرناطة مدينة وادي
اش وهي بلدة حسنة بديعة منيعة جداً كثيرة المياه والفواكه والمزارع
قريبة من شلير فلذلك هي شديدة البرد بسبب الثلوج وهي بلدة محكمة
وأهلها موصوفون بالشر ويكثر بها الرؤساء وهم من قرابة السلطان وقد
من يستقل بها السلطان أو من خلع من سلطان لنفسه والمياه تشق
أمام أبوابها غرناطة طنوبليها سترة بسطة وهي كثيرة الزرع واختصت
بالزعفران وبها منه ما يكفي منه ما يكفي أهل الملة الإسلامية بالأندلس
على كثرة ما يستهلونه وبعض المملكة من البلاد برجة وبيرة ووادي رش
وهي مدينة ظريفة كثيرة الخصب وتختص بالفخار لجودة تربتها فلا يوجد
في الدنيا مثل فخارها المطلي وحصونها كثيرة جداً فليس بها من بلدة
الا وحوله حصون كثيرة محفوظة بولاة من السلطان ورجال تحت
أيديهم وبعضها فرسان مرتبون من جند السلطان معظمهم من غرناطة
ترعاهم ويسيرة وبها الثغور البرية . وأما الثغور البحرية كالمرية
فليس لها حاجة بالخيل إلا قليلاً لأن حاجتها إلى الجراريق لأن كل بلاد
البر تغير . وتغزى من البر وبلاد البحر بالمراكب وأخبار الأندلس كثيرة
مما سبق عليه الكتاب وسلف حديثه في سالف من الأبواب مما
فيه كفاية . وإليه انتهت الغاية

آخر الجزء الثاني من كتاب مسالك الأبصار في
ممالك الأمصار . يتلوه إن شاء الله تعالى في
الجزء الثالث الباب الخامس عشر في ذكر العرب
الموجودين في زماننا وأماكنهم
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الصفحة ١١٠ من مخطوطة أحمد الثالث وتمثل نهاية الجزء الثاني من كتاب المسالك



الصفحة ١١١ من مخطوطة أحمد الثالث وتمثل عنوان الجزء الثالث من المسالك

الباب الخامس عشر في ذكر العرب
الموجود في زماننا وأماكنهم ومضارب أحيائهم ومساكنهم على
افتراق فرقهم واختلاف طوائفهم وأشتات قبائلهم ومنازلهم
من أطراف العراق إلى آخر المغرب دون من في اليمن وخراسان
فإنا لم نتحرر لنا شأن أمرهم وإنما ذكرت من عرفت منهم
إذ لم يكن بد من ذكرهم وتمييز حول الحاضرة وذوي
توغل في البادية ومنهم ساروا المدن وخفظة الطرق ولم
يزل منهم أئمة للطلائع وجناحا للجيش ومنهم مما لكنا
بمصر والشام خفظة الدروب والقومة بخيل البريد
والحلة للنساء في غالب المملكة ولم تزل الملوك تعشى
لوفادتهم وتهب لهم جزيل الأموال وتقطعهم جل البلاد عدنا
إلى الشوبة بأقدارهم والتعويل على أخبارهم ورفعهم في المجالس
وقد ذكرنا منهم على ما هم عليه الآن من النسب مما حصل من
التداخل في الأنساب والتباين في الأسباب والتنقل في
الديار والتبدل بالأوطان واعتمدت في أكثر من ذلك على
ما ذكره الأمير الثقة بدر الدين أبو المحاسن يوسف ابن أبي المعالي
بن زماح المعروف بابن سيف الدولة المهراني المهمندار وما
حدثني به الشيخ الدليل النسابة محمود بن غنام من أصحاب
قناة بن حادث وهو من ذوي الثقة والعلم لقبائل العرب وأنسابها
وبلادها وتفرق فرقها ابن ربيعة الذي نسب إليه آل ربيعة
قاطبة الراكب نقلته عن أحمد بن عبد الله الواصلي وغيره
من مشيخة العرب وقد كان كل من الأمير فضل ابن عيسى ومهنا

الصفحة ١١٢ من مخطوطة أحمد الثالث وتمثل الصفحة الأولى من الجزء الثالث من المسالك

وعليهم عشر وهم بأرض تلمسان على وادي شلف قال وكلهم من
بني عبد الواد وهم من زناتة وعليهم ما وراءه من تلمسان إلى فاس
وأما مشنون فخالية من العرب وعليهم من فاس إلى مراكش رياح
أيضا ثم الصابرة من مراكش إلى البحر المحيط فهذا ما ذكره الشريف
أبو عمرو عبد العزيز الادريسي وحدثني بذلك كله في صفر سنة
تسع وأربعين وسبعمائة **وأما عرب الطرق** المسلوكة التي
توجد فيها الحاج إلى مكة المعظمة فقد ذكرنا فيما تقدم آنفا
أربعة طرق ولا نقصد مكة غالبا إلا منها وهي أربع جهات
مصر ودمشق وبغداد وتعز وقد ذكرنا آنفا من العربان الذين
بهذه الطرق من ملاكها ومن تحكم عليهم إذا حل بأرضهم كآل
فضل وآل مرى وبني عقبة ممن لم يكن مر من ذكره فيما تقدم ونحن
الآن نسوقهم طريقا طريقا وفريقا فريقا فيكون أوضح لذكر
هذه الطرق وعرفانها من المهم المقدم فأما طريق الركب المصري
من القاهرة إلى عقبة أيلة لعايد ومن العقبة إلى الداما ما دون
العقبة لبني عقبة ومن الداما إلى اكرى وهم من الضيقة لبلي
ومن اكري إلى نما وهي آخر الوعرات لجهينة ومن نما إلى نهاية
بدر على الفرعاء وإلى نهاية الصفراء على نقب على لبني حسن أصحاب
الينبع وعليهم من أقاديهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج
في طرف قاع البزوه ومن الصفراء إلى الجحفة لزبيد الحجاز
ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المشرفة على عسفان
للشريف حسان من بني حسن ومن الثنية المشرفة على عسفان إلى
الفج وهو المسمى بالحاطب لبني جابر وهم في طاعة صاحب مكة
المعظمة وبني حسن وأما طريق الركب الشامي

الصفحة الأخيرة من مخطوطة أحمد الثالث

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحقق هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء الرابع

ممالك اليمن والحبشة والسودان وإفريقيا والمغرب والأندلس وقبائل العرب

/٢/ الباب السابع: في مملكة اليمن

وفيه فصلان:

الفَصْلُ الأوَّل: فيما بيد أولاد رَسُول.

/٣/ الفَصْلُ الثاني: فيما بيد الأشْرَاف.

[في مملكة اليمن]

واليَّمَنُ إقليمٌ متَّسع، وله ذكرٌ قديم. ذكر البَكْري أن عَرْضَه ستَّ عشرةَ مرحلة، وطولَه عشرون مرحلة[١]، المرحلة ستة فَرَاسِخ. وهو كرسي مُلْك التَّبَابِعَة من حِمْير، وبه كانت سبأ، وفيه كانت بَلْقيس وعرْشُها المذكور في القرآن الكريم[٢]. وحدودُه من القِبْلَة: الموضع المعروف بطَلْحة الملك[٣]، ومن الغرب: حَا، وَحَكَم. ومن الشرق: حَضْرَمَوت، ومن الجنوب عَدَن.

وهو يشتمل على عدَّة بِلاَدٍ وقِلاَعٍ وحُصُونٍ حصينة. ولكن مُدُنَه يفصل البرُّ مابين بعضها عن بعض[٤].

وبلادُها مختلفة: نُجُودٌ وتَهَائِم. فالنجودُ باردة الهواء طَيِّبة المَسْكَن[٥]. والتَهَائِم حارة شديدة الحرّ[٦].

---

(١) صبح الأعشى ٥/ ٦.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [سورة النمل: الآية ٢٣].

(٣) طَلْحَةَ المَلِك: اسم واد باليمن هو الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن. «صفة جزيرة العرب للهمداني ٤٢١».

(٤) صبح الأعشىٰ ٥/ ٨.

(٥) النجود: ما ارتفع من الأرض.
وفي الصبح ٥/ ٣٧، قال في «مسالك الأبصار»: وهي شديدة الحر.

(٦) التهائم. ما انخفض من الأرض.
وفي صبح ٥/ ٨، قال في مسالك الأبصار»: وهي باردة الهواء طيبة المسكن.
وواضحٌ أن القلقشندي خَلَط في النقل عن العمري بين صفة النجود وصفة التهائم.

وقاعدة الملك بها: «تَعِز»[١] و«زَبِيد»[٢] وتَعِز من النجود مبينة على جَبَلٍ شاهق، وزَبِيد من التهائم مبنية في وطاءة.

واليمنُ مفرَّق المُلْك، بعضه بيد الشُّرَفاء المطيعين لإمام الزَّيْدِيَّة لايطيعون إلاَّ لأئمتهم القائمين منهم إمامٌ بعد إمام. وقَاعِدَة مملكته «صَنْعَاء»[٣] وبعضهُ بيد أكراد عُصَاة على ملوك اليمن. وبعضُه بأيدي عرب لاتطيع. وهذا الكلام عليها جُملياً فلنتكلم عنها تفصيلاً.

* * *

الفصل الأول: فيما بيَدِ أوْلاَدِ رَسُول

فأما[٤] معظم اليمن فمَعَ تَعِزّ وزَبِيد، وصاحبُهما هو المشار إليه إذا قيل: صَاحِبُ اليمن. وأخبرني بجُمْلة ما أَذْكر من أحوالها: أبو جعفر أحمد بن محمد المَقْدِسِي عُرِف بابن غَانِم[٥]، وكان من كتَّاب الإنْشَاء بمصر ودمشق، ثم دَخَل اليمن وخَدَم بها صاحبها

---

(١) تَعِزّ: بلدة مشهورة باليمن في الجهة الجنوبية الغربية من صنعاء على مسافة ثمانية أيام منها، وهي مقابلة للجَنَد من جهة الغرب على بضع ساعات، وواقعة في سفح جبل صَبَر. «فؤاد سيد: طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ٣٠٩».
وزارها ابن بطوطة في عهد الملك المجاهد الرسولى وقال عنها: «حضرة مُلْك اليمن، من أحسن مدنها وأعظمها، وأهلها ذوو تجبُّر وتكبُّر وفَظَاظَة».
(رحلة ابن بطوطة ١/ ١٩٢، صبح الأعشىٰ ٥/٨ـ ٩).

(٢) زَبِيد. كأمير وادٍ مشهور من أودية اليمن يصُبّ في البحر الأحمر. وإليه تنسب المدينة التي أسَّسَها محمد بن زياد، مؤسس الدولة الزيادية سنة ٢٠٤هـ. (فؤاد سيد: المصدر السابق ٣١٧ القلقشندي: الصبح٥/ ٩ـ ١٠، طاهر مظفر العميد: «بناء مدينة زبيد في اليمن»، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٣ (١٩٧٠) ٣٤٠ـ ٣٦٠.

(٣) عن صنعاء انظر فيما يلي ص ١٠.

(٤) لمعلومات أكثر عن تاريخ الدولة الرسولية في اليمن راجع، محمد بن حاتم اليامي: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن (تحقيق. ج. ركس سميث GMS بيروت ١٩٧٤) ٢٠١ـ ٥٦٨، الخزرجى: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (نشره محمد بسيوني عسل GMS القاهرة، مطبعة الهلال ١٩١١)، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/ ٣٣٩ـ ٣٧٠، ابن الديبع: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون (تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٧٦)، المقريزي: السلوك ١: ٣٦٨هـ، محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠)، وأيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ٣٥٩ـ ٣٦١ و٤٨٥ـ ٤٨٦.

(٥) شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سَلْمَان بن حَمَائل بن علي بن معَلّى بن طريف بن =

إذ ذاك الملك المُؤيَّد داود بن عمر[١](رحمه الله)، في كِتَابَة الإنشاء واختصّ به. وأبو محمد عبد البَّاقي بن عبد المجيد اليمنى الكاتب[٢]، وجملة ماأذْكره عنهما .

ولأُمَيِّزَ الآن قول كل واحدٍ منهما على التخصيص وهو:

أن صاحبَ اليمن يُصَيِّف بتَعِز، ويُشتِّي بزَبِيد. و«تَعِزُ» بلدٌ كثير الماء باردُ الهواء، كثيرُ الفاكهة من العنب / ٤/ والرُّمَّان والسَّفَرْجَل والتُفَّاح والخَوْخ والتُّوت والمَوْز والبِطِّيخ الأخضر والأصفر، ويوجد به كثيرٌ من أنواع الفاكهة وإنْ كان قليل المقدار. فأما المَوْز واللَّيْمون والأُتْرُجُّ ومايناسبه فكثير إلى غاية[٣]. ويوجد بها كثيرٌ من الريَّاحين والزُّهور خلا البَنَفْسِج والنينوفر. وربَّما احتاج ساكنُها إلى لبس الفَّراء في بعض أحيانها.

وأما «زَبِيدُ» فإنها شديدةُ الحرّ لايبْرُد ماؤها ولاهواؤها، وهي أوْسَعُ رُقْعة وأكثر بناءً، ولها نهرٌ جار بظاهرها. وأما مَسَاكِن المُلْك فيهما فنهاية في العَظَمة وفَرْش الرخام والسقوف المدهونة[٤].

وأخِصَّاء الملك بها الخِصْيَان، هم خاصَّته المقرَّبون، وهو متوَفِّرٌ في غالب وقته على

= دُحَيَّة بن جعفر بن أبي طالب، الشهير بابن غَانِم الجَعْفَري. ولد بمكة سنة ٦٥١هـ وقيل في سنة ٦٥٠هـ، وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان سنة ٧٣٧هـ. كان قد دخل اليمن وأحسن إليه الملك المؤيد داود وقرَّره في كتابة السر عنده.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ١٩ـ ٢٤، فوات الوفيات ١/ ١٢٧ـ ١٣٢، الدرر الكامنة ١/ ٢٨٢ـ ٢٨٥، المنهل الصافي ٢/ ١١٤، الدليل الشافي ١/ ٧٧ـ ٧٨، شذرات الذهب ٦/ ١١٤.

(١) الملك المؤيد هِزَبْر الدين داود بن عمر بن يوسف الرسولي، تولى ملك اليمن سنة ٦٩٦هـ وتوفي سنة ٧٢١هـ.

ترجمته في: المختصر في أخبار البشر ٤/ ٩٣، بهجة الزمن ١٠١ـ ١٣٢، فوات الوفيات ١/ ٤٢٨ـ ٤٢٩، طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٣٣، ذيول العبر ١٢٠، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩٩ـ ٤٤٢، السلوك ٢/ ٧ و٢٣٤، الدرر الكامنة ٢/ ١٩٠، النجوم الزاهرة ٨/ ١٠٩ و٢١٧ و٢٢٦ و٩/ ٢٥٣ـ ٢٥٤ والمنهل الصافي ٢/ ٨٦ظ، الدليل الشافي ١/ ٢٩٧، تاريخ ثغر عدن ٢/ ٧٣ـ٧٧.

(٢) أبو محمد، عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبي المعالي مثنى بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ بن يوسف اليمني المخزومي المكي: أحد أعلام كتاب اليمن في القرنين السابع والثامن للهجرة، وهو صاحب كتاب «بهجة الزمن في تاريخ اليمن» الذي ألفه للنويري، وحققه مصطفى حجازي، ونشره في القاهرة سنة ١٩٦٥، ونسخة الكتاب المخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٥٩٧٧.

ترجمته في: مسالك الأبصار ٨/ ١٤٨ـ ١٥٠، الوافي بالوفيات / ، فوات الوفيات ٢/ ٢٤٦، نهاية الأرب ١/ ١٢٤ـ ١٢٩، العقد الثمين ٥/ ٣٢١ـ ٣٢٤، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤، تاريخ ثغر عدن ٢/ ٢٥١ـ ٢٥٣، بهجة الزمن ١٤٦ـ ١٦٩.

(٣) صبح الأعشىٰ ٥/ ١٦. (٤) الصبح ٥/ ١٠.

لذَّاته والمُتْعة في قصوره بجواريه وقيانه. وله أرْبَابُ دولة ووظائف، ينحو في أموره مَنْحَى صاحب مصر. يتسمَّع أخباره ويحاول اقتفاء آثاره في أحواله، وأوضاع دولته، غير أنه لايصل إلى هذه الغاية، ولاتَخْفِقُ عليه تلك الرَّاية، لقصور مَدَدِ بلاده وقِلَّة عَدَد أجناده[١].

أخبرني أقضى القضاة أبو الربيع سليمان بن محمد ابن قاضي القضاة الصدر سليمان الحَنَفي، وكان قد توجَّه إلى اليمن وخَدَم في ديوان الجيش به: أنَّ مجموع جُنْد اليمن مايبلُغ ألْفَيّ فارس، وينضاف إليهم من العرب الداخلين في طاعته مثلهم. وأراني جَريدَتَه الموضوعة لذلك فوقَفْت على بعضها وضاق وقْتِي عن الاستيعاب، وهي تَشْهَدُ بما قال[٢].

وصاحُب هذه المملكة أبداً يرْغَبُ في الغرباء ويُحْسن تَلقِّيهم غاية الإحسان، ويستخدمهم فيما يناسب كلاً منهم، ويتفقدَّهم في كل وقت بما يأخُذُ به قلوبَهم ويوَطِّنُهم عنده[٣].

وغالبُ جنده من الغرباء[٤]، وإذا دَعَت حاجةُ أحدٍ من جنده وغلمانه وأهل خِدمته أجمعين إلى شيءٍ وإن قلَّ، كتب إليه قصَّة يسأله حاجته فيها، فيوقِّع عليها بخطِّه بإجابته إلى ما سأله / ٥/ أو إلى بعض ماسأله على مايراه[٥].

وهو قليلُ التصَدِّي لإقامة رسوم المَواكب والخِدمة والاجتماع بولاة الأمور ببابه، فإذا احتاج أحدٌ منهم إلى مراجعته في أمْرٍ، كتب إليه قِصَّة يستأمره فيها، فيكتب عليها بخطِّه مايَرَاه، وكذلك إذا رُفِعَت إليه قِصَصُ المَظَالِم هو الذي يكتب عليها بخَطِّه مما فيه إنصاف الشاكي[٦].

ورأيت علامة والد هذا السلطان القائم بها الآن على توقيع وهو على المُصْطَلح المصري مامثاله[٧]:

الشَّاكِرُ لله على نعمائه

داود

ولصاحِب هذه المملكة البساتين والمنتزَّهات الحسنة، يتعَهَّدها في الأحيان،

---

(١) الصبح ٥/ ٣٥.
(٢) الصبح ٥/ ٣٣.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٣٤.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٣٦.
(٥) الصبح ٥/ ٣٦.
(٦) الصبح ٥/ ٣٥.
(٧) الصبح ٥/ ٣٥.

ويقيم بها للتنَزُّه بها. وهذا الملك لاينزل في أسفاره إلاَّ في قُصُور مبْنِيَّة له في منازل معروفة من بلاده، فحيث نزل في منزلة وَجَد بها قصراً مبنياً ينزل به[١].

وباليمن الخَيْل العِرَاب الفائقة، والبِغَال نوعان: سُرُوجِية للركوب، وحَبَشِيَّة للأحمال، وبها الجمال والحمير وأنواع الدَّواب من البَقَر والغَنَم والطَيْر من الإوزّ والدجَاج والحَمَام وغير ذلك[٢].

وهي بلادٌ رخية كثيرةُ الحبوب، وأقلُّ حبوبها القمح والشعير، وأكثرها الأَرُزّ والذُّرَة والسِّمْسِم[٣]. وبها العَسَل الكثير وأنواع المُقْل، ووقودها السَّلِيط وهو السَّيْرج ولايوجد بها الزيت ولاالزيتون إلاَّ إن جُلِب من الشام.

واليمن جميعُه كثير الأمطار، ولاتَنْشأ به السُّحُب، ويمطُرُ المطرُ من وقت الزوال إلى أُخْريَات النهار، هذا وقت إمطارها في الغالب[٤] [وأكثر مطره في أُخْرَيات الربيع إلى وسط الصيف، وهو إلى الحرّ أمْيَلُ]. وبها الأنهارُ الجاريةُ، والمُرُوج الفِيحُ، والأشجار المتكاثِفة في بعض أماكنها. ولها ارْتِفَاعٌ صالحٌ من الأموال، وغالب أموالها من موجات التجَّار الواصلين من الهند ومصر والحَبَشة، مع ما لهَا من دَخْل البلاد[٥].

وأما الإمْرَة بها فقد تُطْلَق على مَنْ ليس بأمير. وأما الإمْرَة الحقيقية التي تُرْفع بها الأعلام [وتضرب لها] الكُوسَات[٦] فإنها لَمْن قَلَّ، وربَّما أنه لايتعدَّى عدَّةُ الأمراء بها عشرةَ نفر[٧].

وباليمن أربابُ وظائف /٦/ من النائب، والوزير، والحَاجِب، وكاتب السِّر، وكاتب الجيش، وديوان المال، وبها وظائف الشَّاد والولاية، على ماقدَّمنا ذكره من أنه يتشبَّه بالأحوال المصرية[٨].

وباليمن «عَدَن»[٩] وهي من أعظم المَرَاسي بها، وتكاد تكون ثالثةَ تَعِز وزَبِيدَ في

---

(١) الصبح ٥/ ٣٦.
(٢) الصبح ٥/ ١٦.
(٣) الصبح ٥/ ١٦.
(٤) الصبح ٥/ ٦ـ ٧.
(٥) الصبح ٥/ ٧.
(٦) الكوسات. صنوجات من نحاس، تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومعها طبول وشبابة. ويعرف الذي يضرب بهذه الصنوج النحاس بالكوسي. «الصبح ٥/ ٩ و١٣».
(٧) الصبح ٥/ ٣٤.
(٨) الصبح ٥/ ٣٤.
(٩) عَدَن، راجع عنها: معجم البلدان، الروض المعطار ٤٠٨، طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ٣٢١، رحلة ابن بطوطة ١/ ١٩٤ـ ١٩٥، صبح الأعشى ٥/ ١٠ـ ١٢.

الذكر ولها قلعة [حصينة مبنية،][١] السَّمَدان المشهورة بالمنعة العظيمة وبها قلعة. وهي خزانة مال ملوك هذا الإقليم.

وصاحبُ اليمن يُهادي صاحب مصر ويُداريه لمكان إمكان التسلُّط عليه من البحر والبرِّ الحجازيّ. وقد كان مَلِكُها الآن الملك المُجَاهد علي بن داود[٢]، بعد موت أبيه المؤَيَّد، نَجَم عليه من أهله من جَاذَبَه رداء الملك ونَازَعَه في سلطانه، وأعان الناجم عليه كثيرٌ من مماليك أبيه وعَسْكر اليمن وأهله، فأرْسَل إلى صاحب مصر السلطان الملك الناصر أبي المعالي محمد بن قَلاَوُون وصِيَّة كتبها الملك المؤيد، صاحب اليمن، قبل موته تتضمَّن أنه أوْصَى إلى السلطان الملك الناصر، صاحب مصر، على ولده المجاهد علي، وبَعَث يترامى عليه ويستمد الإعانة منه، فجهّز إليه عسكراً منعه من عدوه الناجم عليه ومكَّن له في اليمن وبَسَط يدَه فيه[٣]، ثم عاد العَسْكر المصري. وإن لم يكن هذا موضع هذا ولكنَّا ذكرناه تنبيهاً على تمكُّن صاحب مصر من اليمن إذا قَصَدَه.

ثم نعود إلى ماكنَّا بصَدَده فنقول: إن صاحبَ اليمن لايزالُ من الشريف الإمام الزَّيْدي، صاحبِ صَنْعَاء، على مباينة تارةٌ يكون بينهما عهدٌ، وتارةٌ يُنْبَذ العهد بينهما[٤]؛ لأن الإمام الزيدي له قوة في مكانه ومَنَعَة من أعوانه. ولو استقلَّ مجموعُ اليمن لَمِلكٍ

---

(١) ما بين المعقوفتين من الصبح ٥/ ١٠ـ ١١ نقلاً عن المسالك.

(٢) علي بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: المجاهد الرسولي، من ملوك الدولة الرسولية في اليمن. ولد في زبيد سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، وولي الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٧٢١هـ) فأقام سنة؛ وخلعه الأمراء والمماليك، وولوا المنصور، فمكث أشهراً. وثار بعضهم فأعادوا المجاهد.
وحج سنة ٧٥١هـ، فلما كان بمكة بلغ قادة الركب المصري أنه عازم على نزع سلطة مصر عن الحجاز وإلحاقه باليمن، فاجتمعوا وأحاطوا بمخيمه، وكلفوه السفر معهم إلى مصر، فلم يعارض. ورحلوا به، فأقام بمصر ١٤ شهراً. وعاد، فانتظم أمره إلى أن توفي (بعدن) سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م ونقل إلى تعز. كان عاقلا محمود السيرة، شاعراً عالماً بالأدب مقرباً للعلماء والأدباء، محسناً إليهم. وهو الذي بنى مدينة «ثعبات»، ومن آثاره مدرسة بمكة ملاصقة للحرم، ومدرسة في تعز، ومسجد في النويدرة على باب زبيد، وآخر بزبيد. وله كتب، منها «الأقوال الكافية في الفصول الشافية ـ خ» وكتاب في «الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها ـ خ» و«ديوان شعر».
ترجمته في: المختصر في أخبار البشر ٤/ ٩٣ـ ٩٦، بهجة الزمن ١٣٣ـ ١٤٥، البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٧ و٢٤٠، العقود اللؤلؤية ٢/ ١ـ ١٢٦، العقد الثمين ٦/ ١٥٨ـ ١٧٤، الذهب المسبوك ١١٤ـ ١١٨، السلوك ٢/ ٢٣٤ و٢٥٤ و٨٦٨، الدرر الكامنة ٢/ ١١٨، النجوم الزاهرة ٩/ ٧٨ و٨٤ـ ٨٧ و١٠/ ٢٢٦ـ ٢٣٠ و١١/ ٩١ المنهل الصافي ٨/ ٧٦ـ ٧٩ الدليل الشافي ١/ ٤٥٦، قرة العيون ٢/ ٦٧، تاريخ ثغر عدن ٢/ ١٣٩ـ ١٥١، الأعلام ٤/ ٢٨٦ـ ٢٨٧.

(٣) الصبح ٥/ ٣٧.

(٤) التعريف بالمصطلح الشريف ١٣، الصبح ٥/ ٣٧.

واحد كبُرَ محلُّه وعَظُم قدره في الممالك الجليلة.

ولا تزال ملوك اليمن تسْتَجْلب من مصر والشام طوائفَ من أرباب الصناعات لِقلَّة وجودهم باليمن.

وليس باليمن «أسْواقٌ» مرضيّة دائمة، إنما بها يومٌ من الجمعة[١] تُجْلَبُ فيه الأجلاب، ويُخْرج أربابُ الصناعات والبضائع بضائعهم على اختلافها، وتقامُ في ذلك اليوم الأسواق ويُبَاع ويُشتْرى، فمن أعْوَزه شيء في وسط الجمعة لايكاد يجده، إلاَّ المآكل، فإنها دائمة كغيرها من البلاد. والمعمولات من المآكل في أسواقها للبيع قليلة، بل مَنْ أراد شيئاً عمله لنفسه.

فأما «زِيُّ مَلِكِهم» وعامّة الجُنْد بها فأقْبِيَةٌ إسلامية، ضَيِّقَة الأكمام، مزَنَّدة على اليد، ومَنَاطِق، وعلى رؤوسهم تَخَافيف لانس، ودلاكش وهي أخفافٌ من القماش الحرير الأطْلَس والعَتَّابي وغير ذلك[٢].

وقد وَقَعَت وَحْشَةٌ بين هذا المُجَاهد وبين بعض أمرائه وهو: عليٌّ بن عمر بن يوسف الشِّهَابي، فجاء إلى مصر وأقام بها وهو بهذا الزِّيّ، خلا الدلكش، فإنه قَلَعَهُ ولَبَس الخُفَّ المعتاد، وهو يحضر الموكب السلطاني بمصر على هذا الزيِّ إلى الآن[٣].

وحدَّثني الحكيم الفاضل صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن البُرْهان[٤]، وكان الملك المؤيد صاحب سلطانها الآن قد طَلَبَه من مصر واستدعاه وأعْذَب ماءَه ومرعَاه واقام لديه حيناً من الدهر بين جنَّات ونهر متنقلاً معه في ممالكه متوقلاً على شرفات مالكه، قال: اليمن، أميل إلى الحرّ، وهو كثير المطر في أُخريات الربيع، إلى وسط الصيف، قال: ولقد أُقَمْتُ مدةً بـ«عَدَن» وهي مدينةٌ مجلوبٌ إليها كلُّ شيء حتى الماء، يحتاج المقيم بها إلى كلفة في النفقات لارتفاع الأسعار بها في المآكل والمشارب، ويحتاج المقيم بها إلى ماء يتبرَّدُ به في اليوم مرَّات إبَّان قوة الحرّ[٥].

---

(١) الصبح ٥/ ٣٦. (٢) الصبح ٥/ ٣٤.

(٣) الصبح ٥/ ٣٤.

(٤) صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن البرهان الجرائحي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ.

ترجمته في: مسالك الأبصار (مخ دار الكتب رقم ٢٥٦٨ تاريخ) ٥/ ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٣، السلوك ٢/ ٦٨٣، الدرر الكامنة.. ، حسن المحاضرة ١/ ٥٤٥، معجم الأطباء لأحمد عيسىٰ ٣٥٩ـ ٣٦٣.

(٥) الصبح ٥/ ١١ـ ١٢.

وإليها مَجْمَع الرِّفَاق، ومَوْضع سفر الآفاق يحيط بها من الصِّين والهِنْد والسِّنْد والعراق وعُمَان والبحرين ومصر والزَّنْج والحَبَشَة، ولايخلو أسبوع بها من عدَّة تجَّار وسُفُن وواردين وبضائع شتَّى ومتاجر، والمقيمُ بها في مكاسِبَ وافرة، وتجائرَ مُرْبِحَة، ولايبالى بما يغرمه بالنسبة إلى الفائدة، ولايفكِّر في سوء المقام لكثرة الأموال النامية[١].

/٨/ قال: ولحَطِّ المراكب عليها وإقلاعها مواسمُ مشهودة، وإذا أراد ناخُوذَةُ[٢] مركب فيها السفر إلى جهة أقام عَلَمَه برَنْكٍ[٣] خاصٍّ له، فعَلِم التجَّار وتسامع الناس وبقى كذلك أيَّاماً، ويقع الاهتمام بالرحيل ويُسْرع التجَّار في نقل أمتهتهم، وحولهم العبيد بالقماش السِرِيّ والأسلحة النافعة، وتُنْصَب على شاطىء البحر الأسواق، ويخرج أهل عَدَن للفرجة عليهم[٤].

قال الحكيم بن البرهان: وأما «ظَفَار»[٥] فهي لأولاد الملك الوَاثِق، ابن عم صاحب اليمن[٦]، وهم وإن أُطْلِق عليهم اسم الملك نوَّابٌ له[٧].

وظَفَار أَقْصَد إلى الهند من عدن، وهي على جَوْنٍ خارجٍ من البحر، تُنْقَل البضائع

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٢.

(٢) ناخذة: فارسي معرب بمعنى مُلاَّك سفن البحر أو وكلاؤهم.

(٣) الرنك: وهي الشارة أو الشعار أو العلامة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره. وهي تطلق عادة للدلالة على الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان المملوكي له.
راجع، أحمد عبد الرازق: «الرنوك على عصر سلاطين المماليك»، المجلة التاريخية المصرية ٢١ (١٩٧٤، ٦٧ـ ١١٦).

(٤) الصبح ٥/ ١١. وزار ابن بطوطة مدينة عدن في هذه الفترة ووصفها بقوله: «وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة، وتجَّار الهند ساكنون بها وتجّار مصر أيضاً. وأهل عدن ما بين تجّار وحمَّالين وصيَّادين للسمك. وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه، لا يشاركه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال، ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة». (رحلة ابن بطوطة: ١/ ١٩٥).

(٥) ظَفَار. آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي. وهي في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة بها .وسوقها خارج المدينة بَربَض يعرف بالحَرجْاء، قال ابن بطوطة: وهي من أقذر الأسواق وأشدها نَتْنا وأكثرها ذبابا، لكثرة ما يباع بها من الثمرات والسمك. أكثر سمكها النوع المعروف بالسردين، وهو بها في النهاية من السمن. «رحلة ابن بطوطة ١/ ١٩٥، والصبح ٥/ ١٢ـ ١٣».

(٦) ذكر ابن بطوطة في الرحلة ١/ ٢٠٨ أن سلطان ظفار في سلطنة المجاهد على هو الملك المغيث ابن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن.

(٧) الصبح ٥/ ١٢.

في زوارقَ صغار فيه تقطع ذلك الجون، ثم توسَق ذلك في السفاين[١].

قال الحكيم صلاح الدين محمد بن البرهان: واسم اليمن أكبر، لا تُعَدُّ في بلاد الخِصْب بلاده[٢]. وغالبُ دخله مما يؤخذ من التجّار والجلاَّبة براً وبحراً.

ومملكَةُ بنى رَسُول السواحل وماجَاوَرها، ولهذا كانت مملكتهم أكثر مالاً من مملكة الشرفاء بصنعاء وماوالاها[٣] على مايأتي ذكره في مكانه.

قال: وشِعَارُ هذا السلطان وَرْدَةٌ حمراء في أرض بيضاء. قلت: ورأيت أنا السَّنْجَق اليمنى، وقد رُفِع في جبل عَرَفات سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة، وهو أبيضٌ وفيه وردات حُمْر كثيرة[٤].

قال: وإنما تجتمع لهم الأموال لقلَّة الكُلَف في الخَرْج والمصاريف التي تذْهَب في سَعَة النفقات والتكاليف؛ ولأن الهندَ يُمدُّهم بمراكبه، ويواصلهم ببضائعه[٥].

وسألته عمَّا بها من الفواكه، فذكر غالباً مايوجَدُ بمصر، غير أنه بالَغ في وصف السَّفَرْجَل بها.

وقال: إن القمح يوجد ولكنه يغلو، واللحوم رخيصة[٦]. ويُعْمل بها السكر والصابون ولكنهما ليسا كما بمصر والشام.

قال: ولأهل اليمن سياداتٌ /٩/ بينهم محفوظة، وسعاداتٌ عندهم ملحوظة، ولأكابرها حَظٌ من رَفَاهِيَة العيش والتنَعُّم والتفنُّن في المأكل، يُطْبَخ في بيت الرجل منهم عدَّة ألوان، ويُعمل فيها بالسكر والقلوب، وتُطَيَّب أوانيها بالعِطْر والبَخُور، وتكون له الحاشيةُ والغاشيةُ، وفي بيته العَدَد الصالحُ من الإماء، وعلى بابه جملةٌ من العبيد والخَدَم والخِصْيَان من الهند والحُبُوش. ولهم الدِّيارات الجليلةُ، والمباني الأنيقة، إلاَّ الرخام ودهانَ الذهب واللاَّزَوَرْد فإن هذا من خواص السلطان لايشاركه فيها مشاركٌ من الرعايا ولامن الأعيان، وإنما فَرْشُ دورهم بالخَافِقِيّ ومايجري مجراه[٧].

[بستان الثَّعْبَات]

قال: ولسلطانهم بستانٌ يعرف بالثَّعْبَات يطلع إليه ويقيم فيه أيَّاماً للنُزْهَة به، فيه

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٢ـ ١٣.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٧.
(٣) الصبح ٥/ ٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٣٤.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٣٦.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ١٧.
(٧) الصبح ٥/ ٧.

قُبَّة ملوكية ومَقْعَد سلطاني فُرُشهما وأزْرهما رخامٌ ملوَّن. وبها عُمُد قليلة المِثْل، يجري فيها الماء من تبعات تملأ العينَ حُسْناً، والأذن طَرَباً بصفاء صفيرها وطيب خَريرها وترى شبابيكُهما على أشجارٍ قد نُقِلَت إليه من كل مكان تجمع بين فواكه الشام والهند. ولايقف ناظرٌ على بستانٍ أحسنَ منه جمعاً، ولاأجمع حسناً ولاأتم صورة ولامعنى[١]، يهزّ معاطف روحه الصبا كأنه في اليمن من بقايا سبا.

[كِتَابَةُ الإنْشَاء]

قال ابن البرهان: وأما كُتَّاب الإنشاء عنده، فإنه لايجمعهم رئيسٌ يرأس عليهم يقرأ مايرد على السلطان ويُجَاوب عنه، ويتلَقَّى المراسيم ويُنَفِّذها. وإنما السلطان إذا دَعَت حاجته إلى كتابة كُتُب، بعث إلى كل منهم مايكتبه. فإذا كتب الكاتب مارُسِمَ له به بعَثَه على يد أحد الخِصْيَان وقدَّمه إلى السلطان فعَلَّم عليه ونَفَّذه[٢].

قال ابن البرهان: وملوك اليمن أوقاتُهم مقصورةٌ على لذَّاتهم، والخلوة مع حَظَايَاهم وخاصَّتِهم من النُّدَماء والمُطْرِبين، ولايكاد السلطان يُرَى، بل / ١٠/ ولايسمع أحدٌ من أهل اليمن له على الحقيقة خبراً[٣]، مع شدَّة ضبطهم لبلادهم ومن فيها، واحترازهم على طرقها براً وبحراً من كل جهة، فلايخفى داخلٌ يدخل إليها ولاخارجٌ منها. وللتُّجَّار عندهم وضعٌ جليل؛ لأن غالب متحَصِّلات اليمن منهم وبسببهم، كما قدَّمنا ذكره[٤].

قلت: ولقد كان الملك المُظَفَّر[٥]، ثم ولده الملك المؤيَّد ـ رحمهما الله تعالى ـ

---

(١) الصبح ٥/ ٩.
(٢) صبح الأعشى ٥/ ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٣٥.
(٥) الملك المظفر: يوسف بن عمر (المنصور نور الدين) بن علي بن رسول التركماني اليمني، شمس الدين: ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن. وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. وولي بعد مقتل أبيه (سنة ٦٤٧هـ) بصنعاء. وأحسن صيانة الملك وسياسته. وقامت في أيامه فتن وحروب، فخرج منها ظافراً. وكانوا يشبهونه بمعاوية، في حزمه وتدبيره. وطالت مدته. واستمر إلى أن توفي بقلعة تعز سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. قال ابن الفرات: «كان جواداً عفيفاً عن أموال الرعايا، حسن السيرة فيهم» وهو أول من كسا الكعبة من داخلها وخارجها (سنة ٦٥٩) بعد انقطاع ورودها من بغداد (سنة ٦٥٥) بسبب دخول المغول بغداد. وبقيت كسوته الداخلية إلى سنة ٧٦١ ولا يزال على أحد الألواح الرخامية في داخل الكعبة إلى اليوم، النص الآتي: «أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم، العبد الفقير إلى رحمة ربه وأنعمه، يوسف بن عمر بن علي بن رسول. اللهم أيده بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار، بتاريخ سنة ثمانين وستمائة» وكانت له عناية بالاطلاع على كتب الطب والفنون، ومعرفة بالحديث، فصنف «المعتمد في الأدوية المفردة =

مقصودين من آفاق الأرض، قَلَّ أن يبقى مُجيدٌ في صَنْعَة من الصنائع إلاَّ ويصنع شيئاً على اسمه، ويُجيد فيه بحسب الطاقة، ثم يجَهِّزه إليه أو يقصده به ويقدِّمه إليه من يده، فيُقْبِل عليه ويَقْبَل منه، ويُحْسِن نُزُله، ويُسْنِي جائزته، ثم إن أقام في بابه، أقام مُكْرَماً محْتَرَماً، أو عادَ مُحبوّاً مَحْبوراً. ولهما وَلَعٌ بحب الغرباء وكرمٌ متَّسع في الحياء يُجْزِلون من نِعَمِهم العَطَايَا، ويُثْقلون بكرمهم المَطّايا. ولقد قصدهم كثيرٌ من الناس وحصل لهم البر والإيناس[١]، ثم يُنَوَّع لهم من الكرامة ماأسناهم أن ينفذوا بسلطان، وأسْلاَهم عن الأوطان، فَحَمدوا بالنجاح آمالاً، ووردوا أخفافاً وصدروا ثِقَالا.

وكان من عادتهما، (رحمهما الله)، أن لايسمحا بعَود غريب، ولايَصْفَحا عن هذا عن بعيد ولاقريب قَصْداً لعمارة اليمن بإنارة أفاقه بكل شيء حَسَن، إلاَّ مَنْ قدَّم لديهما القول بأنه أتاهما راحلاً لامقيماً وزائراً لامستديماً، فإنهما كان لايكلِّفانه مقاماً لديهما ولادواماً في النزول عليهما، بل يجزلان رفادته ويحملان إعادته[٢].

وأما مَنْ جاء إليهما بنيَّة مقيم وأقام لديهما على أنه لايريم، فإنهما يرفعان مجده ويوسِّعان رِفْدَه ويجريان عليه الأدوار وإليه السَّحاب المداد، ويخلِّيان له داراً ويخليان مملوءا له بصفوف الحذم حداداً[٣]، فإذا أراد الارتحال عن دارهما مكَّناه من العَوْدْ كما جاءهما وخرج عنهما على أسوء حالٍ، مسلوباً بما استفاد / ١١/ عندهما من نِعْمَة ومال، عِقاباً له على مفارقته لأبوابهما، لابُخْلاً بما جادت به بوادر سحابهما.

وحكى لي غير واحد ممن قَصَدَهما على أنه يقيم ثم فارقهما على هذا الحال

= ـ ط» و«المخترع في فنون الصنع ـ خ» و«العقد النفيس في مفاكهة الجليس ـ خ» في خزانة مجلس الشورى الوطني بطهران (كما في مجلة معهد المخطوطات ٣/ ٣١) و«البيان في كشف علم الطب للعيان ـ خ» مجلدان ضخمان، في خزانة عبيكان بالطائف. وجمع لنفسه «أربعين حديثاً» كما يقول ابن كثير. وفي أنباء الزمن: «قال الإمام المطهر ابن يحيى، حين بلغه خبر وفاته: مات التُّبَّع الأكبر، مات معاوية الزمان، مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا وسيوفنا!».

ترجمته في: السمط الغالي الثمن ٢٤١ـ ٥٦٧، المختصر في أخبار البشر ٤/ ٣٤، بهجة الزمن ٨٨ـ ١٠٠، العبر في خبر من غبر ٥/ ٣٨٤، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٤، العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠ و٨٥ و٨٨ـ ٢٨٤. العقد الثمين ١/ ٤٦٣ـ ٤٦٤ و٧: ٤٧٨ـ ٤٨٩، الذهب المسبوك ٨٤ـ ٨٥ والسلوك ١/ ٨١٠، النجوم الزاهرة ٨/ ٧١ و٧٣، والمنهل الصافي ٣/ ٤٦ظ ،الدليل الشافي ٣/ ٨٠٤، قرة العيون ٢/ ٢١، درر الفرائد المنظمة ٢٨٠ و٦٧٠ـ ٦٧٢، شذرات الذهب ٥/ ٤٢٧، الأعلام ٨/ ٢٤٣ـ ٢٤٤.

(١) الصبح ٥/ ٣٦.

(٢) الصبح ٥/ ٣٦ـ ٣٧.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ٣٦.

الذميم من حالاته بكل أعجوبة ماوجد[١]، ثم فارقه من نعمهما الموهوبة المسلوبة.

قلت: ولقد كانا يبعثان إلى مصر والشام والعراق من يتلَقَّط لهما مَحَاسِنَ الوجود وأَحَاسِنَ الموجود، فلايُبْقى طُرْفة من الطُّرَف إلاَّ اشتريت لهما، ولامن مجيد في شيء من الأشياء إلاَّ استميل إليهما، ورُغِّب في الكثير حتى يقصد حضرتهما ويقيم عندهما، وقلَّ من يعود عنهما.

ومن وجد الإحسان مقيداً تقيّدا

قلت: وصاحبُ اليمن لاعَدُوَّ له، لأنه محجوبٌ ببحرٍ زاخر وبَرٍّ منقطِع من كل جهة، والمسالمة بينه وبينهم، فهو لهذا قريرُ العَيْن، خالي البال، لايُهِمُّه إلاَّ صَيْد، ولايهَيِّجه إلاَّ بَلْبال[٢].

الفصل الثاني

فيما بيَدِ الأشْرَاف

قد تقدَّم القول على من قام باليمن من أهل هذا البيت الشريف[٣] وهم إلى الآن وأمرهم على ماكان. وأوّل قائم منهم الإمام يحيى «الهَادِي» ابن الحُسَيْن الزَّاهد ابن أبي محمد القاسم الرَّسِّي بن إبراهيم طَبَاطَبَا بن إسماعيل الدِّيباج بن إبراهيم الغَمْر بن الحسن المُثَنَّى بن السيد أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهم ورحمته وبركاته[٤]. قام بهذه الدَّعْوة في اليمن وأعْلَن مناديه بالإمامة ورَفَع بيته وشيَّد له الدعامة، واستجاب الخَلْق لندائه، وصَلَّوْا بصلاته وأمَّنوا على دُعَائه، وقامَ منهم مقاماً محموداً، وأثَّر فيهم من الصلاح أثراً مشهوداً.

وفي ذلك يقول[٥]: [من الطويل]

---

(١) الصبح ٥/ ٣٦.

(٢) صبح الأعشى ٥/ ٣٧.

(٣) عن تاريخ الدولة الزيدية راجع، محمد عبد الله ماضي: «دولة اليمن الزيدية، نشأتها ـ تطورها ـ علاقاتها»، المجلة التاريخية المصرية ٣/ ١٩٥٠ص ١٥ـ ٣٥، مصادر تاريخ اليمن ٣٦٥ و٤٨٦ وتاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ١٨٥ـ ٢١٩.

(٤) ترجمته في: جمهرة أنساب العرب ٤٤، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة (مخ. برلين ٩٦٦٥) ورقة ٢٩ وـ ٣٤ظ، يحيى بن الحسين: أبناء الزمن في أخبار اليمن (تحقيق محمد عبد الله ماضي، ليبتسج ١٩٣٦) ٧ـ ١٥٣، صبح الأعشى ٥/ ٤٧ و٧/ ٣٣٢ـ ٣٣٣، أئمة اليمن (تعز ١٩٥٢) ١/ ٥ـ ٥٢، مصادر تاريخ اليمن ٤٠٤، ولعلي بن محمد العلوي كتاب «سيرة الهادي إلى الحق» نشره سهيل زكّار (بيروت ـ دار الفكر ١٩٧٢).

(٥) الصبح ٥/ ٤٧.

بَني حَسَنٍ إنِّي نَهَضْتُ بثأرِكُم وثَأْرِ كتابِ اللهِ والحَقِّ والسُّنَنْ
وصَيَّرتُ نفسي للحوادثِ عُرْضَةً وغِبْتُ عنِ الإخوانِ والأهْلِ والوَطَنْ

/ ١٢/ وأكثر ماأطاعت له في اليمن النجود وانقادت إلى حكمه ودانت له ولإمامته واجتهدت على استمرار أمْرِه واستدامته.

وقام بعد الهَادِي ولَدُه «المُرْتَضى»[١] وتمَّت له البَيْعَة، ثم اضطرب أمره، واضطُرَّ إلى تجريد السَّيْف، وقاتله الناس، وفي ذلك يقول[٢]: [من الرمل]

كَدَّر الوِرْدَ علينا بالصَّدَرْ فِعْلُ مَنْ بدَّل حَقّاً وكَفَرْ
أيُّها الأمَّةُ عُودِي للهُدَى ودَعى عَنْكِ أحاديثَ البَشَرْ
عَدِمَتْني البيضُ والسُّمْرُ معاً وتَبدَّلت رُقاداً بسَهَرْ
لأجُرَّن على أعدائِنا نارَ حَرْبٍ بِضَرامٍ وشَرَرْ

كان رحمه الله خطيباً شاعراً ذا مقال يستنفر ناظماً وناثراً.

قال صاحب «التبيين في أنساب الطالبيين»: وهم الآن الأئمة باليمن.

قلت: وحدَّثني الشيخ شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن غانم، أنه في عَوْده من اليمن ـ فاراً من صاحب اليمن ـ نَزَل بحِمَاهم وترح إلى كنف نَعْماهم فألحقه إمامهم القائم بظِلِّله الظليل وأتحفه بفضله الجزيل، وارشفه على ظمأ زُلاَلا، وأنصفه من الأيام مِنَّة وإفضالا، ووَصَلَه بمال وأوصله إلى أحسن مآل. قال: وهو في مَنَعة منيعة، وذِرْوة رفيعة، «دار ملكه صنعاء»، ولرعاياه من حِيَاطَة الله به استرعاء. قال: وهو بنفسه يؤمُّهم ويخْطُب، ويركب في نحو ثلاثة آلاف فارس، وأمَّا عسكره من الرجالة فخَلْق جَمّ، وأمَمٌ تموجُ كاليَمّ[٣].

وحدَّثني الشيخ تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني، عن ماهو عليه هذا الإمام في يومه من الأمر المُطّاع حتى لايخرج أحدٌ منهم له عن نصٍّ، ولايشاركه فيما يتميَّزُ به[٤] ويختصّ، مع القوَّة في مباينته لصاحب اليمن لايخافه ولايرجوه، والإهمال له فلايستجيب له ولايدعوه، مع أنه لايزال صاحبُ اليمن، يرعَى جانبُه وتُعْقَد بينهما العقود، وتُكْتَب الهُدَن، وتُوثَّق المواثيق، وتُشْتَرط الشروط[٥].

---

(١) راجع في ترجمته، مصادر تاريخ اليمن ٤٠٤ وما ذكر من مصادر.
(٢) الصبح ٥/ ٤٨، أئمة اليمن ١/ ٥٣. (٣) صبح الأعشى ٥/ ٥٣.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٥٣.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٥٣ وذكر أن مصدره ابن غانم وليس ابن عبد المجيد!.

قلت: /١٣/ وقد أتى آت إلى الأبواب السلطانية الشريفة، زَعَم أنه مُرْسَلٌ من حَضْرة هذا الإمام، وحدَّثني كثيراً من تفاصل أحوالهم من التشَدُّد في الدين، وإقامة الحق والعمل والالتزام بموجبه. وأن الأئمة في هذا البيت أهل علم يتوارثه لإمامٌ عن إمام وقائمٌ بعد قائم[١]. هذه جملة من أحوالهم ذكرناها.

وأما «صَنْعَاء»[٢] فدار ملكهم فقد تقدَّم في هذا الكتاب من أحوالها مايغني عن إعادته هنا.

وهي قاعدةُ مُلْك اليمن في قديم الزمان، وأوقاتها كلها على مناسبة الاعتدال، لذيذة الهواء كثيرة الفواكه يَقَع بها الأمطار[٣]، والبرد يكاد يجمد الجَمْد، وهي تشبَّه في اليمن ببَعْلَبَكّ في الشام لتمامها الحَسَن وحُسْنها التَّمام[٤].

وسألت الفاضل تاج الدين عبد الباقي اليماني عمَّا يعْلَمه من أحوال الأئمة بهذه المملكة، فكتب إليَّ أنه مايعْلم تفاصيل أحوالهم إذْ هم كالبادية.

قال: وأئمة الزيديين كثيرون[٥]، والمشهور منهم: المؤيَّد بالله، والمنصور بالله، والمهدي بالله، والمطهَّر يحيى بن حمزة. قال: ويحيى بن حمزة هو الذي كان آخراً على عهد الملك المؤيّد داود بن يوسف صاحب اليمن[٦]، وكاتب الهُدْنة تكون بينهما[٧].

قال: وابتداء دولة الزيديين كانت في أواخر دولة بني العبَّاس، قال: وأظنّها من

---

(١) الصبح ٥/ ٥٢.

(٢) صنعاء. من أقدم مدن الجزيرة العربية، راجع في تحديد موضعها والسبب الذي سميت من أجله صنعاء وتاريخها وعمارتها أحمد بن عبد الله الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زكَّار (بيروت ـ صنعاء ١٩٧٤)، ومجلة «الإكليل» اليمنية ٢ـ ٣ (السنة الثانية ١٩٨٣) عدد خاص عن صنعاء.

(٣) ذكر ابن بطوطة أن المطر ينزل بصنعاء أيام القيظ، ويكون أكثر نزوله بعد الظهر، فالمسافرون لا يستعجلون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر، وأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلة متدفقة، والمدينة مفروشة ـ أي مبلّطة ـ كلها، فإذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأنقاها. «رحلة ابن بطوطة ١/ ١٩٤».

(٤) الصبح ٥/ ٣٩.

(٥) راجع قائمة بأسماء أئمة اليمن وتاريخ توليهم الإمامة ومصادر ترجمتهم في مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ٤٠٤ـ ٤١٦.

(٦) التعريف ١٣، والإمامة فيهم في بني المطهر واسم الإمام القائم في وقتنا حمزة.
وهو المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي الحسني تولى الإمام سنة ٧٢٩هـ وتوفي سنة ٧٤٩هـ.
ترجمته في: مصادر تاريخ اليمن ٤٠٨ وما ذكر في مصادر.

(٧) الصبح ٥/ ٥٠ و٧/ ٣٣٣.

المستضيء[1]. قال: ولهؤلاء دعوة بالجيلان، وهي كيلان، ولهم دعاة هناك يَجْبُون لهم الزكاوات من تلك البلاد ومن يجيب داعيهم فيها.

قال: وهم من أولاد زَيْد بن الحسن بن الحسن المُثَنَّى، قال: وشيعتهم كثيرة وأئمتهم لايُحجَبُون ولايحتجبون، ولايَرَوْن التفخيم والتعظيم، الإمام كواحد من شيعته: في مأْكَله ومَشْربه ومَلْبَسه، وقيامه وقعوده، وركوبه ونزوله، وعامة أموره، يَجْلِس ويُجَالِس، ويَعُود المرضى، ويُصَلِّي بالناس على الجنائز، ويُشَيِّع الموتى، ويحضُرُ دَفْن بعضهم[2].

قال: وشيعته لهم في إمامهم حُسْن اعتقادهم وهم يسْتَشْفُون بدعائه، ويُمِرُّون يدَه على مرضاهم، ويسْتَسْقُون المطر إذا أجْدَبوا / ١٤/ به. قال: وهم يبالغون في ذلك مبالغهم العظيمة[3].

سألته فهل لهذه الدعوة حقيقة؟ قال: هذه أقوالهم التي تبْلُغنا عنهم وتَصِل إلينا من نحوهم وما أجزم.

قلت: ولايكْبر لإمام هذه سيرته ـ في التواضُع لله، وحُسْن المعاملة لخَلْقه، وهو من ذلك الأصْل الطاهروالعُنْصُر الطَّيِّب ـ أن يُجَاب دعاؤُه ويُتَقبَّل منه[4].

وحدَّثني الحكيم الفاضل صلاح الدين محمد بن البرهان: أن اليمن تنقسم إلى قسمين: سَواحِلَ وجبالٍ. فالسواحلُ بها لبنى رَسُول، والجبالُ كلُّها أو غالبها للأشْرَاف، وهي أقلُّ دخْلاً من السواحل لمَدَد البحر لتلك واتصالِ سبيلها منه، وانقطاع المَدَد عن هذه البلاد لانقطاع سبيلها من كل جهة[5].

وحدَّثني أبو جعفر بن غانم، أن بلاد الشُّرَفاء هؤلاء متَّصلة ببلاد السَّرَاة، إلى الطَّائف، إلى مكة المعظَّمة[6]، وأنها طريقه التي سَلَكها في عَوْده من اليمن.

قال: وهي جبالٌ شامخة عليَّة، ذاتُ عيون دافِقَة ومياهٍ جارية، على قرًى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليست لواحدة تعلُّق بالأخرى، لكل واحدة أهلٌ يرجع

---

(١) فالخليفة العباسي المستضيء بالله الحسن بن المستنجد بالله يوسف بويع بعد أبيه في سنة ٥٦٦هـ وتوفي سنة ٥٧٥ هـ. وهذا التاريخ يوافق قيام الدولة الزيدية الثانية في اليمن التي بدأت بالمتوكل على الله أحمد بن سليمان.

انظر: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ٢١٠ وما بعدها، ومصادر تاريخ اليمن ٤٠٦.

(٢) التعريف ١٣، الصبح ٥/ ٥٢.

(٣) الصبح ٥/ ٣٣٤.

(٤) المصدر نفسه ٥/ ٥٢ و٧: ٣٣٤.

(٥) الصبح الأعشى ٥/ ٣٨.

(٦) المصدر نفسه ٥/ ٣٨.

أمرُهم إلى كبيرهم، لايضمُّهم مُلْك مَلِك ولايجمعهم حُكْمُ سلطان، ولاتخلو قرية منها من أشجار وغرُوسٍ ذوات فواكِهَ أكثرُها العنب واللوز، ولها، زروع أكثرها الشَّعير، ولأهلها ماشية أعْوزَتْها الزرائبُ وضاقت بها الحظائر[١].

قال: وأهلُها أهلُ سَلاَمة وخير وتمسُّكٍ بالشريعة ووقوفٍ معها، يعَضُّون على دينهم بالنَّواجِذ، ويَقْرُون كلَّ من يمرّ بهم، ويضَيِّفُونه مدَّةَ مقامه حتى يفارقهم. قال: وإذا ذَبَحوا لضيفهم شاةً، قدَّموا له جميعَ لحمها ورأسها وأكارِعَها وكَرِشَها وكبدَها وقَلْبَها، يأكل مايأكل ويحمل مايحمل[٢].

قال: وأهلُ هذه البلاد لايفارق أحدٌ منهم قريته مسافراً إلى الأخرى إلاَّ برفيق يسترفِقُه منها ليخفُرَه، وإلاَّ فلا يأمن أولئك لعداوة بينهم وتفرُّق ذات بيْن[٣].

ثم نعود إلى تتمَّة الكلام في مملكة الأشراف / ١٥/ فنقول، وبالله التوفيق: إنها تشتمل على عِدَّة حصون منيعة وبلاد مخْصِبَة مرتعة، وقبائل عرب وحلفاء وأكْراد في طاعة هؤلاء الشرفاء ولأمراء مكة ميلُ كلِّي إليهم لقرابتهم بهم، لتَمَذْهُبهم بمَذْهَبِهم[٤].

والإمام في هذه البلاد يعْتَقِد في نفسه ويعْتَقِدُ أشياعُه فيه أنه إمامٌ معصومٌ مفْتَرَضُ الطاعة، تنعقد به عندهم الجمعةُ والجماعة، ويَرَوْن أنَّ جميع ملوكِ الأرض وسلاطينَ الأقطار تلزمهم طاعتُه ومتابعتُه حتى خلفاء بني العبَّاس، وأنَّ جميع مَنْ مات منهم مات عاصياً بترك متابَعَته ومبَايَعَته. وهم يزعُمون ويُزْعَمُ لهم أن سيكون لهم دولة يدال بها بين الأُمَم، وتملك بها منتهى الهمم لاتهجع لها سيوف ولاتخضع صفوف. وفي رأيهم أن الإمام الحُجَّة المنتظر في آخر الزمان منهم[٥].

وزِيُّ هذا الإمام وأتباعِه زِيُّ العرب في لباسهم والعِمَامة والحَنَك[٦].

ويقال في الأذان عندهم «حَيَّ على خَيْر العَمَل»[٧]، ولايظهر أحد منهم عندهم بسَبّ، ولابُغْض على ماهو رأي الزيدية.

حدَّثني مَنْ أقام بينهم مدَّة صالحة: أنهم أهل نَجْدَةٍ وبأْسٍ، وشجاعةٍ ورأْي، غير أن عدَدَهم قليل، وسلاحَهم ليس بكثير: لضِيقِ أيديهم، وقِلَّة دخل بلادهم[٨].

قال: ولقد فارقتهم، في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وهم لايشُكُّون أنه قد آن

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ٣٨.
(٢) الصبح ٥/ ٣٨.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٣٨.
(٤) التعريف ١٣، الصبح ٥/ ٥٢.
(٥) الصبح الأعشى ٥/ ٥٢.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ٥٣ و٧/ ٣٣٤.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٥٢ و٧/ ٣٣٤.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ٥٣.

أوانُ ظهورهم، وحان حينُ مُلْكهم، ولهم رعايا تختلف إلى البلاد، وتجتمع بمَنْ هو على رأيهم، يترَبَّصُون ضَعْفَ الدول في أقطار الأرض[١].

وحدَّثني شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي الأنْصَاري بن الزَّمْلَكَاني[٢]، (رحمه الله)، عند عودته من قضاء حَلَب عن رجلٍ كان بها وأنه مات وترك صندوقين كبيرين مختومين، فظُنَّ أن فيهما مالاً، ففُتِحا فلم يوجد فيهما سوى كتب من أئمة هذه الجهة ونسخ أجوبة عنها، منها ماهو إليه ومنه، ومنها ماكان إلى قدماء أبائه وأسْلاَفه ومنهم. فسألته كيف كانت وما الذي كان مضمونها؟

فقال: أما كيف؟ فعلى /١٦/ نحو طريقة السَّلَف: من فلان أمير المؤمنين. وأما الوقت إلى فلان أو لفلان، أما بعد فإني أحْمَدُ إليك الله الذي لاإله إلاَّ هو، وأعْلِمك بكذا وكذا. وكذلك نسخ الأجوبة وتبدأ باسم الإمام على عادة السَّلَف لانَقْص فيها ولازيادة سوى قوله: وإمَامُ الوقت. وأما مضمونها فمختلف ومداره على استعلام الأخبار عامة، وأحوال الشيعة خاصة، والسؤال عن أُناس منهم، وأنه قد وَرَدَ كتابُ فلان وأعيدَ جوابُ فلان عن أناس مايُعْرَف مَنْ هم؟ بكنايات موضوعة، وفي بعضها حديث الخُمْس وذكر وصوله أو التقاضي به.

قال: ووَجَدْت في بعضها في هذا المعنى ماهذه عبارته وهي: «لاتؤخِّروا مدد من هنا من إخوانكم من المؤمنين في هذه البلاد الشاسعة، وهو حقٌّ لله فيه تزكية أموالكم ومَدَد إخوانكم من الضُّعَفَاء واتَّقُوا الله و﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

---

(١) صبح الأعشى ٥/ ٥٢.

(٢) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. ولد بدمشق سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م وتعلم بها. وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان «الأفرم» ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب في ديوان الإنشاء. ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطلب لقضاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م ودفن بالقاهرة. له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي «الطلاق والزيارة» وتعليقات على «المنهاج» للنووي، وكتاب في «التاريخ» و«عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب ـ ط» و«تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى ـ خ».

ترجمته في: البداية والنهاية ١٤/ ١٣١ـ ١٣٢، ذيول العبر ١٥٤، الوافي بالوفيات ٤/ ٢١٤ـ ٢٢١، فوات الوفيات ٤/ ٧ ـ ١١، طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ١٩٠ـ ٢٠٦، الدرر الكامنة ٤/ ١٩٢ـ ١٩٤، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧٠ حسن المحاضرة ١/ ١٧٦، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٨، المنهل الصافي ـ خ٣/ ٢٢٣ـ ٢٦٤، الدليل الشافي ٢/ ٦٦٠، بدائع الزهور ١/ ١/ ٤٥٨ـ ٤٥٩، شذرات الذهب ٦/ ٧٨ـ ٧٩، الأعلام ٦/ ٢٨٤.

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[١].

فسألته عمَّا صَنَعُوا بتلك الكتب؟

فقال: عرَّفت الأمير أرْغُون[٢]، نائب السلطان بها، فقال: اغسلوها، فغُسِلَت[٣]. هذا ماانتهى إلينا من أخبارهم.

* * *

(١) سورة نوح: الآيات ١٠ـ ١٢.

(٢) الأمير أرْغُون بن عبد الله الدَّوَادَار، نائب السلطنة بحلب توفي سنة ٧٣١هـ.
ترجمته في: ذيل العبر ١٦٧، الوافي بالوفيات ٨/ ٣٥٨ـ ٣٦٠، العقد الثمين ٣/ ٢٨٢، الدرر الكامنة ١/ ٣٧٤، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٨، والمنهل الصافي ٢/ ٣٠٦ـ ٣٠٨، والدليل الشافي ١/ ١٠٦).

(٣) صبح الأعشى ٥/ ٥٣.

الباب الثامن: في ممالك المسلمين بالحبشة

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: في أوفات.

الفصل الثاني: في دوارو.

الفصل الثالث: في أرابيني.

الفصل الرابع: في هَدِيّة.**الفصل الخامس:** في شرخا.

الفصل السادس: في بالي.

الفصل السابع: في دارة.

الباب الثامن: في ممالك المسلمين بالحبشة

وهذه الممالك السبعة بأيدي سبعة ملوك وهي ضعيفة البناء، قليلة الغناء، لضعف تركيب أهلها، وقلّة محصول البلاد، وتسلّط ملك ملوك الحبشة وصاحب أمحرة عليهم مع مابينهم من عداوة الدين، ومباينة النصارى والمسلمين. ومع هذا /١٧/ فكلمتهم متفرقة، وذات بينهم فاسدة.

وقد حكى لي الشيخ عبد الله الزيلعي[١] وجماعة من فقهاء هذه البلاد: أنَّ هؤلاء الملوك السبعة لو اتفقت كلمتهم واجتمعت ذات بينهم قدروا على المدافعة أو التماسك، ولكنهم ماهم عليه من الضعف وافتراق الكلمة بينهم تنافس، ومنهم من يترامى إلى صاحب أمحرة ويميل إليه بالطباع.

وهؤلاء مع الذلّة والمسكنة عليهم لصاحب أمحرة قطائع محررّة تحمل في كلّ سنة، وهي من القماش الحرير والكتان مايجلب إليهم من مصر واليمن والعراق.

وقد كان الفقيه عبد الله الزيلعي قد سعى في الأبواب السلطانية بمصر عند وصول رسل صاحب أمحرة إليها في تنجز كتاب البطريرك إليه بكفّ أذيته عن بلاده من المسلمين وأخذ حريمهم، ورسم له بذلك، وكتب البطريرك كتاباً بليغاً شافياً، فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال، وإنه حرّم هذا على من يفعله بعبارات أجاد فيها في هذا دلالة على الحال. وسنذكر أمورهم مفصلة في موضعها.

قال لي الشيخ الصالح عبد المؤمن[٢]: إنَّ طولها برّاً وبحراً خاصّاً بها نحو

---

(١) عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمد، جمال الدين: فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع (في الصومال) ووفاته في القاهرة سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م. من كتبه «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ـ ط» في مذهب الحنفية، و«تخريج أحاديث الكشاف ـ خ». وهو غير الزيلعي «عثمان» شارح الكنز.

ترجمته في: لحظ الألحاظ لابن فهد، والبدر الطالع ١/ ٤٠٢ وحسن المحاضرة ١/ ٢٠٣ والمكتبة الأزهرية ١/ ٥٩١، الأعلام ٤/ ١٤٧.

(٢) عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين: عالم ببغداد في عصره. مولده سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ووفاته فيها سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م.

كان يضرب به المثل في معرفة الفرائض. له: «معجم» في رجال الحديث، و«مراصد الاطلاع في الأمكنة والبقاع ـ ط» اختصر به معجم البلدان لياقوت، و«تحقيق الأمل في علمي الأصول =

شهرين، وعرضها ممتد أكثر من هذا، لكن الغالب في عرضه مقفر. وأمّا مقدار العمارة فهو ثلاثة وأربعون يوماً عرضاً.

وبهذه الممالك السبعة الجوامع والمساجد والمؤذن، وتقام بها الخطب والجمع والجماعات وعند أهلها محافظة على الدين لا تعرف عندهم مدرسة ولاخانقاه ولا رباط ولا زاوية، وليست لهم إبل.

وهي بلاد حارّة ليست بمائلةٍ إلى الاعتدال، وألوان أهلها إلى الصفار وليست شعورهم في غاية التغلغل كأهل مملكة مالي ومامعها ومايليها من جنوب المغرب، وفطنهم آنية، وفطرهم أذكى، وفيهم الزهّاد والأبرار، وهذه البلاد هي التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع، وإنّما الزيلع قرية بالبحر من قراها، وجزيرة من جزائرها، وإنما غلب عليها اسمها، وبيوتهم من طين وأحجار وأخشاب مسقفة جملونات وقباب، وليست بذوات أسوار، ولالها فخامة بناء، وقد أوردنا هذا على جهة الإجمال. /١٨/ ونحن نذكر ذلك فصلاً فصلاً إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول: في أوفات[١]

حدَّثني الفقيه عبد الله الزيلعي ومن معه من الفقهاء: أنَّ مملكة أوفات طولها خمسة عشر يوماً، وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد، وكلها عامرة آهلة بقرى متصلة، وبها نهر «جار»، وهو أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامتة لليمن.

وهي أوسع هذه الممالك أرضاً والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد، وملكها يحكم على الزيلع، والزيلع اسم ميناء التجار الواردين إليها، وهو في وقتنا اليوم شافعي المذهب وغالبها شافعية.

وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان، ويتبعهم عشرون ألفاً أو أزيد من الرجالة، وهم يركبون الخيل عرايا بلاسروج، وإنّما يوطئون لهم بجلود مرعز حتى

= والجدل» و«اللامع المغيث في علم المواريث» و«شرح المحرر» لمجد الدين ابن تيمية، فقه، في ستة أجزاء، و«اختصار تاريخ الطبري» و«منتهى أهل الرسوخ في ذكر من أروي عنه من الشيوخ» مشيخته. وله نظم.

ترجمته في: ذيل طبقات الحفاظ للحسيني ـ خ. والمنهج الأحمد ـ خ. وتاريخ العراق ٢/ ٣١ وشذرات الذهب ٦/ ١٢١ وعلماء بغداد ١٢٢ والدرر الكامنة ٢/ ٤١٨، الأعلام ٤/ ١٧٠.

(١) انظر: الصبح ٥/ ٣١١ـ ٣١٢.

الملك، وخيلهم عراب، وفي غالب الأوقات ركوبهم البغال.

والملك عندهم أو المير يعدّ من حشمته إذا ركب بغلة يردف خلفه غلامه على كفل البغلة.

وأما إذا ركب فرساً فإنه لا يردف أحداً عليه.

ويسمّى الملك عندهم فاط، والملك يعتصب على رأسه بعصابة من حرير تدور بدائر رأسه، ويبقى وسط الرأس مكشوفاً.

وأما الأمراء والجند فتعصَّب رؤوسهم بعصائب من قطن على مثل هذا الوضع ولا يعتصب بالحرير إلاّ الملك، وقلَّ من يلبس منهم قميصاً أو ثوباً مخيّطاً، وإنما يتَّزرون وزرات، وتلبس طائفة أرباب السيوف منهم سراويلات.

وأما الفقهاء فتلبس العمائم وعامة الناس تلبس كوافي بيضاً طاقيات، ومن الفقهاء وأرباب النعم من يلبس القمصان وإلاّ فالجمهور الغالب المؤزرات كل واحدٍ بوزرتين، واحدة على كتفه متوشحاً بها، والأخرى في وسطه. وكلامهم بالحبشية وبالعربية.

ومما يعده أهل هذه المملكة من الحشمة، أنَّ الملك أو الأمير إذا مشى يتوكأ على رجلين من خاصته. والملك يجلس على /١٩/ كرسي حديدٍ مُطعَّم علوّه أربعة أذرع، ويجلس أكابر الأمراء حوله على كراسي أخفض من كرسيه، وبقية الأمراء وقوف، ويحمل رجلان على رأسه السلاح، وإذا ركب يحمل على رأسه جتر[١] حرير، فإن كان الملك راكب بغلةً كان حامل الجتر رديفه، والجتر بيده وقدّامه حجّاب ونقباء تطرد الناس، وتضرب قدّامه السبابة والبوقات من خشب اسمه (بنبو) المعمول منه في اليد، وفي رؤوسها قرون بقرٍ ويدق معها الوطواط، وهي طبول معلّقة في رقاب الرجال، ويكون قدّام الجميع بوق اسمه الجبناء وهو ملويّ من قرون الوحش عندهم اسمه عجزين من نوع بقر الوحش يكون طوله ثلاثة أذرع محروقاً من علوّه يسمع من قريب نصف نهار، فيعلم الناس ركوب الملك فيتبادر إليه من له عادة الركوب معه ويتنحّى عن طريقه من يحب أن يتنحّى وعنده قضاة وفقهاء، وليس فيهم بارع العلم، ولا الملك يتصدّى للحكم بين الناس ويقصد الإنصاف.

وفي مملكته مدن أمهات وهي، بقلزره، وكلجور، وسيمق، وسوا، وعدل، وجبا، ولاو.

---

(١) الجتر: وتعني المظلّة، وهي قبة من حرير أصفر مزر.

وأكثر قتال هذه المملكة بالحراب وفيهم الرماة بالنشاب، وأقواتهم القمح والذرة والطافي، وهو حب دقيق إلى غاية أكبر من الخردل، وهو أحمر اللون لهم منه قوت.

وعندهم الأبقار والأغنام كثيرة جدّاً وكذلك السمن والعسل، وأمّا المعز فقليلة عندهم وأسعارهم رخية، وكيلهم يسمّى الرابعية، وهذا الكيل مقداره ويبة مصرية، ورطلهم إثنتا عشرة أوقية، وزن الأوقية عشرة دراهم نقرة بصنجة مصر.

وعندهم من قصب السكر مقدار صالح، ويخرج منه القند، ويعمل قطعاً صغاراً.

وعندهم الموز والجُمير والأترج والليمون، وقليل من النارنج والرمان الحامض والمشمش والتوت الأسود، والعنب الأسود ـ وهو والتوت قليلان ـ.

وعندهم تين بريّ وخوخ بريّ، ولكنهم لايأكلون التين، ولهم فواكه أخرى لاتعرف بمصر والشام والعراق فمنها / ٢٠/ ، شجر اسمه كشياد يخرج ثمره أحمر صفة البلح، وهو حلو ماوي، وشجر يعرف لمويه يخرج ثمره أسود صفة البلح طعمه مرّ ماوي، ومنها شجر يسمّى كوسي يخرج ثمره مدوراً شديد الإستدارة كالبرقوق ولونه أصفر خلوقي كلون المشمش، وهو مزّ ماوي، ومنها شجر طانة يخرج ثمره أصفر من البسر وفي وسطه شبيه التنوى، وهو حلو صادق الحلاوة، ومنها شجر اسمه أوجات ـ بفتح الواو والجيم ـ تخرج ثمرته أكبر من حبّ الفلفل، وطعمه شبيه به في الحرافة مع بعض حلاوة، ومنها شجر اسمه جات ـ وهذه الجيم الموحدة نطقهم بها بين الجيم والشين ـ لاثمر له، وإنما المأكول قلوبه وهو يزيد في الذكاء ويذكّر الناسي ويفرح ويقلل الأكل والنوم والجماع، وكلّهم يأكلونه ويرغبون في أكله وخصوصاً طلبة العلم منهم ومن يريد الإشتغال أو من يؤثر دوام السهر لسفر يسافره أو لحرفة يعملها، وعنايتهم به شبيهة بعناية أهل الهند بالتنبول، وإن لم يكن هذا شبه ذلك، وحاشا مايقال عن تلك الأفعال المحمودة من مشابهة هذا لما يدلّ عليه من زيادة تحقيقه بما يورثه من قلّة النوم والأكل والجماع.

ولقد أعجبني ماحكاه بعض هؤلاء الفقهاء المخبرين نيابة عن الملك المؤيد داود صاحب اليمن ـ رحمه الله ـ قال: سافر بعض المسلمين من أهل بلاد الحبشة إلى اليمن واتصل بالملك المؤيد وصار من خاصته، فمنّاه يوماً فتمنى عليه قلوب شجر الأوجات فبعث من نقل إليه منها وغرست باليمن فانجبت، فلّما آن اقتطاف قلوبها سأله الملك المؤيد ممّا يفيد فوصف له مايحدث عنها، فلما قال له: إنها تقلل الأكل والنوم والجماع، قال له الملك المؤيد: وأيّ لذة في الدنيا سوى هذا والله لاآكله فإنني ما أنفق

الأموال إلاّ على الثلاثة الأشياء فكيف أستعمل مايحول بيني وبين لذاتي منها.

ويزرع عندهم اللوبيا والخردل والباذنجان والبطيخ الأخضر والخيار والقرع والكرنب(١). وتطلع عندهم / ٢١/ الملوخيا بريّة، وكذلك الشمار والصعتر.

ويجلب إليهم الذهب من داموت وسحام وهما بلاد معادن بالحبشة، وتساوي الأوقية منه من ثمانين درهماً إلى مائة وعشرين درهماً على قدر جودة الذهب ورداءته بقدر مايخالطه من التراب وكثرته، والطيب من الذهب يسمّى سرا.

وعندهم الدجاج الدواجن، ولالهم كثير رغبة في أكلها استقذاراً لها لأكلها من القمامات والزبل.

وعندهم جواميس بريّة تُصاد ـ كما ذكر في بلاد مالي ـ، وبها من أنواع الوحش، البقر والحُمْر والغزال والنعام والمها والإبل والكركدن والفهد والأسد والضبعة العرجاء تسمّى عندهم مرغفيف، ويصاد عندهم دجاج الحبش المعروف، ويؤكل ويستطاب لحمه ويفاخر فيه.

وليس لأمراء هذا الملك ولالجنده إقطاعات عليه ولانقود، وإنما لهم الدواب الكثيرة السليمة، ومن شاء منهم زرع واشتغل ولايعارض.

ولهذا الملك سماط عام ممدود، بل له سماط له ولخاصته، ولكنه يفرق في بعض الأحيان على أمرائه بقراً عوضاً عن أكلهم على السماط، وأكثر مايعطي الأمير الكبير منهم مائتي بقرة.

وليس بأوفات ولابلادها دار ضرب ولاسكّة، ومعاملتهم بدنانير مصر ودراهمها مما يدخل مع التجار إلى بلادهم.

الفصل الثاني: في دوارو

حدثني هؤلاء الفقهاء المتقدّمون ـ في الفصل قبله ـ أنَّ هذه المملكة طولها خمسة أيام، وعرضها يومان وهي على هذا الضيق ذات عسكر جمّ نظير عسكر أوفات في الفارس والراجل، وزيّهم مثل زيّهم في اللبس والركوب والهيأة سوى أنَّ ملكها لايحمل على رأسه جتر[اً] ولايتوكأ الأكابر بها مثل الملك والأمراء على الأيدي، وأقواتهم والموجودات عندهم من الحبوب والفواكه والخيول والدواب من نسبة ماتقدّم إلاّ أنهم حنفية المذهب ومعاملتهم بالحديد وتسمّى الواحدة من تلك الحدائد حَكُنة ـ بفتح الحاء

(١) القرع، الكرنب.

المهملة وضم الكاف والنون ـ وهي في طول الإبرة، / ٢٢/ ولكنها أعرض من الإبرة تكون نحو عرض ثلاث إبر، وما لها سعر تضبط به، وإنّما تباع البقرة الجيد بخمسة آلاف حكنة، ويباع الرأس الغنم الجيد بثلاثة آلاف حكُنة.

وهذه المملكة مجاورة لأوفات.

الفصل الثالث: في أرابيني

حدّثني هؤلاء الفقهاء أيضاً: أن هذه المملكة مربعة على شكل التربيع، طولها أربعة أيام وعرضها كذلك، وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس. وأمّا الرجالة فكثيرة جداً، وأهلها حنفية، وهي على دوارو، وزيّ أهلها زي أهل دوارو في كل شيء، والموجودات التي عندهم من الحبوب والفواكه والبقول والدواب وغير ذلك مثل دوارو ومعاملتهم بالحَكُنَة كما تقدّم.

الفصل الرابع: في هدية

حدَّثني أيضاً هؤلاء الفقهاء: أنّ صاحب هدية أقوىٰ أخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة، وأكثر خيلاً ورجالاً، وأشدّ بأساً على ضيق بلاده عن مقدار اوفات.

وهذه البلاد طولها ثمانية أيام، وعرضها تسعةٍ أيام، ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس غير الرجالة؛ فإنّهم خلق كثير مثل الفرسان مرتين أو أكثر.

وهم في زيّهم ومعاملتهم ومايوجد عندهم من الحبوب والفواكه والبقول مثل أريني ودوارو. وبلاد هدية تلي أرايني، وإلى مدينة تجلب الخدام من بلاد الكفار.

حدّثني الحاج فرج الفويّ التاجر: أنَّ صاحب أمحرة يمنع من خصي العبيد، وينكر هذا ويشدّد فيه، وإنما السرّاق تقصد مدينة اسمها وشلو ـ بفتح الواو والشين المعجمة واللام ـ وأهلها همج لادين عندهم فيخصى بها العبيد، ولايقدم على هذا في جميع بلاد الحبشة سواهم وكذلك التجار إذا اشتروا العبيد وخرجوا بهم يعرّجون إلى وشلو ليخصوهم بها، لأجل الزيادة في الثمن.

ثم يحمل كل من خصي إلى مدينة هدية فتعاد عليهم الموسى مرّة ثانية لينفتح مجرى البول؛ لأنه يكون قد اشتدّ عند الخصي بأيقح.

ثم إنهم يعالجون بهدية إلى أن يبرأوا؛ لأن أهل وشلو / ٢٣/ ليس لهم معرفة

بالعلاج، فسألت الفويّ: لأيّ شيء يختصّ بهذا هدية دون بقية أخواتها؟، فقال: لأنها أقرب هذه البلاد إلى وشلو، وقد صار لأهلها دربة في علاج هؤلاء، وقال: ومع هذا فالذي يموت منهم أكثر من الذي يعيش وأضرّ ماعليهم حملهم بلامعالجة من مكان إلى مكان ولو عولجوا في مكان خصيهم كان أصلح لهم، ولولا حملهم إلى مكان يعالجون به ماسلم، والله أعلم أحد منهم.

وأهلها حنفية المذهب.

الفصل الخامس: في شرخا

حدّثني هؤلاء الفقهاء: أنَّ هذه المملكة طولها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيام وعشكرها ثلاثة آلاف فارس ورجاله مثلها مرتين وأكثر.

وهي كأخواتها دوارو وأرايني في بقية أحوالها من الزيّ والمعاملة والحبوب والفواكه والبقول وسائر مالهم وماعليهم، وهي تلي هدية وأهلها حنفية المذهب.

الفصل السادس: في بالي

حدّثني هؤلاء الفقهاء: أنَّ هذه المملكة طولُها عشرون يوماً، وعرضها ستة أيام، وعسكرها ثمانية عشر ألف فارس، والرجالة بها كثير عددهم. وأهلها مثل باقي أخواتها في جميع زيّهم وأحوالهم وأقواتهم، والموجودات عندهم، ولكنها أكثر خصباً، وأطيب سكناً، وأبرد هواءً وماء، ولكنَّهم لايتعاملون بالنقود مثل أوفات ولا بالحَكُنة مثل بقية ماتقدّم، ولكن بالأعواض مثل البقر والغنم والقماش.

وهي تلي شرخا. وأهلها حنفية المذهب.

الفصل السابع: في دارة

حدّثنـــي هؤلاء الفقهاء: أنَّ طولها ثلاثة أيام، وعرضها مثلها، وهي أضعف أخواتها حالاً، وأقلّها خيــلاً ورجالاً، وعسكرها لايزيد على ألفي فارس ومثلهم رجّالة.

وهم في بقية أحوالهم وأحوالها مثل أخواتها ومعاملتها بالأعواض مثل بالي، وهي تليها. وأهلها حنفية المذهب.

/ ٢٤/ هذه جملة ماعلمنا من أحوال هذه المملكة المسلمة في بلاد الحبشة والمملكة منهم في بيوت محفوظة إلاّ بالي اليوم؛ فإنَّ الملك بها صار إلى رجل ليس من

أهل بيت الملك تقرب إلى صاحب أمحرة حتى ولاّه مملكة بالي، فاستقلّ ملكاً بها ولايبالي، وقد ولي بالي.

ومن أهل بيت الملك بها رجال أكفّاء، والأرض لله يورثها من يشاء، وجميع ملوك هذه الممالك، وإن توارثوها لاتستقلّ منهم بملك إلاّ من أقامه صاحب أمحرة.

وإذا مات الملك منهم ومن أهله رجال قصدوا جميعهم صاحب أمحرة وبذلوا المقدرة في التقرب إليه، فيختار منهم رجلاً يوليه، فإذا ولاّه سمع البقية وأطاعوا؛ لأنَّ الأمر له فيهم، وهم كالنواب له.

ومع هذا فإنَّ جميع ملوك هؤلاء الملك تعظم مكان صاحب أوفات وتنقاد له بالمعاضدة في بعض الأوقات.

والطريق إلى هذه البلاد من مصر شعبة من الطريق العظمى إلآخده إلى أمحرة وسائر بلاد الحبشة.

وتجّار هذه البلاد الحبشية، وتجار هذه البلاد ناصع وسواكن ودهلك وليس بها مملكة مشهورة، ولالها أخبار مذكورة. وكلها مسلمون قائمون وأرضها أصعب مسلكاً لكثرة جبالها الشامخة وعظم أشجارها واشتباكها بعضها ببعض حتى إنه إذا أراد ملكها الخروج إلى جهة من جهاتها يتقدّمه قوم مرصدون إصلاح طرقها بالآلات لقطع أشجارها، ويطلقون فيها ناراً لحريقها.

وأولئك القوم كثير عددهم ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الإنساني؛ لأنهم أجبر بني حام، وأخبر بالتوغل في القتال والاقتحام، وطول زمانهم مسافرون، وفي صيد وحش البرّ راغبون.

ومما يدل على قوة جنانهم أنّهم لايلبسون، ولايلبسون خيلهم عند القتال شيئاً.

والمشهور عنهم مع مالهم من الشجاعة يقبلون الحسب ويصفحون عن الجرائم، والمصطلح بينهم: أنَّ من رمى سلاحه في القتال يحرمون قتاله، والمحرم يتحسَّب / ٢٥/ ببر القادر عليه فيتجاوز عن ذنبه.

وقيل فيهم خلّة حسنة أيضاً أنهم يجيبون الغريب، ويكرمون الضيف، ويحقق ذلك إكرام النجاشي قريشاً عندما هاجروا إليه، ويقال: إنّه قلَّ أن يوجد عندهم رياء.

والصديق عندهم لاينقض عهداً لصديقه، وإذا تعاهدوا أكدُّوا المحبة وأظهروها، وإذا تباغضوا أعلنوا المباينة وأجهروها غالباً يوجدون أذكياء اقوياء الحدس، لهم علوم وصناعات بهم خصيصة.

ومع كونهم جنساً واحداً ينطقون بألسنة شتى تزيد على خمسين لساناً وقلم قراءتهم واحد ـ وهو الحبشي ـ يكتب من اليمين إلى الشمال، عدّته ستة عشر حرفاً، لكل حرف سبعة فروع. وبالجملة من ذلك مائة واثنان وثمانون حرفاً خارجاً عن حروف أخر مستقلّة بذاتها لاتفتقر إلى حرف من الحروف المعدودة المتقدّم ذكرها مضبوط بحركات نحوية متصلّة به لامنفصلة عنه.

وهي بلاد تنقسم عندهم أقاليم كما تنقسم الديار المصرية والبلاد الشامية أعمالاً وصفقات وممالك الإسلام المتقدمة الذكر في ذلك.

«ذكر بلاد الحبشة»

ونحن نذكر ها هنا جملة حال بلاد الحبشة مسلمها وكافرها.

قيل: إنَّ أول بلادهم من الجهة الشرقية المائلة إلى بعض الجهة الشمالية بحر الهند واليمن، وفيها يمرّ البحر الحلو المسمّى سيحون الذي يرفد منه نيل مصر المحروسة.

والجهة الغربية إلى بلاد التكرور مما يلي جهة اليمن وأولها مفازة تسمّى وادي بركة، قيل: يتوصل منه إلى إقليم يسمى سحرت، ويسمّى قديماً تكراي. وكانت مدينة المملكة بهذا الإقليم في ذلك الزمان تسمّى أخشرم، وبلغة أخرى من لغاتهم، وتسمى أيضاً زفرتا. وكان النجاشي الأقدم بها ملكاً على جميع البلاد ثم إقليم أمحرة وهو الذي به الآن مدينة المملكة وتسمّى بلغتهم مرعدي. ثم إقليم شاوه، ثم إقليم داموت، ثم إقليم لامنان، ثم إقليم السيهو، ثم إقليم الزنج، ثم إقليم عدل الأمراء، ثم إقليم حماسا، ثم إقليم باريا، ثم إقليم الطراز الإسلامي الداخلية في جملة جميع «البلاد الحبشية» / ٢٦/ وملوكه سبعة كما تقدّم تفصيلها إقليماً إقليماً.

وكل إقليم من هذه الأقاليم له ملك وجيوش ـ كما تقدم أيضاً ذكره ـ.

وقيل إنّهم كلهم تحت سلطان ملكهم الأكبر المسمّى بلغتهم الحطي، ومعناه السلطان. وهذا الإسم موضوع لكلّ من يقام عليهم ملكاً كبيراً.

واسم الملك المقام عليهم الآن عمد سيون، وتأويله: ركن صهيون، وهي بيعة قديمة البناء بالإسكندرية معظمة عندهم يتعبدون لله فيها.

وقيل: إنّه من الشجاعة على أوفر قسم، وإنّه حسن السلوك عادل في رعيته، يتفقد مساكنها.

وقيل: إنَّ تحت يده من الملوك تسعة وتسعون ملكاً، وهو لهم تمام المائة في

الأقاليم المذكورة، والأقاليم المجهولة أسماؤها؛ لأنّها كثيرة العدد غير مشهورة ولامعلومة.

وقيل: إن الحطى ـ المذكور ـ وجيشه لهم خيام ينقلونها معهم في السرحات والأسفار، وإذا جلس يجلس حول كرسيه أمراء مملكته وكبراؤها على كراسي حديد منها ماهو مطعمٌ بالذهب، ومنها ماهو ساذج على قدر مراتبهم.

والملك ـ المذكور ـ قيل: إنه مع ماله من نفاد الأمر يتثبت في أحكامه حتى يتبين.

فأمّا لباس أهل البلاد المذكورة في الشتاء فهو لباسهم في الصيف، الخواص منهم والأجناد قماش حرير وأبراد هندية، وماشاكل ذلك، والعوام ثياب قطن منسوج غير مخيط لكل نفس ثوبان واحد لشدّ وسطه وآخر يلتحف به، وكذلك الخواص منهم في الحرير والأبراد يشتدُّون ويلتحفون بمنسوج غير مخيط.

وسلاح المقاتلين منهم القسيُّ والنبال الشبيهة بالنشاب والسيوف والمزاريق والحراب، ومنهم من يقاتل بالسيوف وأتراس طوال وقصار وغالب سلاحهم مزاريق تشبه الحراب الطوال، ومنهم من يرمي عن قوس طويل يشبه قوس القطن بالنبال، وهي سهام قصار.

وقيل: إنَّ نبال المقاتلين من أجناد الطراز الإسلامي أكبر ولهم أبواق من خشب القنا المجوف، ومن قرون البقر المجوفة.

ومأكلهم /٢٧/ شحوم البقر والماعز وبعض شحوم الضأن، ومشروبهم اللبن البقري، وفي ضعفهم يتداوون باللبن المداف بالماء وسمن البقر.

وعندهم نبات يسمّى جات يتناولونه لتجويد الفهم وتقوية الحفظ، وهو أشجار صغار وكبار تمرية تشبه قلوب شجر النارنج ـ وقد تقدم ذكره ـ.

وغالب أهل البلاد المذكورة يتعاملون مقايضة بالأغنام والأبقار والحبوب وغير ذلك إلاّ في خمسة أقاليم من الطراز الإسلامي وهي، إقليم مدينة أوفات يتعاملون بالذهب والفضة، وإقليم دوارو، واقليم أريني، وإقليم شرخا، وإقليم هدية يتعاملون بشيء يسمّى عندهم الحكنة وهي حديد مضروب كالإبر الطوال كل ثلاثة آلاف بالعدد قيمتها درهم واحد.

وكلُّ البلاد المذكورة والطراز الإسلامي يزرعون على الأمطار في السنة مرتين ويتحصل لهم مغلان.

والزمان الذي يحصل فيه المغل الأول يأتي فيه مطر ثان يزرع عليه المغل الثاني،

والمطر الواقع من زمن الشتاء يسمّى بل، والمطر الواقع في زمن الصيف يسمّى كرم ـ بلغة الزيالعة ـ.

وأخبرني البطريرك بنيامين فيما حكى لي في كتابه عنهم: أنه عند نزول الأمطار الكثيرة تقع صواعق وأضاف زراعاتهم الغيطية القمح والشعير والحمص والعدس والبسلا والذرة وبعض الباقلاء وحبوب أخر غير ذلك منها حبّ يسمّى قبانهلول يستعملونه قوتاً كالقمح.

أما القمح فحبّه كالحنطة المألوفة ولونه كالقمح الشامي يباع منه في الطراز الإسلامي بالدرهم الواحد تقدير حمل بغل، والشعير ليس له قيمة وحبُّه أكبر مقداراً من حبِّه بالديار المصرية، ومنه ضرب يسمّى طمحه والحمص إلى الحمرة ماهو والباقلاء عزيز الوجود في أكثر البلاد ولايفتقر إليه دوابهم في العلف؛ لأنَّ الأرض كثيرة المياه والمراعي وعندهم /٢٨/ حبّ يسمّى ـ بلغتهم ـ طافي، وحبُّه بمقدار الخردل، ولونه إلى الحمرة ومكسره إلى السواد يتخذون منه خبزاً، وهو يميل إلى القمح.

وعندهم ببعض الأقاليم حبّ يسمّى آلس، وهو يشبه القمح ولكنه بقشرين فينزعون قشوره بالهرس كالأرز، ويتخذون منه طعاماً ينوب عن القمح.

وليس عندهم من أصناف المقائي إلاّ القرع. وفي بعض الأقاليم بطيخ صغير، وبزر الكتان، وحبّ الرشاد، واللفت والفجل، ومن البقول أيضاً الثوم والبصل والكزبرة الخضراء، واشجارهم البستانية العنب الأسود وهو قليل والتين الوزيري، واصناف الحوامض خلا النارنج والموز ورياحينهم الريحان والقرنفل ونبات أيضاً يسمّى بعتران، وعندهم الياسمين البرّي، ولكنه غير مشموم لهم.

ومن أشجارهم: الزيتون والصنوبر، والجُّميز، وفي بعض بلادهم الأبنوس وهو كثير الأشجار، والمقل أيضاً ببعض الأقاليم، وكذلك أشجار القنا، وهي صنفان: أحدهما صامت، والآخر أجوف.

وبالطراز الإسلامي: قصب السكر كثير جداً ويتخذون منه القند، وذكر أنَّ الذي يوجد عندهم من المعادن معدن الذهب والحديد.

وذكر السيد الشريف عز الدين التاجر: أنَّ في بعض بلادهم يوجد معدن الفضة، وعندهم من ذوات الأربع الخيل والبقر والغنم والبغال وماأشبه ذلك، وأغنامهم تشبه أغنام عيذاب واليمن، ووحوشهم البرية، الأسد، والنمر، والفهد، والفيل، والغزال على اختلاف الألوان في ذلك، وبقر الوحش، وحمر الوحش، والزرافة، والقردة، ووحوش أخر كثيرة.

وعندهم من الطيور الجوية والأهلية والمائية:

أما الجوية فهي، الصقور الكثيرة والنسور البيض والسود وأمثالها والغربان، والحجل وسائر طير الواجب، والسمان، والحمام والعصافير والبزاة وغير ذلك مما لم يوجد بالديار /٢٩/ المصرية.

وأما الأهلية والبرية، فدجاج الحبش وأمثاله، والمائية فالبط ودجاج أيضاً يخرج من بركة ماء في إقليم هدية الإسلامي.

قال الشيخ جمال الدين عبد الله الزيلعي: إنَّ العين المذكورة يتولّد منها دجاج يأكلونه ويأكلون من لحوم الطير الحمام والعصفور وغراب الزرع والدجاج البري والحجل. والسمك، عندهم منه مايشبه البوري، ومنها مايشبه الثعبان، والذي يشبه الثعبان يطول إلى مقدار ذراعين ونصف ويغلظ إلى مقدار كبار الخشب. ويطلع من بحرهم التمساح وفرس البحر.

وأمّا عسل النحل فكثير في جميع البلاد يتربّى في الجبال، ويأخذون منه العسل والشمع من غير حجر عليه، ومنه ما له خلايا خشب منقورة، وعسلهم مختلف الألوان بحسب المرعى.

ومساكنهم غالبها أخصاص وجملونات خلا المدن الكبار فإنها مبنية بالحجر وأواني طعامهم فخار مدهون أسود. وحمامهم الاغتسال بالماء البارد، وبعضهم يتخذونه حاراً. ووقودهم الشمع ومصابيحهم وقودها بشحوم البقر؛ لأنَّ الزيت الطيب يجلب إليهم ويدهن للرجال والنساء منهم بالسمن.

ومصاغهم الذهب والفضة والنحاس والرصاص على قدر تمثال السعر. هذا مانقلته الثقات عنهم.

ومع ماهم عليه من بيعة البلاد وكثرة الخلق والأجناد يفتقرون إلى العناية والملاحظة من صاحب مصر؛ لأنَّ المطران الذي هو حاكم حكّام شريعتهم في جميع بلادهم النصرانية لايقام إلاّ من الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية حيث تخرج الأوامر السلطانية من مصر لبطريارك النصارى اليعاقبة بإرسال مطران إليهم، وذلك بعد سؤال ملك الحبشة المسمّى بالحطى - بلغتهم - وإرسال رسله وهداياه. وهم يدّعون أنّهم يحفظون مجاري النيل المنحدر إلى مصر ويساعدون /٣٠/ على إصلاح سلوكه تقرّباً لصاحب مصر.

وإنما المشهود منهم والمعروف عنهم من الصدق والأمانة، فهو مشهور. ولذلك يختار صاحب إقامتهم أمناء على الحريم والأولاد والأرواح والأموال، وكذلك بعض التجّار الكرامية، وذوي الأموال يجعلونهم على حفظ أموالهم وتجاراتهم وبضائعهم الثمينة ومكاسبهم الجليلة في قريب بلاد وبعيدها، وطويل المسافات وقصيرها. وهذا ماوصلني من أخبارهم، والله أعلم بالحق وعنده العلم الصدق.

* * *

الباب التاسع: في ممالك مسلمي السودان على ضفة النيل إلى مصر

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في الكانم.

الفصل الثاني: في النوبة.

الفصل الأول: في الكانم

مستقلّ بينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جداً، قاعدة ملكه بلدة اسمها جيمي مبدأ مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زلا، وآخرها طولاً بلدة يقال لها كاكا، وبينهما نحو ثلاثة أشهر وعسكرهم يتلثمون.

وملكهم على حقارة سلطانه، وسوء بقعة مكانه في غاية لا تدرك من الكبرياء يمسح برأسه عنان السماء مع ضعف أجنادٍ، وقلّة متحصل بلاد محجوب لايراه أحد إلا في يوم العيدين يرى بكرةً وعند العصر، وفي سائر السنة لايكلّمه أحد ولو كان أميراً إلاّ من وراء حجاب.

وربّما كان فيهم من أخذ في التعليم، ونظر من الأدب نظرة النجوم، فقال: إني سقيم، فمازال يُداوى علل فهمه، ويداري جامح علمه حتى تشرق عليه أشعتها ويطرز بديباجه أمتعتها.

غالبُ عيشهم الآن الأرز والقمح والذرة، وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان /٣١/ والرطب.

وأخبرني أبو عبد الله الشالجي: أنّه أخبره الشيخ الصالح المنقطع عثمان الكاغي ـ وهو من أقارب ملوكها ـ: أنَّ الأرز ينبت عندهم من غير بذر أصلاً، وهو ثقة.

قال الشلالجي: وسألت عن ذلك غيره، فأخبرني بصحة ذلك، ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندي، طول كل ثوب عشرة أذرع يشترون من ربع ذراع فأكثر. ويتعاملون أيضاً بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق ولكنه جميعه يسعر بذلك القماش.

وذكر ابن سعيد: أنَّ في جنوبيها شعاراً وصحاري فيها أشخاصٌ متوحشة كالغول تؤذي بني آدم، ولايلحقها الفارس، وهي أقرب الحيوانات إلى الشكل الآدمي.

وذكر القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه المعجم المسمّى «بالتكملة» أبا إسحاق إبراهيم الكانمي الأديب الشاعر[١] وحكى عنه، أنه قال: يظهر ببلاد الكانم بالقرب منها أمام الماشي في الليل شبيه قلل نار تُضيء، فإذا مشى ليلحقها بعدت عنه، ولو جرى إليها لايصل إليها بل لاتزال أمامه وربّما رماها بحجر فأصابها فيتشظى منها شرارات.

نقل لي هذا على مارآه في «التكملة» محمد السلالجي.

قال ابن سعيدٍ: وإنَّ بها يقطيناً تعظم اليقطينة إلى أن يصنع منها مركب يصير فيه في النيل. قال: وهذا مستفيض والعهدة على الحاكي.

وهذه البلاد بين إفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط، وهي بلاد قحط وشظف وسوء مزاج، مستولٍ عليها وأحوالها وأحوال أهلها خشنة.

وأوّل من بثَّ الإسلام فيها الهادي العثماني، ادّعى أنه من ولد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وصارت بعده لليزنيين من بني ذي يزن.

والعدل قائم في بلادهم، ومذهبهم مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ وهم ذوو اختصار في اللباس، يأنسون في الدين، / ٣٢/ وقد بنوا بفسطاط مصر مدرسة للمالكية ووفودهم تنزل بها.

الفصل الثاني: في النوبة

تلي مصر في نهاية جنوبها على ضفّتي النيل الجاري إلى مصر، وقاعدتها دنقلة ومدنها أشبه بالقرى، والضياع من المدن قليلة الخير والخصب، يابسة الهواء، ولذلك زهد فيها بنو أيوب في مدة السلطان صلاح الدين لمّا تجهَّز أخوه شمس الدولة[٢]

---

(١) إبراهيم بن يعقوب، أبو إسحاق الكانمي، أديب نحوي شاعر.
قدم إلى مراكش ومدح كبراء الدولة المؤمنية، واختلط بساداتهم، وانتفع بجاهاتهم، كانت العجمة في لسانه لكنه يعرب عن شعر فصيح ولفظ صحيح، وكان يحفظ الجمل في النحو وكثيراً من أشعار العرب.
توفي بحدود ٦٠٠هـ.
ترجمته في: قلائد الجمان ١/ ٨٥ـ ٨٦، الوافي بالوفيات ١/ ١٧٠ـ ١٧١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ـ ٦١٠هـ) ص ٤٠٠ـ ٤٠١ رقم ٥٦٠.

(٢) تورانشاه بن أيوب بن شاذي، شمس الدولة، فخر الدين: أمير، من الأيوبيين. وهو أخو السلطان =

لأخذها فعدل عن اليمن؛ لأنهم خافوا من الشهيد نور الدين محمود بن زنكي أن يقصدهم إلى مصر، وينتزع المملكة من أيديهم، فأرادوا فتح بلاد من ورائهم تكون ملجأً لهم فقصدوا النوبة، فلما رأوها بلاداً لاتصلح لمثلهم عدلوا إلى اليمن.

وأديان هذه البلاد دين النصرانية، وملكهم كأنّه واحد من العامة، ومن بلادهم لقمان الحكيم، وقد ذكره البيهقي في مفاخر النوبة.

ثم سكن مدينة أيلة مع اليهود، ورحل إلى بيت المقدس، ورأى أنبياء بني إسرائيل، وجالس داود ـ عليه السلام ـ.

قال ابن سعيد: رآه يصوغ الحديد، ويصنع منه حلقاً ولايعرف مايؤول إليه أمره، فصحبه على ذلك سنةً ولم يسأله عمّا يصنعه إلى أن كمل داود الدرع ولبسها، فقال لقمان: درع حصينة ليوم قتال كفتني عيني مؤونة لساني الصمت حكمة، وقليل فاعله.

قال: ومنها ذو النون المصري، أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم[1]. كان أبوه عبداً نَوبياً ـ وقد تقدم ذكره في الفقراء ـ.

= صلاح الدين لأبيه. نشأ في دمشق وسيّره صلاح الدين إلى اليمن ومعه الأمراء «بنو رسول» سنة ٥٦٩هـ، فأخضع عصاتها. وعاد منها، وصلاح الدين على حصار حلب، فوصل إلى دمشق (سنة ٥٧١هـ) فاستخلفه صلاح الدين فيها، فأقام مدة وانتقل إلى مصر (سنة ٥٧٤هـ) فمات فيها. وكان شجاعاً فيه كرم وحزم. وذكر سبط ابن الجوزي أنه كان أكبر من صلاح الدين ويرى نفسه أحق بالملك منه، وكانت تبدر منه كلمات في حال سكره. ولذلك أبعده صلاح الدين إلى اليمن فسفك الدماء، ولما عاد أعطاه بعلبك ثم أبعده إلى الاسكندرية فعكف بها على اللهو، ولم يحضر حروب صلاح الدين، ومات بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م فأرسلت أخته «ست الشام» وكانت شقيقته، فحملته في تابوت إلى دمشق فدفنته في تربتها.

ترجمته في: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٦، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، وبلوغ المرام ٤١، وابن الأثير ١١/ ١٤٨ ومرآة الزمان ٨/ ٣٦٢، بهجة الزمن ١٢٩ـ ١٣١، شذرات الذهب ٤/ ٢٥٥، العبر ٣/ ٧١ـ ٧٢، قرة العيون ٢٦٥ـ ٢٧٣، تاريخ ثغر عدن ٦٨ـ ٧٠، الأعلام ٤/ ٢٧.

(١) ذُو النُّون المِصْري، ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفيَّاض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد العباد المشهورين، من أهل مصر. نوبيّ الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م.

ترجمته في: طبقات الصوفية (مخطوط) ووفيات الأعيان ١/ ١٠١ وميزان الاعتدال ١/ ٣٣١ ولسان الميزان ٢/ ٤٣٧، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٤٠٨ـ ٤٣٠، وحلية ٩/ ٣٣١ ثم ١٠/ ٣ والشعراني ١/ ٥٩ وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، الأعلام ٢/ ١٠٢.

وقال صاحب «كتاب الأبرار» وممّا سمع منه: [من الطويل]

أموتٌ وما ماتتْ إليكِ صَبابتي ولا قُضيتُ منْ صِدقِ حُبّكِ أوطاري
وأنتِ مُنى سُؤلي وغايةُ مقصدي وموضعُ شكوائي ومكنونُ أسراري

وخدمه رجل على أن يعلّمه اسم الله الأعظم فمطله زماناً، ثم أمره أنّ يحمل من عنده طبقاً مغطى إلى شخص بالفسطاط، فلّما حمله استخفَّه، فقال: /٣٣/ لأبصِرنَ مافيه فكشفه فخرجت منه فارة فاغتاظ، وقال: ضحك عليّ ذو النون، فرجع إليه مغضباً، فلما رآه ذو النون تبسَّم، وقال: يامجنون ائتمنتك على فارة فخنتني فكيف أئتمنك على اسم الله الأعظم، قم عنّي فلا أراكَ بعدها.

وقيل له المصري؛ لأنّه سكن مصر ومات بها وقبره بالقرافة ـ رحمه الله تعالى.

وملكها ـ الآن ـ مسلم من أولاد كنز الدولة، وهؤلاء أولاد الكنز أهل بيت ثأرت لهم ـ فيما تقدم ـ ثوائر مرات، ولايملك بها الآن بها ملك إلاّ من الأبواب السلطانية بمصر.

وعلى ملوك دنقلة حمل مقرر لصاحب مصر، وهذه الأتاوة لاذهب فيها ولافضة، بل هي عدد من العبيد والإماء والحراب والوحش النوبية.

وحدّثني غير واحد ممن دخل بلاد النوبة: أنَّ دنقلة مدينة ممتدة على النيل وأهلها في شظف من العيش على أنّهم أصلح من كثير ممن سواهم من السودان. وبها مسجد جامع تأوي إليه الغرباء وتجيء رسل الملك إليهم تستدعيهم إليه فإذا جاءوا أضافهم ووهبهم وكرمهم هو وأمرأته، وأكبر إعطياتهم إما عبد وجارية، وإمّا أكثر أعطياتهم فهي دكاديك، وهي أكيسة غلاظ غالبها سود.

واللحوم والألبان والسمك عندهم كثيرة والحبوب قليلة إلاّ الذرة وأفخر أطبختهم مايعمل باللوبياء في مرق اللحم ويثرد، ويصفّ اللحم واللوبياء على وجه الثريد، ويعمل اللوبياء بورقها وعرقها. ولهم إنهماك على السكر بالمزر، ولهم ميل شديد إلى الطرب.

وحدّثني أحمد بن المعظمي وكان قد دخل مع أبيه إلى هذه البلاد وماوراءها في الرسلية مرات ـ: أنَّ ملوك السودان يتخذون كلاباً معلَّمة تنام على التخوت حولهم، وهي كالحراس لهم. والنوبة لهم قتال وبأسهم بينهم على ضعف قواهم وبأسهم.

* * *

الباب العاشر: في مملكة مالي وما معها

/ ٣٤/ اعلم أنَّ هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، قاعدة الملك بها مدينة «بيتي».

وهذه المملكة شديدة الحرّ، قشفة المعيشة، قليلة أنواع الأقوات، وأهلها طوال في غاية السواء وتفلفل الشعور. وغالب طول أهلها من سوقهم لامن هياكل أبدانهم. ملكها الآن اسمه سليمان ـ أخو السلطان موسى ـ منسى بيده ماكان قد جمعه أخوه مما فتحه من بلاد السودان، وأضافه إلى يد الإسلام، وبنى به المساجد والجوامع والمواذن وأقام به الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ وبقي بها سلطان المسلمين، وتفقّه في الدين.

وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لأنَّ التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحبّ إليه أن يقال: صاحب مالي؛ لأنّه الإقليم الأكبر، وهو به أشهر.

وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلاداً وأكثرهم عسكراً، وأشدّهم بأساً، وأعظمهم مالاً، وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء.

والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم: غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانبقوا، وزرنطابنا، وبيترا، ودومورا، وزاغا، وكابرا، وبراغوري، وكوكو ـ وسكان كوكو قبائل يرتان ـ وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة بيتي.

وكل هذه الأقاليم مضافة إليه والاسم المطلق عليه في هذه الأقاليم كلها مالي قاعدة أقاليم هذه المملكة ذوات المدن والقرى والأعمال أربعة عشر إقليماً.

حدّثني الشيخ الثقة الثبت أبو عثمان سعيد الدكّالي ـ وهو ممن سكن مدينة بيتي خمسة وثلاثين سنة واضطرب في هذه المملكة ـ: أنها هي مربعة طولها أربعة أشهر وأزيد، وعرضها مثل ذلك تقع جنوب مراكش ودواخل بر العدوة، جنوباً بغرب إلى المحيط، وطولها من مولي إلى طورو / ٣٥/ ـ وهي على المحيط ـ جميعها مسكونة إلاّ ماقلّ.

وأنَّ في طاعة سلطان هذه المملكة بلاد مغزازة التبّر يحملون إليه التبر في كل

سنة، وهم كفار همج، ولو شاء أخذهم، ولكن ملوك هذه المملكة قد جرّبوا أنه مافتح منهم أحد مدينة من مدن الذهب وفشا بها الإسلام ونطق بها داعي الأذان إلاّ قل بها وجود الذهب، ثم يتلاشى حتى يُعدم. ويزداد فيما يليه من بلاد الكفّار وأنّه لما فتح هذا عندهم على التجريب أبقوا بلاد التبر بأيدي أهلها الكفار ورضوا منهم ببذل الطاعة وحمول قرّرت عليهم.

وليس في مملكة صاحب هذه المملكة من يطلق عليه اسم ملك إلاّ صاحب غانة، وهو كالنائب له، وإن كان ملكاً.

وفي شمال بلاد مالي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها، وهم نيتصر، ونيتفراس، ومدوسة، ولمتونة، ولهم أشياخ تحكم عليهم إلاّ نيتصر فإنهم يتداولهم ملوك منهم تحت حكم صاحب مالي، وكذلك في طاعته قوم من الكفّار.

ومنهم من يأكل لحوم بني آدم، ومنهم من أسلم، ومنهم من هو باقٍ على هذا، وقد ذكر هذا في موضعه.

ومدينة بيتي ممتدة طولاً وعرضاً تكون طول بريد تقريباً، وعرضها كذلك لايحيط بها سور وأكثرها متفرقة.

وللملك عدّة قصور يستدير بها سور محيط بها، وفرع من النيل يستدير بهذه المدينة من جهاتها الأربع، وفي بعضها يخاض ويمشى فيه عند قلّة الماء، وفي بعضها لايعبر إلاّ بالمراكب.

وبناء هذه المدينة بأيادٍ من الطين مثل جدران بساتين دمشق، وهو أنه يبني تقدير نصف ذراع بالطين، ثم يترك حتى يجف ثم يبني عليه مثله هكذا حتى يتناهى. وسقوفها بالأخشاب والقصب، وغالب سقوفها قباب أو جملونات كالأقباء. وأرضها تراب مرمل، وشرب أهلها من ماء النيل وآبار محتفرة، وجميع هذه البلاد مصخرة مجبلة، وجبالها ذوات /٣٦/ أشجار برية مشتبكة غليظة السوق إلى غاية تكون منها الشجرة الواحدة تظلّ خمسمائة فارس.

وغالب أقواتهم الأرز والفوني، وهو دقٌّ مزغبٌ يدرس فيخرج منه شبيه حبّ الخردل أو أصغر، وهو أبيض بعسل ثم يطحن ثم يعجن ويؤكل. وعندهم الحنطة وهي قليلة، والذرة وفيها لهم قوت وعليق خيلهم، وطعم دوابهم.

وعندهم الخيل من نوع الأكاديش التترية، والبغال كلها صغار المقادير جدّاً، وكذلك كلّ دوابهم من البقر والغنم، والحُمر ليس يوجد منها إلاّ ذميم الخلق صغير الجثة. ويزرع عندهم شيء اسمه القافي، وهو عروق رقاق تدفن في الأرض فتزكو حتى

تصير غلاظاً طعمها شبيه بالقلقاس لكنّه ألذّ من القلقاس، وهو يزرع في الخلا، فإن أطلع الملك على أنّ أحداً سرق شيئاً منه قطع رأسه وعلّق مكان ماقطعه. هذه سُنّة عندهم يتوارثها كابر عن كابرٍ لاترخصها مسامحة، ولاتنفع فيها شفاعة.

ويزرع عندهم اللوبياء والقرع واللفت والبصل والثوم والباذنجان والكرنب، ولكن الباذنجان والكرنب قليل عندهم، وتطلع الملوخية بريّة.

وعندهم من الفواكه البستانية: الجُميز ـ وهو كثير عندهم ـ وتطلع عندهم أشجار برية ذوات ثمار مأكولة مستطابة فيها شجر يسمّى نادموت يحمل مثل القواديس في كبرها، وفي داخلها شبيه دقيق الحنطة ساطع البياض مُز لذيذ، ويعمل منه إذا جفّ في الحناء فيسوده مثل النوشادر، وهو يدخر عندهم للأكل والخضاب.

ومنها شجر يسمّى زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخروب يخرج منه شبيه بدقيق الترمس حلو لذيذ الطعم، وله نوى.

ومنها شجر يسمّى شومي يحمل شبيه السفرجل طعمه لذيذ يشبه طعم الموز، وله نوى شبيه بغضروف العظم يأكله بعضهم معه، وشجر اسمه فاريتي يحمل شبيه الليمون وطعمه شبيه بطعم الكمثرى بداخله نوى ملحم، يؤخذ ذلك النوى وهو طري ويطحن فيخرج منه شبيه بالسمن ويجمد مثله تبيض به البيوت وتوقد منه السُرج / ٣٧/ والقناديل، ويعمل منه صابون. وإذا أريد أن يؤكل ذلك الدهن يحرق بتدبير، وصورة تدبيره: أن يوضع على نارٍ لينة ويغطى ويترك إلى أن يقوى غليانه ويبقى الذي يدبره يشارفه مشارفة في إختباره ويرضعه بالماء قليلاً قليلاً مرات، وهو مغطّى محترز عليه أن يتناهى على قدر القوة ثم يترك حق يبرد ويستعمل في المأكل كالسمن، ومتى فوجىء بكشف الغطاء فار وطار وتصاعد إلى السقف وربما انعقد منه نار فأحرقت المكان، وربّما زاد فاحترقت البلد.

وهذا الدن يخرق كل جلد وضع فيه ولايحمله إلاّ ظروف القرع. ويوجد بها من الثمرات البرية ماهو شبيه بكل الفواكه السبتانية على اختلاف أنواعها، ولكنّها حريفة لاتستطاب ولايأكلها إلاّ السودان، وهي قوت كبير لهم.

وعندهم الملح موجود بخلاف الجوانيين والمسامتين بسجلماسة وما وراءها. وفي صحاريهم الجواميس برية تصاد كالوحوش صورة صيدهم لها أنّهم يحملون من بطونها الصغار ومايربى عندهم في البيوت، فإذا أرادوا صيد الجواميس أخرجوا واحداً منها إلى موضع الجواميس لتراه وتقصده وتتآلف به للجنسية التي هي علّة الصخر، فإذا

تآلفت بها رموها بنشاب مسموم عندهم ثم يقطعون مواضع السمّ ـ وهو موضع الرمية ـ وماحوله ثم يؤكل باقيه.

وأغنامهم ومعزهم لامرعى لها، وإنما هي جَلاَّلات على القمامات والمزابل، وتلد الواحدة من المعز في بطن واحد سبعة وثمانية.

وبصحاريهم أنواع الوحوش من الحُمْر والبقر والغزلان والنعام ومايجري مجراها والفيلة والآساد والنمور وكلّها لاتؤذي إلاّ من تعرَّض لها أو تحرش بها، وربما مرَّ الرجل بها إلى جانبها فلا تعترضه ما لم يهيجها.

وعندهم وحش يسمّى تُرمّي ـ بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم ـ ولايكون إلاّ خنثى له ذكر وفرج مولد بين الذئاب والضباع.

قال الشيخ سعيد /٣٨/ الدكالي: وقد رأيته ـ يعني وهو خنثى ـ قدر الذئب متى وجد في الليل آدمياً صغيراً أو مراهقاً خطفه وأكله. فأمّا بالنهار فلايؤذي ولا له إقدام على الرجل التمام، وهو ينعر كنعار الثور إذا أراد النطاح، وهو ينبش الموتى ويأكلهم، وأسنانه كأسنان التمساح ـ مصفحة ذكر في أنثى.

وفي مجرى النيل عندهم تماسيح كبار هائلة المقادير، يوجد منها مايكون طوله عشرة أذرع وأزيد.

قال الدكالي: وصيد منها تمساح وضع في قلبه رمح طوله عشرة اشبار ومرارته سمّ، وهي تحمل إلى خزانة ملكهم.

قال: والفيل يصاد في بلاد الكفار المجاورة لهم بالسحر حقيقة لامجازاً، والسحر بهذه البلاد كلها كثير إلى غاية وخصوصاً ببلاد غانة، وفي كل وقت يتحاكم عند ملكهم بسببه، ويقال: إنَّ فلاناً قتل بالسحر أخي أو ولدي أو بنتي أو أختي ويحكم على القاتل بالقصاص ويقتل الساحر.

وسلطان هذه المملكة يجلس في قصره على مصطبة كبيرة تسمّى عندهم بنبى ـ بالباء الموحدة والنون والباء الموحدة ـ على دكّة كبيرة من ابنوس كالتخت، يكون قدر المجلس العظيم المتسع، عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها الناب إلى الناب.

وعنده سلاحه من ذهب كلّه: سيف ومزراق وتركاش وقوس ونشاب وعليه سراويل كبير مفصل من نحو عشرين نصفية لايلبس مثله أحد، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوك من الترك وغيرهم ممن يبتاع له من مصر بيد واحدٍ منهم جتر حرير عليه قبة وطائر من ذهب، والطائر صفة بازي يحمل على يساره، وأمراؤه جلوس حوله من تحته سماطين يميناً ويساراً، ثم دونهم أعيان من فرسان عسكره جلوس، وبين يديه شخص

يغني له، وهو سيافه، وآخر سفير بينه وبين الناس يسمّى الشاعر، وحولهم أناس بأيديهم طبول يدقون بها، وبين يديه أناس يرقصون /٣٩/ وهو يتفرج عليهم ويضحك منهم، وخلفه صنجقان منشوران، وقدّامه فرسان مشدودان محصلان لركوبه متى شاء.

ومن عطس في مجلسه ضرب ضرباً مؤلماً، ولايسامح أحداً في هذا، وإنّما إذا جاءت واحداً منهم عطسة انبطح على الأرض وعطس حتى لايعلم به. وأما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم.

ولباسهم عمائم تحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن يزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللطف يسمّى الكميصيا، ومنهم شبيه بزيّ المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج، ويلبس أبطالهم الفرسان أساور ذهب فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقاً من ذهب، فإن زادت لبس معها خلاخل ذهب، وكلّما زادت فروسية الفارس منهم لبسه الملك سراويلاً متسعاً، وكلّما زادت فروسية البطل منهم يزيد في كبر سراويله. وصفة سراويلاتهم ضيق أكمام الساقين وسعة السرج.

ويمتاز الملك في زيّه بأنه يرخى له عذبة من بين يديه يكون سراويله من عشرين نصفية لايتجاسر على لبس هذا أحد غيره.

وملوك هذه المملكة يجلب إليها الخيل العِراب وتبذل الأثمان الكثيرة فيها. ومقدار عسكره مائة ألف نفر منهم نحو عشرة آلاف فارس فرسان خيالة وسائرهم رجالة لاخيل لهم ولامراكب. والجمال والمراكب عندهم موجودة ولايعرف بها ركوب والشعير معدوم عندهم بالجملة الكافية لاينبت عندهم البتة.

ولأمراء هذا الملك وجنده إقطاعات وإنعامات من أكابرهم من يبلغ ماله على الملك في كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ويتفقدهم بالخيل والقماش وهمته كلها في تحميل زيّهم، وتمصير مدنه. ولايدخل أحد دار هذا الملك إلاّ حافياً كائناً من كان فمن لم يخلع نعليه ساهياً كان أو عامداً قتل بلاعفو، وإذا قدم /٤٠/ القادم على هذا الملك من أمرائه أو غيرهم أوقفه قدّامه زماناً ثم يوميء القادم بيده اليمنى مثل من يضرب الجوك ببلاد توران وإيران فإذا أنعم على أحد بإنعام أو وعده بجميل أو شكره على فعل تمرغ ذلك المنعم عليه بين يديه من أول المكان إلى آخره، فلمّا وصل إلى آخره أخذ غلمان ذلك المنعم عليه، أو من هو من أصحابه من رماد يكون موضوعاً في أواخر مجلس الملك معدّاً هناك دائماً لأجل مثل هذا فيذُر في راس المنعم عليه، ثم يعود يتمرغ إلى أن يصل بين يدي الملك، ويضرب جوكاً آخر بيده ـ كما تقدّم ـ ثم يقوم.

وأمّا صورة هذا المشبه بضرب الجوك: أن يرفع الرجل يده اليمنى إلى قريب أذنه

ثم يضعها، وفي قائمة منتصبة وتلقيها بيده اليسرى فوق فخذه، واليد اليسرى مبسوطة الكف لتلتقي مرفق اليمنىٰ مبسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضها إلى جانب بعض كالمشط يماس شحمة الأذن.

وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج العربية، وهم في غالب أحوالهم كأنّهم منهم، ولكنهم يبدون في الركوب بالرجل اليُمنى خلاف الناس جميعاً.

ومن عاداتهم أن لايدفن عندهم ميت إلاّ إذا كان ذا قدرٍ وحشمة، وإلاّ فكلّ من سوى هؤلاء ممن لاقدر له. والفقراء والغرباء فإنه يرمى رمياً في الفلاة مثل ماترمى باقي الميتات.

وهي بلاد يسرع فيها فساد المدخورات وخصوصاً السَّمن فإنه ينتن ويجيف في يومين.

قلت: وليس هذا بغريب؛ لأنَّ أغنامهم جلاَّلات تأكل القمامات والمزابل. وبلادهم شديدة الحرّ، سريعة التحليل.

وملك هذه المملكة إذا قدم من سفر يحمل على رأسه الجتر راكب، وينشر على رأسه علم ويضرب قدّامه الطبول والطنابير والبوقات بقرون لهم فيها صناعة محكمة ومن عاداته إذا عاد إليه أحد ممن ندبه في شغل أومهمّ يسأله عن كل ماتمَّ له من حال من حين مفارقته له إلى حين عوده / ٤١/ مفصلاً. والشكاوى والمظالم تنتهي إلى هذا الملك فيفصلها بنفسه. وفي الغالب لايكتب شيئاً بل أمره بالقول غالباً، وله قضاة وكتّاب ودواوين، هذا ماحدّثني به الدكالي.

وحكى لي الأمير أبو الحسن علي بن أمير حاجب: أنه كان كثير الاجتماع بالسلطان موسى ملك هذه البلاد لما قدم مصر حاجّاً، وكان هو نازلاً بالقرافة، وابن أمير حاجب والي مصر والقرافة إذ ذاك، واتحدّت بينهم الصحبة، وأن هذا السلطان موسى حدّثه بكثير من أحواله وأحوال بلاده ومن يجاوره من أمم السودان.

فقال: ومما حدّثني به: أنَّ بلاده متسعة اتساعاً كثيراً، وهي متصلّة بالبحر المحيط، فتح بها بسيفه وجنده أربع وعشرين مدينة ذوات أعمال وقرى وضياع، وهي كثيرة الدواب من البقر والغنم والمعز والخيل والبغال وأنواع الطير الدواجن كالأوز والحمام والدجاج، وأنَّ أهل بلاده عدد كثيره وجمٌّ غفير، وهو بالنسبة إلى من جاورهم من أمم السودان المتوغلين في الجنوب كالشامة البيضاء في البقرة السوداء، وفي مهادنته أهل منابت الذهب، وله عليهم القطيعة. قال، فسألته: كيف نبات الذهب؟ فقال: يوجد على نوعين: نوع في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبت في الصحراء، وله

ورق شبيه بالنخيل أصوله التبر، والنوع الآخر يوجد في جميع السنة في أماكن معروفة على ضفات مجاري النيل فيحفر هناك حفائر فتوجد أصول الذهب: كالحجارة والحصى فيؤخذ وكلاهما هو المسمّى بالتبر، والأول أفحل في العيار، وأفضل في القيمة.

قال: وحدّثني السلطان موسى: أنّ الذهب حمى له يجمع له متحصله كالقطيعة إلاّ مايأخذه أهل تلك البلاد منه على سبيل السرقة.

قلت: والذي قاله الدكالي، إنه إنما يهادي بشيء منه كالمصانعة ويتكسب عليهم في المبيعات؛ لأنَّ بلادهم لاشيء بها. وقول الدكالي أثبت.

قال ابن أمير حاجب: /٤٢/ وشعار هذا السلطان أصفر في أرض حمراء تنشر عليه الأعلام حيث يركب، وهي ألوية كبار جداً، وخدمة القادم عليه، والمنعم عليه أن يكشف مقدم رأسه ويضرب بيده اليمنى جوكاً إلى الأرض نحو مايعمل التتار فإذا احتاج إلى أكثر من هذه الخدمة تمرغ بين يديه.

قال ابن أمير حاجب: وأنا رأيت هذا بالمشاهدة والعيان.

قال: ومن عادة هذا السلطان أنه لايأكل بحضور أحد من الناس كائناً من كان بل يأكل دائماً وحده بمفرده، ومن عادة أهل مملكته أنّه إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء قدّمها له أمة موطوءةً فيملكها بغير تزويج مثل ماملكت اليمين مع ظهور الإسلام بينهم وتمذهبهم بمذهب المالكية.

قال ابن أمير حاجب: هذا مع كون هذا السلطان موسى كان متديناً محافظاً على الصلاة والقراءة والذكر.

قال: فقلت له: إنَّ مثل هذا لايجوز ولايحلّ لمسلم شرعاً ولاعقلاً، فقال: ولا للمملوك، فقلت: ولا للمملوك، وسل العلماء؟. فقال: والله ماكنت أعلم وقد تركت هذا ورجعت رجوعاً كليّاً عنه.

قال ابن أمير حاجب: ورأيت هذا السلطان موسى محباً للخير وأهله، وترك مملكته واستناب بها ولده محمداً وهاجر إلى الله ورسوله فأدّى فريضة الحج فزار النبي ﷺ وعاد إلى بلاده على أنه يقرر لابنه الملك ويتركه له بالكلية، ويعود إلى مكة المُعظّمة، ويقيم مجاوراً بها فأتاه أجله ـ رحمه الله تعالى ـ.

قال ابن أمير حاجب، وسألته: إنْ كان له أعداء بينهم حروب وقتال؟، فقال: نعم، لنا عدو شديد هم في السودان كالتتار لكم، وبينهم وبين التتار مناسبة من جهات

منها أنهم وساع الوجوه، فطس الأنوف، ولنا ولهم وقائع، ولهم بأس شديد بإصابة رميهم بالنشاب، وبيننا وبينهم نوب والحروب تارات.

قلت: وقد ذكر ابن سعيد في المغرب طائفة الدماوم الذين خرجوا على أصناف / ٤٣/ السودان فأهلكوا بلادهم وهم يشبهون بالتتر. وكان خروج الفريقين في عصر واحد. انتهى كلامه في هذا المعنى.

قال ابن أمير حاجب، سألت السلطان موسى: كيف انتقلت إليه المملكة؟، فقال: نحن أهل بيت نتوارث الملك. وكان الذي قبلي لايصدق أنَّ البحر المحيط لايمكن الوقوف على آخره، وأحبّ الوقوف على هذا، وولع به فجهَّز مئين مراكب مملوءة من الرجال وأمثالها مملوءة من الذهب والماء والزاد مايكفيهم سنين، وقال للمسافرين فيها: لاترجعوا حتى تبلغوا نهايته، وتنفذ أزوادكم وماؤكم فساروا وطالت مدَّة غيبتهم ولايرجع منهم أحد حتى مضت مدّة طويلة، ثم عاد مركب واحد منها، فسألنا كبيرهم عما كان من أثرهم وخبرهم؟، فقال: تعلم أيها السلطان أنا سرنا زماناً طويلاً حتى عرض في لجة البحر وادٍ له جرية قوية، وكنت آخر تلك المراكب، فأمّا تلك المراكب فإنّها تقدّمت فلما صارت في ذلك المكان ماعادت ولابانت ولاعرفنا ماجرى لها، وأمّا أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي، قال: فأنكر عليه.

قال: ثم إنَّ ذلك السلطان أعدّ ألفي مركب الفاً له، وللرجال استصحبهم معه وألفاً للزاد والماء.

ثم استخلفني وركب بمن معه في البحر المحيط، وسافر فيه، وكان آخر العهد به، وبجميع من معه، واستقلَّ لي الملك.

قال ابن أمير حاجب: ولقد كان هذا السلطان مدَّة مقامه بمصر قبل توجهه إلى الحجاز الشريف وبعده على نمط واحدٍ في العبادة والتوجه إلى الله ـ عزّ وجل ـ كأنه بين يديه لكثرة حضوره. وكان هو ومن معه على مثل هذا مع حسن الزيّ في الملبس والسكينة والوقار. وكان كريماً جواداً، كثير الصدقة والبرّ خرج من بلده بمائة وسقٍ جمل من الذهب أنفقها في حجته على القبائل بطريقه من بلاده إلى مصر، ثم بمصر، ثم من مصر إلى الحجاز الشريف في التوجه والعود حتى احتاج إلى القرض فاستدان على ذمته / ٤٤/ من التجّار بمكاسب كثيرة وافرة جعلها لهم، بحيث حصل لهم ثلاثمائة دينار سبعمائة دينار ربحاً، ثم بعثها إليهم بالراجح.

قال ابن أمير حاجب: وبعث ليّ خمسمائة مثقال ذهباً على سبيل الافتقاد. وأخبرني ابن أمير حاجب: أنَّ المعاملة في بلاد التكرور بالودع، وأنَّ التجار أكثر

ماتجلب إليهم الودع وتستفيد به فائدة جليلة، إنتهى كلام ابن أمير حاجب.

قلت: وقد كان بلغني أوّل قدومي مصر وإقامتي بها حديث وصول هذا السلطان موسى حاجّاً، ورأيت أهل مصر لهجين بذكر مارآه من سعة إنفاقهم، فسألت الأمير أبا العباس أحمد بن الجاكي المهمندار ـ رحمه الله عليه ـ عنه فذكر ماكان عليه هذا السلطان من سعة الحال والمروءة والديانة؟.

وقال: لما خرجتُ لملتقاه ـ أعني من جهة السلطان الأعظم الملك الناصر ـ أكرمني إكراماً بليغاً وعاملني بأجمل الآداب، ولكنه كان لا يحدّثني إلاّ بترجمان مع إجادة معرفته للتكلم باللسان العربي.

ثم إنّه قدم للخزانة السلطانية جُملاً كثيرة من المذهب المعدني الذي لم يصنع غير ذلك وحاولته أن يطلع للقلعة ويجتمع بالسلطان فأبى عليّ وامتنع، وقال: أنا جئت لأحجّ لالشيء آخر ومأأريد أخلط حجّي بغيره، وشرع في الاحتجاج بهذا، وأنا أفهم أنه يرى الحضور نقصاً عليه لما يضطر إليه من تقبيل الأرض واليد، وبقيت أحاوله وهو يتعلل ويعتذر، والمراسم السلطانية تتقاضاني في إحضاره، فمازلت به حتى وافق، فلّما حضر إلى حضرة السلطان قلنا له: قبّل الأرض؟، فتوقف وأبى إباءً ظاهراً، وقال: كيف يجوز هذا؟ فأسر إليه رجل عاقل كان معه كلاماً لانعلمه، فقال: أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد، وتقدّم إلى السلطان فقام له بعض القيام وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وتحادثا حديثاً طويلاً.

ثم خرج السلطان موسى وبعث إليه السلطان / ٤٥/ بعدة من الخلع الكاملة له ولأصحابه: ولكلّ من حضر معه وخيلاً مسرّجة ملجمة، ولأعيان من معه. وكانت خلعته طرد وحش مقصّب كثير بسنجاب مقندس مطرز بزركش على مقترح إسكندري، وكلوته زركش وكلاليب ذهب، وشاش مجرور رقم خليفتي، ومنطقة ذهب مرصّعة، وسيف محلّى ومنديل مذهب جرّ وأعلام وفرسين مسرجين ملجمين بمراكب ثقل محلاّة وأجرى عليه الأتراك والإقامات الوافرة مدّة مقامه، فلمّا آن أوان الحج بعث إليه دراهم كثيرة وجمال وهجن خاص كاملات الأكوار والعدد لمراكبه واتباع لأصحابه ومن حضر معه، وأزواد جمّة، ورُكز له العليق في الطرق، ورسم لأمراء الركب بإكرامه واحترامه.

ثم لما عاد تلقيته وأنزلته واستمر على علوفاته وإنزاله وأرسل إلى السلطان متبركاً من هدايا الحجاز الشريف فقبله السلطان منه وبعث إليه بالخلع الكوامل له ولأصحابه والألطاف والتوابي من البز الإسكندري والأمتعة الفاخرة، ثم عاد إلى بلاده.

قال المهمندار: ولقد أفاض هذا الرجل بمصر فيض الإحسان لم يدع أميراً مقرّباً ولاربَّ وظيفة سلطانية حتى وصله بجملة من الذهب، ولقد كسب أهل مصر عليه وعلى

أصحابه في البيع والشراء والأخذ والعطاء مالايُحصر وبذلوا الذهب حتى أهانوا ـ في مصر ـ قدره وأرخصوا سعره.

قلت: ولقد صدق المهمندار فإنّه حكى مثل هذا غير واحدٍ. ولما مات المهمندار وجد الديوان فيما خلّفه آلافاً من الذهب المعدني مما أعطاه له باقياً على حاله في ترابه لم يصنع.

وحدّثني خلق من تجّار مصر والقاهرة عما حصل لهم من المكاسب والربح عليهم، فإنَّ الرجل منهم كان يشتري القميص أو الثوب والإزار وغير ذلك بخمسة دنانير /٤٦/ وهو لايساوي ديناراً واحداً، وكانوا في غاية سلامة الصدر والطمأنينة تجوز عليهم مهما جُوّز عليهم، ويأخذون كل قول يقال لهم بالقبول والصدق ثم ساءت ظنونهم بأهل مصر غاية الإساءة لما ظهر لهم من غشّهم لهم في كل قول وفي تراجحهم المفرط عليهم، وفي أثمان مايباع عليهم من الأطعمة والسلع حتى لو رأوا اليوم أكبر أئمة العلم والدين، وقال لهم: إنه مصري امتهنوه، وأساؤوا به الظنَّ لما رأوا من سوء معاملتهم لهم.

وحدّثني مهنا بن عبد الباقي العجرمي الدليل: أنه كان في صحبة السلطان موسى لما حجّ وأنه أفاض على الحجيج وأهل الحرمين سجال الإحسان. وكان في غاية التجمل وحسن الظن في سفره هو ومن معه وتصدّق بمال كثير.

قال: ونابني منه نحو مائتي مثقال من الذهب، وأعطى رفاقي جُملاً أخرى وبالغ مهنا في وصف ماراه منه من الكرم وسعة النفس ورفاهية الحال.

قلت: ولقد كان الذهب مرتفع السعر بمصر إلى أن جاؤوا إليها في تلك السنة كان المثقال لاينزل عن خمسة وعشرين درهماً ومازاد عليها، فمن يومئذٍ نزلت قيمته، ورخص سعره واستمر على الرخص إلى الآن لايتعدّى المثقال اثنتي عشرة درهماً ومادونها، هذا من مدّة تقارب إثنتي عشرة سنة إلى الآن لكثرة ماجلبوا من الذهب إلى مصر وأنفقوه بها.

قلت: ولقد جاء كتاب من هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر وهو بالخطّ المغربي في ورق عريض السطر إلى جانب السطر، وهو يمسك فيه ناموساً لنفسه مع مراعاة قوانين الأدب، كتبه على يد بعض خواصه ممن جاء يَحُجُّ ومضمونه السلام والوصية بحامله وجهز معه على سبيل الهدية خمسة آلاف مثقال من الذهب.

وبلاد مالي وغانة ـ ومامعها ـ يسلك إليهما من /٤٧/ غربي صعيد مصر على الواحات في برٍّ مقفر تسكنه طوائف من العرب، ثم من البربر إلى عمران يتوصل منه إلى مالي وغانه، وهي مسامتة بجبال البربر في جنوب مراكش ومايليها في قفار طويلة وصحار ممتدّة موحشة.

وحدّثني الفقيه العّلامة أبو الروح عيسى الزواوي، قال: حدثين السلطان موسى: أنَّ طول مملكته نحو سنة، وبمثل هذا أخبرني عنه ابن أمير حاجب.

وأمّا ماقاله الدكَالي ـ فقد تقدّم ذكره ـ وهو أنها أربعة أشهر طولاً في مثلها عرضاً. وقول الدكالي أثبت؛ لأن موسى منسي ربّما عظُم شأن ملكه.

قال الزواوي: قال لي هذا السلطان موسى: إنَّ عنده في مدينة اسمها تكرا معدن النحاس الأحمر تجلب منه القضبان إلى مدينة بيتي.

قال: وقال: ليس في مملكتي شيء يمكس سوى هذا النحاس المعدني الذي يجلب، فإنّه خاصة لاغير، ونحن نبعثه إلى بلاد السودان الكفّار نبيعه وزن مثقال بثلثي وزنه ذهباً فنبيع كل مائة مثقال من النحاس بستة وستين مثقالاً من الذهب وثلثي مثقال.

قال، وقال لي: إنَّ عنده أمماً من الكفّار في مملكته، وهو لايأخذ منهم الجزية، وإنما يستعملهم في استخراج الذهب من معادنه.

وقال لي: إنَّ معادن الذهب تحفر الحورة عمق قامة أو مايقاربها فيوجد الذهب في جنباتها وربّما يوجد مجتمعاً في سفل تلك الحفائر وملك هذه المملكة في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفّار السودان، وهم أمم لايستوعبهم الزمان.

قال لي الدكَالي: وأهل هذه المملكة كثير فيهم السحر والسمّ، ولهم عناية بهما، وتدقيق فيهما، وعندهم حشائش وحيوانات يركّبون منهما السموم القتّالة، ولاسيما من نوع السمك يوجد عندهم، ومرارات التماسيح فإنّها سموم لادواء لها.

وحدّثني الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصائغ الأموي، قال: حدثني الوزير أبو عبد الله محمد بن زاغنوه /٤٨/ من أهل بلدنا المرية بالأندلس ـ وهو ثقة من الفقهاء العلماء ـ قال: ركبت في مركب لتجارة لي مع جملة تجار من فم الأيلاية وهو مدخل البحر المحيط قاصدين بعض بلاد العدوة، فلعبت بنا الريح وتقاذفت الأمواج إلى أن عدينا المكان المقصود، وتمادى بنا الحال إلى أن عجزنا عن الإرساء إلى البر، ولم تزل على هذا تتغلغل في المحيط إلى الجنوب إلى أن دفعنا في ظلمات ممتدة إذا أخرج الإنسان بها يده لم يكد يراها، وأيقنا بالهلاك لوقوعنا في الظلمات، ثم لطف الله بسكون الريح فدارينا المركب ورفقنا به وقصدنا جهة البر إلى أن وصلنا إلى البر وأرسينا به وخرجنا نطلب الخلاص لأنفسنا فرأينا أعلام مدينة فقصدناها فوجدنا بها أمةً من السودان لما رأونا بيضاً عجبوا منا واعتقدوا أنا صبغنا جسومنا بالبياض فحكُّوا جلودنا بالليف، فلما ظهر لهم أنها خلقةٌ بقي كل واحد منهم يتعجب ويتحدَّثون بذلك بعضهم مع بعض فأقمنا عندهم فوجدنا غالب أكلهم لحوم الثعابين والحيات، وهي

كثيرة في أرضهم جداً يتصيدونها ويأكلون لحومها، ليس بأرضهم نبات ولا مرعى فأقمنا عندهم مدّة حتى خرج منهم ناس إلى بلاد مجاورة لهم في بعض أشغالهم فخرجنا معهم، ثم تنقلنا من مكان إلى مكان إلى أن وصلنا إلى برّ العدوة.

وحدّثني أبو عبد الله بن الصائغ: أنَّ الملح معدوم في داخل بلاد السودان فمن الناس من يغرر ويصل به إلى أناس منه يبدلون نظير كل صبرة ملح مثله من الذهب.

قال: وحدّثني أنَّ من أمم السودان الداخلة بل لايظهر لهم بل إذا جاؤوا وصنعوا الملح ثم غابوا فيصنع السودان إزاءه الذهب، فإذا أخذ التجار الذهب أخذوا هم الملح.

وحكى لي عيسى الزواوي، قال: حدّثت أنَّ رجلاً دخل بملحٍ ووصل إلى مدينة من مدن كفّار السودان فأهديت إلى ملكها شيئاً من الملح فقبلهُ وبعث إليَّ /٤٩/ بجاريتين من أحسن السودان صورة.

ثم حضرت عنده بعد أيام، فقال: بعثنا إليك بتلك الجاريتين فاذبحهما، وكلهما؛ لأنَّ لحمهما أطيب مما يؤكل عندنا، فلأيّ شيء ماذبحتهما؟، فقلت: مايحلُّ هذا عندنا، فقال: فأيّ شيء تأكل؟، قلت: لحم البقر والغنم، فبعث ببقرٍ وغنم.

قال: وحدّثت أيضاً أنَّ في بلاد هؤلاء السودان جبلاً عالياً لايمكن الصعود إليه، به أنواع من الفواكه والثمار ولاسبيل لهم إليها إلاّ بما ألقت إليهم الرياح مما يتساقط من أوراقها وثمارها.

قلت: ولم يذكر هذا عن بلاد الكفّار، وإن كان ليس من شرطنا، لكنّي ذكرته لغرابته وزيادة فائدةٍ؛ ولأنه يتعلق ببلاد السودان. وأمّا ما أقوله: فإنه قد كثر القول عمّن يأكل من السودان لحوم الناس، وهم الذين بلادهم متوغلة في غاية الجنوب، ومنهم من الزنج.

قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: وقد ذكرنا الزنج ونزعها ثناياها، قال: سألتُ مباركاً الزنجي الفشكار، فقلت: لم تنزع الزنج ثناياها؟

قال: سألت عن ذلك ولم يجد ناس منهم أسنانهم،

فقال: أما أصحاب التجديد فللقتال والنهش؛ لأنّهم يأكلون لحوم الناس، ومتى حارب ملك ملكاً فأخذه قتيلاً أو أسيراً فأكله، وكذلك إذا حارب بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب، وأمّا أصحاب القلاع فإنَّهم نظروا إلى مقادم أفواه الغنم فكرهوا أن تشبه مقادم أفواههم مقادم أفواه الغنم.

* * *

الباب الحادي عشر: في مملكة جبال البربر

وبلاد السودان أيضاً مثلثة: ثلاثة ملوك مستقلُّون مسلمون بيض من البربر، سلطان أهير، وسلطان دموسة، وسلطان دامكة.

هؤلاء الملوك الثلاثة البيض ملك أهير ودموسة ودامكة / ٥٠/ ثلاثتهم ملوك مسلمون في جنوب الغرب بين برّ العدوة مملكة السلطان أبي الحسن، وبين بلاد مالي وما معهما، وكل واحد منهم ملك مستقلّ بنفسه لايحكم أحد منهم على الآخر وأكبرهم ملك أهير.

وهم بربر زيُّهم نحو زي المغاربة دراريع إلاّ أنها أضيق وعمائم بأحناك. وركوبهم الإبل، ولاخيل عندهم ولاللمديني عليهم حكم ولالصاحب مالي. وعيشهم عيش أهل البر من اللحوم والألبان. والحبوب قليلة عندهم.

وحدّثني الشيخ سعيد الدكالي: أنّه مرّ بهم في بعض أسفاره ولم يقم عندهم، وهم في قلّة أقوات.

وحدّثني الزواوي: أنَّ لهؤلاء البربر جبالاً عامرة كثيرة الفواكه.

وقال: أنَّ كلما بأيدي هؤلاء الثلاثة يجيء قدر نصف ما لملك مالي أو أرجح بقليل، وإنّما ذلك أكثر دخلاً لقربه من بلاد الكفّار، وبها منابت الذهب، وهو قاهر عليهم، ودخله كثير بهذا السبب وبكثرة مايبع بمملكته من السلع ومايكتسبه في الغزوات من بلاد الكفار بخلاف هؤلاء فإنَّ بلادهم جدبة ولايد تمتدُّ لهم إلى كسب.

وغالب أرزاقهم من دوابهم ودون هؤلاء مما بينهم وبين مراكش جبال الصامدة، وهم خلق لايُعد، وأمم لاتحصى.

وهم يفخرون بالشجاعة والكرم وفيهم أعيان الكرماء، وبهم تُطَلُّ سواكب الدماء، وقد كانوا لايدينون لسلطان من سلاطين العدوة، ولايقدر أحد من ملوكها يفتلُ لهم في غارب ولاذروة، وقد وصلت الآن إلينا الأخبار بأنَّهم قد دانوا للسلطان أبي الحسن صاحب برّ العدوة الآن، وقد دخلوا تحت ذيل طاعته، وتقرب كل منهم إليه بما فيه وبما في قدرإستطاعته على أنهم لايملكون لأحد قيادهم، ولايسلّمون إليه بلادهم، وهم معه على كلّ حال بين صحة واعتلال، وهذا ما أنتهى إلينا من أخبارهم.

* * *

/٥١/ الباب الثاني عشر: في مملكة إفريقيّة

هي مملكة عظيمة، ولها شهرة عظيمة صحيحة الهواء، عذبة الماء، وسيعة المدى كانت في أول منشأ الدولة الفاطمية، ومقرّ ملكهم طلعت بها شمسهم من المغرب، وظهرت آية المتعجب.

ثم صارت إلى بني باديس واستقلُّوا بأعبائها، وامتدت لهم فيها أيام قضوا بهيبتِها، وبلغوا أمنيتها.

ثم كانت في أيام جدود ملوكها الآن ذات عزّ وسلطان امتدت بها مهابة الأمير أبي زكريا(١) وادّعى بها ابنه المستنصر الخلافة لما غلب على السبعة الملوك المنازليين

---

(١) أَبُو زَكَرِيَّا الحَفْصي: يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الحفصي، ولد سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس. ثار على أخيه عبد الله، واستمال إليه الجند، فتغلب على الملك سنة ٦٢٥هـ. وكانت الخطبة لبني عبد المؤمن (أصحاب مراكش) فقطعها، واستقل بدولته (سنة ٦٢٦) وخطب لنفسه. وفي أيامه استفحلت فتنة ابن غانية فقتله (سنة ٦٣١) ووجه نظره إلى توسيع ملكه، فاستولى على الجزائر وتلمسان وسجلماسة وسبتة وطنجة ومكناسة. وخافه فريدريك الثاني، فهادنه عشر سنوات. وخدم العلم، فأنشأ عدة مدارس ومساجد، وجعل لها الأوقاف، وأنشأ داراً للكتب جمع فيها ٣٦٠٠٠ مجلد. وكان كاتباً شاعراً، كثير الإحسان للمستورين. وفيه قال «ابن الأبار» سينيته المشهورة، وأنشدها بين يديه، أولها:

«أدرك بخيلك خيل الله، أندلسا ... إن السبيل إلى منجاتها درسا»

منها:

«هذي رسائلها تدعوك من كثب ... وأنت أفضل مرجوّ لمن يئسا»

«تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبي ... حفص، مقبلة من تربه القدسا»

قال صاحب «خلاصة تاريخ تونس»: «وأبو زكرياء هذا هو الذي ابتنى جامع القصبة وصومعته الجميلة الشكل، ونقش عليها اسمه، وأذّن فيها بنفسه ليلة تمامها، غرة رمضان سنة ٦٣٠».

وكانت وفاته ببونه سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، ودفن في جامعها، ثم نقل إلى قسنطينة.

ترجمته في: الخلاصة النقية ٦٠، والدولة الحفصية ٤٣ـ ٥٤، والمونس ط٢/١١٨ـ ١٢٠، الفوات ٢/ ٣٢١، أزهار الرياض ٣/ ٢٠٨، المنتخب المدرسي ١٠٠ـ ١٠٢، ابن خلدون ٦/ ٢٨٠ـ ٢٨٥، صبح الأعشىٰ ٥/ ١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٤٧٤، التعريف بابن خلدون ١١، خلاصة تاريخ تونس ١٠٧، البيان المغرب ٤/ ٢٩٠ـ ٤٨٢ وفيه: مات ببلد العناب، الأعلام ٨/ ١٥٥ـ ١٥٦.

له من الفرنج، ولم يخرج بنفسه إلى لقائهم، وإنما اكتفى بإخراج سبعة قوادٍ نازلوهم، ونصبوا محلاتهم بإزاء محلاتهم[١]، وليس هذا مما نحن بصدده.

[حدود إفريقية:]

وإفريقية إسم الاقليم، وقاعدة الملك بها مدينة (تونس) وأضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس، يكون طولها خمسة وثلاثين يوماً، وعرضها عشرين يوماً. وطولها من تدلس إلى حدود برقة، ومملكة طرابلس أول مدنها مما يلي برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلي الغرب الأوسط. وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جناوة المسكونة بأمم من السودان. ومن الشرق آخر حدود طرابلس وهي داخلة في المحدود.

ومن الشمال البحر الشامي، ومن الغرب آخر حدود تدلس المجاورة لجزائر بني مزغنة آخر عمالة صاحب بر العدوة، وملوكها الآن من بني أبي حفص أحد العشرة أصحاب محمد بن تومرت أصحاب الغرب.

[النقود والمكاييل:]

وحدثني الشيخ العالم زكي الدين أبو عبد الله محمد بن القويع القرشي التونسي[٢]

---

(١) يعلّق الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب قائلاً: «وقع هنا إلتباس تاريخي كبير للمؤلف، ولذا أرى من الواجب إزالة شبهة وإثبات حقيقة، وذلك أن المستنصر بالله ـ واسمه محمد بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ـ ثاني الأمراء الحفصيين المتولي سلطنة إفريقيا من سنة ٦٤٧ إلى سنة ٦٧٥هـ ـ لم يدع الخلافة بسبب إزاحة الإفرنج عن مملكته كما ذكره العمري هنا، وإنما تلقب بها حين وافته البيعة الرسمية من أمير الحجاز وشريف الحرمين الشريفين علي ٦٥٧ وذلك باثني عشر سنة قبل نزول النصارى الصليبيين على اطلال «قرطاجنة» ـ الواقع في خلال عام ٦٦٩ ـ حسبما ذلك مثبوت ومبسوط في معاجم التاريخ ولا سيما في كتاب العبر للعلامة ابن خلدون الذي بسط القول في هذا المقام ونقل لنا نص البيعة المرسلة من أمير مكة إلى المستنصر على طولها وأبان وجه تخصيص الأمير الحفصي بها دون غيره بسبب انقراض الخلافة العباسية من بغداد على يد «هولاكو» كبير التتر وشغور الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً من سلطان يحفظ بيضة الإسلام ولذا وقع اختيار امراء الحرمين على أكبر واشهر ملك مسلم في ذلك الوقت وهو المستنصر بالله.

وأظن أن المؤلف ـ سامحه الله ـ قصد هذا الالتباس واراد به التقرب من ملوك عصره من المماليك بمصر والشام ـ وفوق كل ذي علم عليم».

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري، ركن الدين، أبو عبد الله، ابن القويع: من فضلاء المالكية. كان يفتي، مع اشتغاله بالحكمة والطب. ولد بتونس سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م، وتعلم بها وبدمشق، واستقر بالقاهرة. قال ابن سيد الناس: كان لا يخل بالمطالعة في كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة، فقلت له يوماً: إلى متى تنظر في هذا الكتاب؟ فقال: أريد أن أهتدي! توفي سنة =

أنها بلاد خصب تزرع على الأمطار، ومعاملتها من الدراهم / ٥٢/ نوعان: أحدهما يسمى القديم، والآخر الجديد، ووزنهما واحد ولكن نقد الجديد خالص ونقد القديم مغشوش بالنحاس للمعاملة، وإذا قيل درهم ولم يميز يراد به العتيق وتفاوت مابينه وبين الجديد أن كل عشرة عُتُق بثمانية جدد[1]. وفي مصطلحهم أن كل عشرة دراهم من العتيق دينار. وهذا الدينار هو دينار مسمى لاحقيقة له كالدانج بإيران، والجيشي بمصر.

ورطلها ست عشرة أوقية، ووزن الأوقية إحدى وعشرون درهماً من دراهمها، والكيل اثنان: قفيز وصحفة. فأما القفيز فهو ستة عشر ويبة، كل ويبة اثنا عشر مداً قروياً يقارب المد النبوي، وهي ثمانية بالكيل الحفصي، والحفصي هو كيل قرره ملوكها الحفصيون آباء ملكها الآن وأما الصحفة فهي عشر صحاف كل صحفة اثنا عشر مُداً بالحفصي: نحو مدّ ونصف من المقدم ذكره.

وأوسط الأسعار بها في الغالب من أوقاتها كل قفيز بخمسين درهماً[2] من العين، والشعير دون ذلك.

[نباتات إفريقية:]

والموجود بها من الحبوب: القمح، والشعير، والحمص، والفول، والعدس، والذرة، والدخن، والجلبان، والبسلة ـ وتسمى بإفريقية البسيم ـ وأما الأرز فمجلوب إليها. وبها من الفواكه: العنب، والتين وكلاهما على أنواع، والرمان الحلو والمر والحامض، والسفرجل، والتفاح، والكمثرى، والعناب، والزعرور، والخوخ أنواع، والمشمش أنواع، والتوت الأبيض والأسود المسمى بالفرصاد، والعين، والقراسيا[3]، والزيتون. والأترج، والليمون، والليم، والنارنج وأما الجوز فقليل، وكذلك النخل،

= ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م له شعر وتآليف، منها «تفسير سورة ق»، و«تعليق على ديوان المتنبي».
ترجمته في: ديوان الإسلام ـ خ. وبغية الوعاة ٩٧ والدرر الكامنة ٤/ ١٨١ـ ١٨٤ وفيه: نقل عن بعض المغاربة أن «القويع» طائر، الأعلام ٧/ ٣٥.

(١) زيادة على النقدين الذهب والفضة كانت الدولة الحفصية ضربت في تونس فلوس نحاس يسمى واحدها «الحندوس» وأول من اتخذها الأمير المستنصر الأول في سنة ٦٦٠ حسبما ذكره الزركشي «تاريخ الدولتين ص٢٩».

(٢) ذكر الزركشي: أن سنة ٧٥٥ ارتفع سعر الطعام بتونس إلى أن بلغ القفيز من القمح أحد عشر ديناراً والشعير دون ذلك «تاريخ الدولتين ص٨٠».

(٣) القراصيا ـ وتكتب أحياناً جراسيا ـ هي المعروفة في القطر التونسي بحب الملوك. وأصل اللفظ يوناني معرّب وهو عند الافرنج: .Cerise

وأما الفستق والبندق فلايوجد، وكذلك الموز، وبها فاكهة أخرى تسمى «مصغ» دون الجوزة المقشورة الصغيرة وأكبر من البندقة يجيء في زمان الشتاء وطعمه بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ولونه بين الحمرة والصفرة وله نوى وهو يقطف من شجرة فجاً، ثم يلبس ويثقل ويُدفّى كما يعمل بالموز فينضج حينئذٍ ويؤكل.

قلت: وهذا ذكره ابن وحشية في كتاب «الفلاحة النبطية».

وأما قصب السكر فيوجد منه ماقل بها ولايعتصر. وبها البطيخ الأصفر على أنواع، والبطيخ الأخضر ولكنه قليل ويسمى بها خاصة، وبالغرب عامة الدلاع، وبها الخيار والقثاء، واللوبياء، واللفت، والباذنجان، والقرنبيط، والكرنب، والبقلة اليمانية واسمها بليدس، والرجلة، والخس، والهندبا على أنواع، وسائر البقول، والملوخيا ولكنها قليلة، وبها الهيلون[1] والصعتر، والثمار بريّة كلها، وبها من الرياحين: الآس، والورد ومعظمه أبيض، والياسمين، والنرجس، والنيلوفر الأصفر، والترنجان، والمنثور، والمرزنجوش[2]، والبنفسج، والسوسن، والزعفران، والحبق، والنمام[3].

[حيوانات إفريقية:]

وبها من الدواب: الخيل العراب المشابهة لخيل برقة، والإبل، والبغال، والحمير والبقر، والغنم، والمعز، وبها الإوز ولكنه قليل. وأنواع الصيد من الكركي - ويسمى عندهم الغرنوق - وكذلك الوحش بها: الحُمر الوحشية، والبقر، والنعام، والغزال، وغير ذلك. وغالب سعر لحم الضأن كل رطل افريقي بدرهم عتيق. وبقية اللحوم دونه في القيمة، وفي الربيع يكثر ويرخص غير هذا رخصاً كثيراً. والدجاجة الجيدة بدرهمين جديدين وأحوالها مقاربة للديار المصرية في مثل هذا لقرب المجاورة.

[مدن إفريقية:]

وأما مدنها الكبار: فالقاعدة تونس، والمشرقيات على الساحل: سوسة، والمهدية، وصفاقس، وقصر زياد، وقابس، والمغربيات على الساحل: بنزرت، وبلد العناب - وهي بونة - والقل، وجيجل، وبجاية، وتازروت، وآزفون، وتدلس، وقبلي

(١) الهيلون: هو النبات المعروف في القطر الإفريقي بالسكوم. ويسمى أيضاً عند علماء النبات من العرب (أسبراج) ومنه اسمه الافرنجي: Asperge (حسني).

(٢) المرزنجوش: هو المعروف الآن في القطر التونسي باسم المردقوش كما بينه الطبيب محمد الصقلي التونسي في كتابه المختصر الفارسي (قلم) (حسني).

(٣) النمام هو النبات المعروف في إفريقيا بالمنتهى (حسني).

تونس إلى الجنوب: القيروان، وجنوبيها بلاد الجريد وأمها توزر، وبقربها تفيوس[١] وهي بلاد ذات نخيل وزيتون، وحامة البهاليل بين توزر وتونس، على طريق القيروان قفصة ذات نخيل وزيتون، وبغربي توزر على نصف يوم منها نقطة. وغربي تونس، بعيداً من البحر: باجة / ٥٤/ على يومين منها. وبالقرب منها خولان على نهر بَجْرَدة. وفي جنوبيهما بغربي تونس: جامة. وتبرسق، وكسرة، وبالقرب من ذلك مما يلي الغرب: الأربس، وشقبنارية، وفي القرب منها مما يلي الغرب: أبة وهي قصور مجتمعة نحو مائة وخمسين قصراً، وبالقرب منها على مسيرة يوم: قلعة سنان وهي قصر لايعرف على وجه الأرض أحصن منه، على رأس جبل منقطع عن سائر الجبال ليس في رأسها ماء إلا المطر، بها خمس مراحل نقر في حجر، وهو جبل عال يقصر سهم العقَّار عن الوصول إليه، ويرتقي إليها من سُلّم نقر في حجر طوله مائة وتسعون درجة، وبأسفلها قصبة بها عين ماء، وبها فواكه وأثمار.

ومن عمالتها قسطنطينة وهي بلد كبير متحضرة في غاية الحصانة والمنعة.

[مدينة تونس:]

فأما (تونس) فهي قاعدة الملك، ثم تليها بجاية قاعدة ملك ثانية.

وهي مدينة مسورة في وطاءة من الأرض بسفح جبل يعرف بأم عمرو، ويستدير بها خندق حصين وثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها، وأرضها سباخ، وبها قصبة ـ وهي القلعة في مصطلح المغاربة ـ هي سكن السلطان، وجميع بناء تونس بالحجر والآجر، مسقوفة بالأخشاب وتفرش ديار أكابرها بالرخام. ومنذ خلا الأندلس من أهله وأووا إلى جناح ملوكها مصر وإقليمها ونوعوا بها الغراس فكثرت منتزهاتها وامتد بسيط بساتينها على بحيرة من البحر الشامي خارجة إلى شرقيها من فم ضيق.

قال أبو عبيد البكري[٢]: دورها أربعة وعشرون ميلاً في وسطها جزيرة يقال لها

(١) تفيوس: وتسمى الآن دقاش (حسني).

(٢) أبو عُبَيد البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة علاّمة بالأدب، له معرفة بالنبات، نسبته إلى بكر بن وائل، كانت لسلفه إمارة في غربي جزيرة الأندلس، وقيل: كان أميراً وتغلب عليه المعتضد. وقال الصفدي: «كان ملوك الأندلس يتهادون مصنفاته، وكان معاقراً للراح، مدمناً، يكاد لا يصحو.

ولد في شلطيش ـ غربي إشبيلية ـ وانتقل إلى قرطبة، ثم صار إلى المرية، فاصطفاه صاحبها (محمد بن معن) لصحبته، ووسّع راتبه، وهذا ما حمل بعض المؤرخين على نعته بالوزير، ورجع إلى قرطبة بعد غزوة المرابطين، فتوفي بها عن سن عالية سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.

=

(شكلة) لاساكن بها يركب إليها السلطان ويقطع في المراكب إليها زمن الربيع ويضرب أخبيته بها ويقيم للتنزه فيها أياماً ثم يعود على أنه لاماء فيها ولامرعى ولكن لما تشرف عليه من البساتين المستديرة بتلك البحيرة ومافيها من الجواسق المشرفة ومنظر البحر...

[مدارس تونس:]

وبتونس ثلاث مدارس: الشماعية، والمعرضية، ومدرسة الهواء(١).

وبها الحمامات والأسواق /٥٥/ الجليلة، ويعمل بها القماش الإفريقي، وهو ثياب رفيع من القطن والكتان معاً، ومن الكتان وحده، وثيابها أمتع من النصافي البغدادي وأحسن، وهو أجل كساوي المغرب.

وللسلطان بستانان أحدهما ملاصق لرباض البلد اسمه (رأس الطابية) والآخر بعيد من البساتين اسمه (أبو فهر) بينه وبين البلد نحو ثلاثة أميال. والماء مساق إليهما

= له كتب جليلة، منها: «المسالك والممالك ـ ط» طبع جزء منه بعنوان «المغرب في ذكر إفريقية والمغرب» و«معجم ما استعجم ـ ط» و«أعلام النبوة» و«شرح أمالي القالي ـ ط» و«التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه ـ ط» و«فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ـ لابن سلام ـ ط» و«الإحصاء لطبقات الشعراء» و«وأعيان النبات» وله «رسائل» بعث بها إلى بعض معاصريه، وإنشاؤه مسجع على طريقة كتّاب زمانه.

ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٢٨٢، طبقات الأطباء ٢/ ٥٢، بغية الوعاة ٢٨٥، آداب اللغة العربية ٣/ ٨٤، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٨ـ ٥٠، سمط اللآلي، تحقيق عبد العزيز الميمني/ مقدمته، الأعلام٤/ ٩٨.

(١) المدرسة الشماعية مشهورة بالحاضرة وهي من مؤسسات أبي زكريا الأول؛ ومدرسة الهواء. وتعرف أيضاً بالتوفيقة أنشأتها الأميرة عطف زوج أبي زكرياء الأول وأم المستنصر بالله في حدود سنة ٦٥٠ .وأما المعرضية ـ وسماها في صبح الأعشى الفرضية غلطاً ـ فلم يبق لها عين ولا أثر. وكانت هذه المدرسة في الكتبيين أمر ببنائها الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي في سنة ٦٨٣ .

قال الزركشي: كان سكنى هذا الأمير بدار الغوري وكان نزيه النفس محباً للعلم وأهله، وكان بإزاء دار الغوري [بالكتبيين] فندق يسكنه أهل السرف فبلغه ذلك فأمر أن يبنى مدرسة للعلم، فبني مدرسة (المعرض) وحبس عليها ريعاً كثيراً اشتراه بماله مع كتب نفيسة في كل فن من فنون العلم؛ ولما كمل بناؤها جلس فيها المدرس الشريف أبو العباس أحمد الغرناطي ووجه الأمير للمدرس قرطاسين بذهب وفضة وقال له: «فرقها على كل من تجد في المدرسة» فسمع الناس ذلك فجاءوها من كل مدرسة حتى امتلات ولم يجد أحد أين يجلس، وكان يحضر مجلسه للوعظ يوم الاثنين والجمعة فيطلق العنبر والعود ما دام المجلس، وأجرى على المدرس رزقاً كثيراً قدره عشرة دنانير في الشهر، وجعل بين دار سكناه وبين المدرسة طاقة يسمع منها ما يقرأ فيها». «تاريخ الدولتين ص٤٧».

من ساقية زغوان من جبل بعده يوما من تونس، ويدخل القصبة منه فرع. وليس لأهل تونس شرب إلا من الآبار، أحدهما (بئر طبيان) وبالبيوت صهاريج تجمع مياه الأمطار لغسل القماش وغير ذلك.

[التعريف ببجاية:]

وأما (بجاية) فهي مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصارا به كالشيء الواحد، والربض في وطاءة، والمدينة القديمة المتصلة به في سفح جبل، يدخل إليها جون من البحر الشامي يعبر بالمركب إليها، وبها عينان اثنتان من الماء، أحداهما كبيرة منها شرب أهل البلد، ولها نهر جار على نحو ميلين منها تحفُّ به البساتين ليس إلا إلى أن يَصُب في البحر الشامي، وبضفتيه للسلطان بستانان متقابلان شرقاً وغرباً: الشرقي يسمى (الرفيع) والغربي يسمى (البديع) هما مكان فرجته ومحل نزهته، وفيهما يقول محمد بن محمد المكودي الفاسي بديها حين رآهما: [من الكامل]

هذا البديعُ كما رأيتَ بديعُ   وكذا الرفيعُ كما عهدتَ رفيعُ
هذي معاهدُ كلُّها معشوقةٌ   والحسنُ فيها كلُّه مجموعُ

وهي ثانية تونس في الرتبة والحال، وجميع المعاملات والموجودات والأحوال.

ولبجاية حصانة عظيمة ومنعة، ولها رفق كثير بمدخل السفن إليها من البحر.

وبقية مدن افريقية جميعها ممنّعة ممدنة ذوات جوامع، ومساجد، وحمامات، وطواحين، وأسواق، وديارات سرية، لكنها عاطلة من حلى البر والمعروف لايكاد يوجد بها مدرسة ولاخانقاه ولازاوية ولارباط /٥٦/ ولامارستانات إلا فاس ومراكش وإن لم يبلغا أدنى رتب أمثالهما ولاتعلقا بأذيالها، على أن الذي بمراكش أجود وسيأتي ذكرهما في موضعه.

[جلوس السلطان للمظالم:]

وحدثني أقضى القضاة أبو الروح عيسى الزواوي: أن أبواب ملوك إفريقية كبيرة، فإذا جلس سلطانها جلس حوله ثلاثة للرأي والمشورة، ويجلس دونهم عشرة من أكابر أشياخه، وقد يكون هؤلاء الثلاثة من العشرة المذكورين، وبعد هؤلاء خمسون نفراً، فإذا أمر السلطان بأمر بلّغه وزير الجند لآخر واقف وراءه وبلّغه الآخر لآخر إلى أن يسمع الأمر السلطاني من خارج الباب لنقل أناس كما ذكرنا، ويقف جماعة تسمى بالوقّافين بأيديهم السيوف حوله وهم دون الخمسين المذكورين في الرتبة.

[نظام ركوبه للسفر:]

وأما ركوبه إلى صلاة العيدين أو إلى سفر فهو على مايذكر: يركب السلطان ويمشي إلى جنبه رجلان مقلدان سيفين رجالة إلى جانبه، ويمسك أحدهما بركابه اليمين والآخر بركابه اليسار ويليهما جماعة رجالة من أكابر دولته مثل الثلاثة أصحاب الرأي والعشرة الذين يلونهم، ومن يجري هذا المجرىٰ من أعيان الجند وتسمى هذه الجماعة (ايربان) يمشون حوله بالسيوف وبأيدهم عكاكيز.

قال الزواوي: وربما مشى في هؤلاء قاضي الجماعة، وهو عندهم قاضي القضاة، وقدام هؤلاء الجماعة المشائين نفرٌ كثير من أقارب السلطان بسيوف ومزاريق ويسمون بالمشائين، وقدامهما جماعة (جفاوة) [وهم عبيد سود بأيديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير، وزي هؤلاء العبيد المسمين جناوة لبس جباب بيض مقلدين بالسيوف بأيديهم هذه الحراب]، وقدامهم عبيد المخزن وهو اسم لعوام البلد، ينادى فيهم ليلة العيد أو ركوب السلطان للسفر، فيخرج أهل كل صناعة وتبيت بظاهر البلد، فإذا أصبح مشوا قدام جفاوة وبأيديهم الدرق والسيوف ومعهم العلم الأبيض المسمى عندهم (العلم المنصور) محمولاً بيد فارس، وأهل الأسواق /٥٧/ المسمين بعبيد المخزن حوله كما ذكرنا.

وعلى يمين السلطان فارس وعلى يساره فارس هما من أكابر أشياخه من العشرة المقدم ذكرهم.

وخلف السلطان فارس إليه أمور الأعلام والصناجق يقال له: (صاحب العلامات) مثل أمير العلم، ووراءه أعلام القبائل، ولكل قبيلة في علمها ما تمتاز به من الكتابة والكتابة: «لاإله إلا الله»، أو «الملك لله» أو ما يناسبهما، ووراء الأعلام الطبول والبوقات وأصحاب النفير، وخلفهم فرسان يعرفون (بمحركي الساقة) بأيديهم عصي يرتبون الناس، وهؤلاء هم بمنزلة النقباء. وخلف هؤلاء العسكر والدند، والفارس الذي على يمين السلطان إليه أمر دق الطبول يقول: دق فلان! باسم كبير الطبالة.

[خروجه في العيدين:]

ويخرج السلطان لصلاة العيدين من طريق ويعود من آخر، وهذا هو زي ملوك هذه المملكة وترتيبهم في الخروج للعيدين والأسفار، لايزال من حول السلطان ممن ذكرنا أنهم يمشون بقدر ساعة ثم يركبون، ويطوف بالسلطان جماعة يقرؤون حزباً من القرآن الكريم، ثم يقف السلطان ويدعو ويؤمن وزير الجند على دعائه، ويؤمن الناس

على تأمينه، ويجد السلطان والناس السير، فإذا كانوا في فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب، [فإذا ضاق بهم الطريق مشوا كيف جاء على غير ترتيب]، إلا أن السلطان لايتقدم عليه جنده، فإذا قربوا من المنزلة وقف السلطان ودعا وأمن على دعائه كما تقدم.

وأعلام هذا السلطان التي تحمل له سبعة أعلام: التي تحمل واراءه الأوسط أبيض، وإلى جانبه أحمر، وأصفر، وأخضر.

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن القويع: ولاأتحقق كيف ترتيبها.

[خروجه لصلاة الجمعة:]

وقد ذكر ابن سعيد(١): أن شعار سلطان إفريقية يوم الجمعة لايجتمع بأحد بل يخرج عندما ينادي المنادي ويشق رحبة قصره مابين خواص من المماليك الأتراك، فعند مايعاينوه ينادون: سلام عليكم! نداء عالياً على صوت واحد يسمعه من يكون بالمسجد الجامع، ثم يتقدمه وزير الجند بين يديه في ساباط يخرج هناك للجامع /٥٨/ عليه باب مذهب سلطاني، والوزير لايخرج معه من هذا الباب بل يسبق فيفتح الباب، ويخرج السلطان منه وحده، ويقوم له جماعة الوقافين من أعيان الدولة ولايقوم له في الجامع غيرهم، وليس له مقصورة مخصوصة فإذا انفصل عن الصلاة قعد في قبة كبيرة له

---

(١) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمار بن ياسر: مؤرخ أندلسي، من الشعراء، العلماء بالأدب. ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٤م، ونشأ واشتهر بغرناطة. وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل: في دمشق سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. من تآليفه «المشرق في حلي المشرق ـ خ» و«المغرب في حلى المغرب ـ ط»، وهو من تصنيف جماعة، آخرهم ابن سعيد؛ و«المرقصات والمطربات ـ ط» في الأدب، و«الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة ـ ط» و«الأدب الغض» و«ريحانة الأدب» و«المقتطف من أزاهر الطرف ـ خ» و«الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد» تاريخ بيته وبلده، و«ديوان شعره» و«النفحة المسكية في الرحلة المكية» و«عدة المستنجز» رحلة، و«نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ـ خ» و«وصف الكون ـ خ» و«بسط الأرض ـ ط» كلاهما في الجغرافية، و«القدح المعلى ـ ط» اختصاره في تراجم بعض شعراء الأندلس، و«رايات المبرزين ـ ط» انتقاه من «المغرب». وأخباره كثيرة وشعره رقيق جزل.
ترجمته في: نفح الطيب ١/ ٤٥٣ وبغية الوعاة ٣٥٧ وفوات الوفيات ٢/ ٨٩ وعلماء بغداد ١٤٥ وهو فيه «علي بن سعيد الغماري» تحريف «العماري» نسبة إلى عمار بن ياسر. والفهرس التمهيدي ٣٤٣، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٩٩، وآداب اللغة العربية ٣/ ٢٠٧، مقدمة المغرب في حلي المغرب، الأعلام ٥/ ٢٦.

في صدر الرحبة وحضر عنده أقاربه، ثم يدخل قصره.

[في خروجه لقصره:]

قال: وربما خرج إلى بستان له من أعظم ما تهممت ببنيانه الملوك، واحتفلت بغرسه السلاطين[١]، ويخرج في نحو مائتي فارس من شباب أرباب دولته يعرفون (بالصبيان) يوصلونه إلى البستان ويرجعون، ويبقى وزراؤه نواباً له وهم ثلاثة: وزير الجند وهو بمثابة الحاجب بمصر، ووزير المال وهو المسمىٰ صاحب الاشغال، ووزير الفضل وهو كاتب السرّ. ومهما تجدد عند كل واحد منهم أمر يطالعه بالمكاتبات بما يتعلق بشغله المنوط به ويجاوبهم بما يراه.

---

(١) يعلق الأستاذ حسن حسني قائلاً: «كان لبني حفص بستانان يعرف الأول (برأس الطابية) ومكانه قرب تونس معروف. والثاني هو (أبو فهر) كان في الموضع المسمى اليوم بالنقرة من غابة الجبل الأحمر قرب اريانة ـ وبهذه المناسبة لا بأس بإيراد ما وصف به العلامة ابن خلدون تلك المعالم الذاهبة ـ ورب الدار ادرى بما فيها ـ قال: «واتخذ المستنصر بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف (بأبي فهر) يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات، اغترس فيها من شجرة كل فاكهة من أصناف التين والرمان والنخيل والأعناب وسائر الفواكه وأصناف الشجر، ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البري، وسمى دوحته هذه (بالشعراء)؛ واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والحدائق وشجر النور والنزه من الليم والنارنج والسرو والريحان وشجر الياسمين والخيري والنيلوفر وأمثاله؛ وجعل وسط هذه الرياض روضاً فسيح الساحة وضع فيه للماء حائزاً من عداد البحور جلب إليه الماء في القناة القديمة كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة حتى تنبعث من فوهة عظيمة إلى صهريج عميق المهوى رصيف البناء متباعد الاقطار مربع الفنا مجلل بالكلس فيفهق حوضه وتضطرب أمواجه تترفه الحظايا عن السعي بشاطيه لبعد مداه، فيركبن في الجواري المنشئات تبجه فيتبارى بهن تباري الفتح. ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرى وصغرى على أعمدة المرمر مشيدة جوانبها بالرخام المنضد ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والاشكال المنمقة إلى ما اشتملت عليه هذه الرياض من المقاصير والأواوين والحوائز والقصور غرفاً من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.

«ثم وصل المستنصر ما بين قصوره ورياض رأس الطابية بحائطين ممتدين يجوزان عرض العشرة اذرع أو نحوها طريقاً سالكاً ما بينهما. وعلى ارتفاع عشرة أذرع يحتجب به الحرم في خروجهن إلى تلك البساتين حتى لا تقع العيون عليهن؛ فكان ذلك مصنعاً فخيماً وأثراً على أيام الدولة خالداً» (العبر ١/ ٤١٢) طبعة الجزائر.

وزيادة على القصرين المتقدمين انشأ المتأخرون من الأمراء الحفصيين ـ في القرن التاسع ـ قصوراً بديعة محفوفة بالبساتين والرياض مثل قصر (العبدلية) بالمرسى وقد بقيت آثاره إلى الآن، وقصر (باردو) الذي سكنه بعدهم المراديون والحسينيون».

قلت: وركوبه إلى البستان في زقاق من قصبته محجوب بالحيطان لايراه فيه أحد. والمشهور أن سلطانها الآن قليل الركوب فإذا ركب إلى هذا البستان لايكون معه إلا جواريه وخدمه.

قال ابن سعيد: ويوم السبت مخصوص عنده لأن يقعد في القبة الكبيرة يعني بقصبته، ويحضر عنده أعيان دولته وأقاربه والأشياخ، والجانب الأيمن لأقاربه والأيسر للأشياخ، وبين يديه: وزير الجند، ووزير المال، وصاحب الشرطة، والمحتسب، وصاحب كتب المظالم ـ.

قلت: وهو الموقع على القصص.

قال: ويقرأ يعني قصص المظالم الكاتب المعين بما وقع إليه ويرد إلى وظيفة القصة المتعلقة بوظيفته وينفذ الباقي.

قلت: والمشهور على ألسنة التونسيين أن سلطانهم[1] كثير الاحتجاب بخلاف سلفه، قليل الاعتناء بالنظر في مصالح أهل دولته ورعاياه، مقتصر على لذاته مع ماهو عليه من الشجاعة والإقدام وإباء النفس، ويحكى عنه في أوائل طلبه للملك ومنازعة الثوار عليه له ماأقرت له به الأبطال، وقرّت بزلزاله الجبال، ويدل على قوله فعله وعلى فعله / ٥٩/ قوله[2]: [من البسيط]

---

(١) يريد سلطان تونس في زمانه وهو: أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الأول ابن عبد الواحد بن أبي حفص. كنيته أبو يحيى ولقبه المتوكل على الله.
ولد بقسنطينة في شعبان عام ٦٩٢ وتولى الامارة الحفصية بتونس في الثامن من ربيع الثاني سنة ٧١٨. وكان شجاعاً جميل الصورة كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام.
وحصلت له وقائع كثيرة مع بقايا الاعراب من هلال وسليم النازحين إلى البلاد فأوقع بهم المرات. وشاغبه في الملك بعض أقاربه واستنجدوا ببني عبد الواد ملوك تلمسان فأمدوهم بالجيوش العظيمة وقدموا افريقية فانهزم أبو بكر والتجأ إلى عمل قسنطينة ـ سنة ٧٢٥ ـ ولما ضاق هذا السلطان ذرعا من بني عبد الواد سعى في الاتحاد مع بني مرين ملوك المغرب الأقصى وزوّج ابن سلطانهم ابنته فلما تم له ذلك اتفق مع صهرة على مهاجمة بني عبد الواد، وبعد قليل اغتصبا ملك تلمسان واقتسماه بينهما (سنة ٧٣٠) وبذلك استراح أبو بكر من القلاقل وزهت له الأيام، وقضى آخر حياته في الاهتمام بعمران افريقية. وروى أصحاب الأخبار أن عدد دكاكين العطارين في الحاضرة بلغ في أيامه إلى سبعمائه دكان. وذكر ابن أبي دينار أنه كان يصنع من الخبز في تونس في مدته كل يوم أربعة آلاف قفيز من القمح فألف تبل وألف تطحن وألف تغربل وألف تعجن» وقس على ذلك. وتوفي أبو بكر المتوكل على الله بعد مدة طويلة في رجب عام ٧٤٧. وهو يعد من كبار سلاطين بني حفص وأعيان أقيالهم. (راجع: تاريخ الدولتين ص٥٤، والمؤنس ص ١٣٥، وخلاصة تاريخ تونس ص١١٩) (حسني).

(٢) أورد القلقشندي في صبحه (٥/ ١١٥ و١١٦) البيتين الأولين من هذا المقطوع وكذا من المقطوعين =

انظرْ إلينا ترانا مابنا دَهَشُ ... وكيفَ يطرقُ أسدَ الغابةِ الدَهَشُ
لاتعرفُ الحادثَ المرهوبَ أنفسُنا ... فإننا بارتكابِ الموتِ ننتعشُ
نسقي أحبتَنا منْ صِرْفِ خَمْرتِنا ... في طُولِ ليلِتنا حتى بدا الغَبَشُ
منْ كفِّ ظبيٍ سقاني من مُدامتِهِ ... لترتوي عطشاً فازدادَ بي العَطَشُ
كأنَّ وجنتَها منْ حُمْرةٍ شَفَقٌ ... وشعرَها غَسَقٌ بالجسمِ مفترشُ
فالقوسُ حاجبُها والسهمُ مقلتُها ... وإنْ فررتَ فإنَّ السالفَ الحَنَشُ

فانظر مانطق به أول هذه الأبيات من إقدامه، ثم ماجذبته إليه دواعي النفس من ذكر حبيبه ومدامه. وأما ماهو ممحض بوصف شجاعته وجلده فهو قوله: [من الطويل]

مَواطُننا في دهرهنَّ عجائبُ ... وأزمانُنا لم تعدُ عنها الغرائبُ
مواطنُ لمْ تحكِ التواريخُ مثلَها ... ولاحدَّثتْ عنها الليالي الذواهبُ

وأدل على مافيها فعله قوله في الاعتذار عن هزيمة لاقى بها كل عظيمة:

ومنْ قاتلَ الصفينِ وامتازَ مانعاً ... وقدْ نهلتْ منهُ الظُّبَى فهو غالبُ

قال هذه الأبيات التي هي من قصيدة طويلة عقيب وقعة جرت بينه وبين قواد السلطان ابن تاشفين عبد الرحمن صاحب تلمسان قرب قلعة سنان وثبت لملاقاة عدوه ثباتاً كبيراً وقد انهزم كل جنده حتى جرح ثلاث جراحات، وأخذ له ولدان من أولاده وحظاياه فقال هذه الأبيات ومدح في آخرها سلطان المغرب وذكر فيها بعثه ولده أبا زكريا يحيى في البحر لاستنجاده فمد له للمساعدة ساعداً، وسدَّد لأعدائه سهماً قاعداً، ولما أخذت أولاده صبا إليهم واشتاقهم وقال يتسلى بعدهم وفراقهم: [من الطويل]

طَمَتْ في دُموعي للفراقِ بَحورُ ... وأجَّجَ مابينَ الضلوعِ سَعيرُ
وفارقتُ قلبي يومَ فارقتُ صِبيتي ... فلِلّهِ أحياءٌ خلتْ وقصورُ
وقلتُ له ياقلبُ صبرا فقالَ لي ... حَنانَيْكَ إنّي نَحْوَهنَّ أسيرُ
/ ٦٠/ عسى اللهُ يُدني للمحبينَ أوبةً ... فتشفى قلوبٌ منهمُ وصُدورُ
وكمْ منْ قصيٍّ الدارِ أمسى بحُزنِهِ ... فأعقبَهُ عندَ الصباحِ سُرورُ

ثم لجأ إلى بلد العناب ثم بجاية وبعث ولده كما ذكر إلى أبي سعيد عثمان والد سلطانها الآن يستصرخ به، فطلع إلى قريب تلمسان لنصرته ثم رد لمرض عرض له وأوصى ولده السلطان أبا الحسن الآتي ذكره في خبر بر العدوة بإتمام مابدأ به من نجدتهم. ثم إن صاحب إفريقية بعث الشيخ العارف أبا الهادي إلى صاحب تلمسان

= بعده ونسب جميعها إلى الأمير الحفصي أبي العباس أحمد الذي كان متولياً افريقية في عصره (من سنة ٧٧٢ إلى سنة ٧٩٦). وهو وهم محض إذ إن مؤلفنا العمري نسب هذه الأبيات كلها إلى السلطان الحفصي في وقته وهو المتوكل على الله أبو بكر المتقدم الذكر. فلينتبه. (حسني).

فأعاد إله أبنيه أحمد وعمر ومربيته لاعب، وأما الحظايا فأبت له نفسه استردادهن. وهذه الواقعة من الأسباب في أخذ صاحب بر العدوة لتلمسان وسيأتي هذا في مكانه. وهذه فائدة جاءت عرضاً في هذا التأليف وإن لم تكن من شأنه.

ونعود إلى ماكنا فيه من ذكر قصص الظلامات.

[المكاتبات الرسمية:]

قال ابن سعيد: والذي يتولى إبلاغ الظلامات إلى هذا السلطان يسمى (صاحب الرقاعات) يأخذ براءات المتظلمين ـ أي قصصهم ـ ويعرضها ويخرج بجوابها.

قلت: وهذا بمثابة الدوادار(١).

قال ابن سعيد في المُغرب: وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن القوبع فيما حدثني به: إن هذا السلطان لايعلم على شيء يكتبه عنه وإنما يعلم عنه صاحب العلامة الكبرى.

قال ابن القوبع: في الغالب يكون صاحب العلامة الكبرى كاتب السر، وهذا في الأمور الكبار، والعلامة «الحمد لله والشكر لله»، وأما مادون هذا فإنما تكون الكتابة فيه عن وزير الجند يكتب عليه صاحب العلامة الصغرى اسم وزير الجند(٢)، ومن خاصية كتب هذا السلطان أن تكتب في ورق أصفر، وأما ما يكتب عن وزير الجند ففي غير الأصفر، ومن عادة المغاربة كلهم أن لا تطول كتبهم ولا تبعد بين سطورهم كما جرت به العادة في مصر والشام وإيران.

---

(١) الدوادار: من الكلمة (دوات دار) أي صاحب الدواة، وتعني الكاتب «انظر: فرهنگ رازي ٣٥٦».

(٢) قال الزركشي: وفي يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة من سنة ٦٥٠ رأى المولى المستنصر الاقتصار على لفظ الأمير قصورا فتسمى بأمير المؤمنين، وأمر أن يذكر في الخطبة ويطبع بالذهب؛ وفي ذلك اليوم تلقب بالمستنصر بالله واختار للعلامة «الحمد لله والشكر لله». ثم رأى شيخ الدولة أبو سعيد عثمان المعروف بالعود الرطب حين تقرر من أمر العلامة ما تقرر أن الأوامر السلطانية قد تنفذ بأمور صغيرة لا ينبغي الكتب بمثلها عن الخليفة فقسم الكتب إلى علامة صغيرة وكبيرة: فالأوامر الكبيرة الصادر عن الخليفة تكتب بالعلامة التي وقع الاختيار عليها والكتب الصغيرة التي يكبر قدر الخليفة عنها تكتب عما يعينه الخليفة لذلك، وتنفذ بعلامة أُخرى تشعر بأن ذلك عن أمر الخليفة، فانقسمت العلامة إلى كبرى وصغرى، فالكبرى موضعها في أول الكتاب بعد البسملة والصغرى معلمة في آخره لصدوره عن الخليفة (تاريخ الدولتين ص ٣٣).

ترتيب الجند:

وسألت الإمام أبا عبد الله بن القويع عن طبقات الجند في هذه المملكة ومبلغ أرزاقهم في ديوانه فقال: هؤلاء على ماقدره لهم المهدي يعني مهديهم محمد بن تومرت، / ٦١/ وهكذا كان عبد المؤمن وأبناؤه لما كان لهم المغرب، ليس لهم أمراء ولاأتباع يطلب بعدتهم كعدة الأمراء بمصر، وإنما لهم اشياخ من أعيانهم لاعدة لهم ولاجند، ولا المرء منهم إلاّ بنفسه، وإنما هم أعيان الجماعة ممن يحضر عند سلطانهم الرأي والمشورة.

قلت: وقد تقدم القول عليهم، قال: ولكل طائفة (مزوار) وهو كبير لهم يتولى النظر في أحوالهم.

وأما الجند فهم من الموحدين والأندلسيين ومن قبائل العرب وقليل ممن هرب وأقام عندهم من مصر، والفرنج هم خاصة السلطان يقال لهم (العلوج) لا يُطمئن إلاّ إليهم.

[أرزاق الجند:]

وأما أرزاقهم فإن أعظم بركاتهم ـ يعني أرزاقهم ـ التي هي بمعنى الإقطاعات بمصر، وهو لجماعة الموحدين، والسلطان يأخذ معهم كواحد منهم سواء بسواء، وهذه البركات تفرق اربع مرات في كل سنة: في عيد الفطر تفرقة، وفي عيد الأضحى تفرقة، وفي ربيع الأول المبارك تفرقة، وفي رجب تفرقة، ولايصيب كل واحد من الموحدين في كل تفرقة من هذه التفريقات الأربع إلا أربعين ديناراً مسماة فتكون بثلاثمائة درهم عتيقة، ولاكابر هؤلاء من هذه البركات أراض مطلقة تحرث وتزرع لهم أو تحكر ويكون لهم عشر مايطلع منها.

[طبقات الجند:]

قال القاضي أبو القاسم بن بنون: طبقات الجند بافريقية، أشياخ كبار، وأشياخ صغار، ثم الوقافون، ثم عامة الجند، فأما البركات فهي ما ذكر وأما مقدار مالكل واحد فحرث عشرة أزواج بقرا. والزوج هو محرث أربع من البقر؛ لأن الزوج بشعبتين، والشعبة رأسان من البقر.

قلت: وهذه الشعبة هي المسامة في بلد دمشق بالفدان، فيكون جملة ما لكل واحد من أهل هذه الطبقة العالية في كل سنة مائة وعشرين ديناراً مسماة، عنها ألف ومائتا درهم مغربية، عنها من نقد مصر والشام ستمائة وخمسة وسبعون درهماً،

ومايتحصل من مغل عشرين فداناً، لعله لايكون بأكثر من مثلها، فيكون تقدير جملة مالهذا الرجل الكبير في الدولة في كل سنة / ٦٢/ ألف وثلاثمائة وعشرة دراهم، وهذا بمنزلة أحد أمراء الألوف بمصر والشام والنوين أمير التومان بإيران.

قال: وأما الأشياخ الصغار فلهم مع ذلك البركات لكل واحد محرث خمسة أزواج من البقر.

[إحسانات الجند:]

قال: ولعامة الأشياخ الكبار والصغار والوقافين والجند شيء آخر يفرقه السلطان عليهم يسمى المواساة وشيء آخر يسمى الإحسان. فأما المواساة فهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلال التي تتحصل في المخازن، وأما الإحسان فمبلغ يفرق عليهم، وكلاهما من السنة إلى السنة.

قال: وهذه المواساة والإحسان ليست مضبوطة بقدر مخصوص بل على قدر مايراه السلطان وبحسب أقدار الناس، وإنما هو شيء يجمل الجميع ويتفاوت مقدار العطايا بينهم.

قال: وأما القبائل ومزاويرهم فمما يناسب هذا ولكني لاأحزره.

قال ابن القويع: والجند الغرباء يتميزون في العطيات على الموحدين.

[وظيفة الوقافين:]

وسألته عن حقيقة معنى الوقافين ماهم؟، فقال: هؤلاء لهم خاصية بالسلطان، يسكنون معه في القصبة ـ يعني القلعة ـ وهم طبقتان: وقافون كبار، ووقافون صغار، وهؤلاء كلهم يقفون بين يديه في أوقات جِلوسه إذا جلس للناس، وهم بمنزلة الأمراء الخاصكية بمصر.

وقال لي القاضي ابو القاسم بن بنون: إن سلاطين إفريقية ليس يخلعون على من يولونه وظيفة مثل مايعمل في مصر، وإنما إذا أرادوا أن يخلعوا على أحد لامر مايكسونه، والكسوة هو قماش يعطى للإنسان تفاصيل غير مفصلة يتصرف فيها كيف أراد.

[المرتبات:]

وسألت الإمام أبا عبد الله بن القويع عن أرزاق القضاة والوزراء والكتّاب فقال: ليست بطائلة. وأما وزير الجند فهو مثل واحد من الأشياخ. قال ابن بنون: ومبلغ ما

لقاضي الجماعة فهو خمسة عشر ديناراً مسمى في كل شهر، وكان له معها عليق لبغلته فقطع العليق، وماأعرف غير هذا، وعلى هذا فقس.

[أهل الرتب:]

وسألت /٦٣/ ابن القويع عن أرباب الوظائف ماهم؟ فقال: شيخ الموحدين كأنه نائب، ويسمى الشيخ المعظم، وهو يتولى عرض الموحدين وأمورهم. وأما الوزير فليس له كثير أمر ولا وضع ولالسائر الوظائف إلاّ الأسماء.

[إحصاء الجيش:]

قال أبو عبد الله بن القويع: وعدة العسكر لعلها لاتبلغ عشرة آلاف فارس، وأما العرب أهل البادية فعدد جم، ولهم إقطاعات كثيرة، وشوكتهم قوية، ومنهم من يخرج مع السلطان إذا استدعاهم القائم بسلطنتها الآن، فأما قبله فقل ماكان يسكن شغبهم أو يسكن أبْيَهم، لانتظام أمر هذا السلطان، وماطبع عليه من الشجاعة ولاعتضاده بالسلطان أبي الحسن المريني صاحب بر العدوة منذ تزوج بنته أبو الحسن(١) فثبت بنيانه، ونفذ سلطانه، وسياتي من ذكره في موضعه مافيه دلالة.

[لباس السلطان:]

وأما زي صاحب إفريقية القائم الآن في لبسه فهو: عمامة ليست بمفرطة في الكبر تحنك وعذبة صغير وجباب، ولايلبس هو ولاعامة أشياخه وجنده خفاً إلا في السفر، وغالب لبسه ولبس أكابر أشياخه من قماش يسمى (السفساري) يعمل عندهم من حرير وقطن أو حرير وصوف أما أبيض أو أحمر أو أخضر، وقماش يعرف بالحريري وهو صوف رفيع جداً، وقماش يعرف بالتلمساني مما يعمل بتلمسان وهو نوعان: مختم وغير مختم، منها صوف خالص ومنها صوف وحرير.

وقال ابن بنون: والسلطان يمتاز بلبس الخز ولونه لون الخضرة والسواد، قال:

---

(١) يشير إلى المصاهرة الحاصلة بين أبي بكر المتوكل على الله الحفصي وأبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني سلطان المغرب الأقصى وقد سبقت الاشارة إلى ذلك، وتزوج أبو الحسن في سنة ٧٣٠ بالاميرة (فاطمة) بنت المتوكل على الله، وقد ذكرنا أنها مصاهرة سياسية أوجبتها عداوة الدولة الحفصية والدولة المرينية لبني عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط (راجع تفصيل تلك الحوادث في تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٧٢ طبع الجزائر ـ وتاريخ الدولتين للزركشي ص٥٦). .

وهذا اللون هو المسمى (بالجوزي) و(بالغبار) وبالنفطي.

قال ابن سعيد: وهو مما يخرج من البحر بصفاقس، وأنا رأيته كيف يخرج: يغوص الغواصون في البحر، فيخرجون كمائم شبيهة بالبصل بأعناق في أعلاها زَوْبَرة فتنشر في الشمس، فتنفتح تلك الكمائم الشبيهة بالبصل عن وبر، فيمشط ويخرج صفوه ويغزل ويعمل منه طعمة لقيام حرير، وينسج منه ثياب مختمة وغير مختمة، وهو أفخر ثياب السلطنة بتونس. ويبلغ ثمن الثوب مائتي دينار من دنانيرهم المسماة /٦٤/ فيكون ثمنه ألف درهم من نقد مصر والشام.

قلت: ولقد رأيت هذا القماش على بعض أكابر الكتاب بدمشق، ثم رأيته على بعض سفلة الكتّاب بمصر وهذا المسمى بمصر والشام بوبر السمك.

[لباس أهل الرتب:]

وأما لبس الأشياخ، والدواوين، والوقافين، والجند، والقضاة، والوزراء، والكتّاب، وعامة الناس، فعلى زي واحد، لاتكاد تتفاوت العمائم والجباب، ولايمتاز الأشياخ والوقافون والجند إلا بشيء واحد لايكاد يظهر ولايبين، وهو صغر العمائم وضيق القماش.

ولبس اهل افريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الأكسية ومن الثياب القطن، فمن لبس غير هذا مما يجلب من طرائف الإسكندرية والعراق كان نادراً شاذاً.

قلت: وقد ذكر ابن سعيد في المغرب جملة من ترتيب سلاطين إفريقية زمان سلطانها عبد الواحد بن أبي حفص[1] مما أذكره هنا؛ لأنه ليس بالعهد من قدم، والسلطان القائم الآن من أبناء ذلك السلطان، ولو تغيرت الأحوال ماتغيرت فهي مازالت بالجملة، فلهذا نذكر ماذكره ابن سعيد. قال وقد ذكر عبد الرحمن بن أبي حفص مامعناه:

---

(١) عبد الواحد بن عمر أبي حفص بن يحيى الهنتاني الحفصي، أبو محمد: مؤسس دولة «الحفصيين» في إفريقية الشمالية. كان أبوه من موطّدي دعائم الملك لعبد المؤمن الكومي. ونشأ هو في ظل بني عبد المؤمن بمراكش، واستوزره أحدهم (الناصر لدين الله، محمد بن يعقوب) ثم ولاه تونس سنة ٦٠٣هـ، فضبط إفريقية وقمع ثوراتها. واستمر تابعاً لأصحاب مراكش، إلى أن توفي بتونس سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. كان عاقلاً مظفراً، لم تهزم له راية.

ترجمته في: الخلاصة النقية ٥٧ـ ٥٩، والاستقصا ١/ ١٩٤، والدولة الحفصية ٣٧ـ ٤٢، الأعلام ٤/ ١٧٦.

أنه كان يجلس في يوم السبت لمطالعة مايقرأ عليه من قصص المتظلمين السائلين حتى من شكا إليه الغربة سأل عنه فإن كان مشكور السيرة أطلق له الصداق وأجرى عليه رزقاً.

[لباس أبي زكرياء الأول:]

وذكر في ترجمة ولده أبي زكرياء بن عبد الواحد أنه يلبس الثياب الصوف الرفيعة ذوات الألوان البديعة، وأكثر مايلبس المختم الممتزج من الحرير والصوف، وكماه طويلان من غير كثرة طول ضيقان من غير أن يكونا مزندين، ثيابه دون شد نطاق إلا أن يكون في الحرب فإنه يشد المنطقة، ويلبس الأقبية، وله طيلسان من صوف في غاية اللطافة كأنه شرب يتردى به ولايضعه على رأسه، وله عمامة كبيرة من صوف أو كتان وفيها طراز من حرير، ولايعمم أحد من أهل دولته على قدرها في الكبر، قد اختصت به وبأقاربه، وليس له أخفاف في الحاضرة، / ٦٥/ ولكنه يلبسها في السفر، وله عذبة خلف أُذنه اليسرى، وهذه العذبة مخصوصة به.

[أجناس الجند:]

وجنده مختلفو الأجناس: فمنهم الموحدون الذين أسسوا له الدولة، يعني من أصحاب مهديهم ابن تومرت.

قال: ومن قبائل (زناتة) المنضافين إليهم أصناف مشهورون بالفروسية، وجموع من (الغز) القدماء الذين هاجروا إلى المغرب في مدة بني عبد المؤمن(١)، ونحو ألف فارس من المماليك الأتراك أبتيعوا من مصر، وجميع الجموع من الأندلس والغرب.

[هيأة الملك الرسمية:]

وقاعدته في مدينة مملكته ـ يعني تونس ـ أنه يخرج باكراً كل يوم إلى موضع يعرف بالمدرسة، ويبعث خادماً صغيراً يستدعي وزير الجند من موضعه المعين له، فيدخل عليه رافعاً صوته بسلام عليكم من بُعد، من غير أن يومىء برأسه، ولايقوم له السلطان،

---

(١) يشير إلى عساكر الغز الذين دخلوا افريقية في حدود سنة ٥٧٠ مع المملوكين شرف الدين قراقش الأرمني وإبراهيم بن قراتكين من موالي صلاح الدين الأيوبي الفارين من مصر إلى المغرب في خبر طويل. واغتصبت هذه الطائفة الشاردة بلاد طرابلس وجنوب القطر التونسي فحاربهم الأمير يعقوب المنصور الموحدي وأوقع بهم بقفصة ـ سنة ٥٧٣ ـ واستخدم بعض رماة أولئك الغز في جندة (راجع رحلة التجاني. قلم) «حسني».

ويجلس بين يديه، ويسأله السلطان عما يتعلق بأمور الجند والحروب، ثم يأمره باستدعاء من يريده من أشياخ الجند أو العرب أو من له تعلق بوزير الجند، ثم يأمر باستدعاء وزير المال ـ وهو المعروف بصاحب الأشغال ـ فيأتي معه ويسلمان جميعاً من بعد على السلطان وإن كان قد تقدم سلام وزير الجند ولكنه عادة الدخول إليه، فيتقدم وزير المال إلى بين يدي السلطان، ويتأخر وزير الجند إلى مكان لا يسمع فيه حديثهما، ثم يخرج وزير المال ويستدعي من يتعلق به، ثم يحضر صاحب الطعام بطعام الجند ويعرضه على وزيرهم لئلا يكون فيه تقصير، ثم يقوم السلطان من المدرسة إلى موضع مخصوص، ويستدعي وزير الفضل ـ يعني كاتب السر ـ ويسأله عن الكتب الواردة من البلاد، وعما تحتاج إليه خزانة الكتب[١] وعما تجدد في الحضرة وفي البلاد مما يتعلق بأرباب العلم وسائر فنون الفضل والقضاة[٢]، ويأمره باستدعاء من يخصه من الكتاب،

---

(١) هذه المكتبة المعتبرة كانت بداخل القصبة حيث بلاط أمراء بني حفص الرسمي. وأول من ابتدأ في جمعها السلطان أبي زكرياء الأكبر ـ ولا نعلم من خبرهما إلاّ ما ذكره أبو محمد عبد الله التجاني في رحلته عندما ترجم للحسن بن معمر الهواري الطرابلسي فإنه قال ما مفاده: أن الحسن هذا تولى في مدة أبي زكرياء الأول خطة العلامة الكبرى والنظر في خزانة الكتب التي بالقصبة، ثم إن الخليفة المستنصر بالله تغير عليه فنفاه إلى المهدية سنة ٦٦٧، وبعد حين وقع الرضاء عنه فسرح وعاد إلى تونس. ولما مات المستنصر وبويع لولده الواثق استدعى الحسن بن معمر وأمره بالنظر في خزانة الكتب وذلك سنة ٦٧٥. وسئل عنها الحسن حين كانت لنظره أولاً فذكر أنها كانت ثلاثين ألف سفراً وأنه أُخر عنها ثم أعيد إليها فوجدها نحو العشرين ألف سفر وأنه اختبرها هذه المرة (يعني سنة ٦٧٥) فوجدها تنقص عن ستة آلاف سفر؛ فسئل عن موجب ذلك فقال: ـ المطر وأيدي البشر ـ: (رحلة التجاني. خط).

وذكر ابن أبي دينار: أن الكتب التي جمعها أبو زكرياء الأول في خزينة قصرة بلغت ستة وثلاثين ألف مجلد (المؤنس ص ١٢٧). وقد كان من شأن هذه المكتبة أن أحد سلاطين بني حفص ـ وهو زكرياء بن اللحياني ـ لما رأى اضطراب ملكه وظهر له خروج الأمر من يده جمع كل النفائس الموجودة بمودعاتهم ـ ومن جملتها الكتب ـ فباعها في سنة ٧١٧ وقصد الحج. قال الزركشي: وباع جميع الذخائر التي كانت في القصبة حتى الكتب التي كان الأمير أبو زكرياء الأكبر جمعها واستجاد أصولها ونسخ دواوينها أخرجت للكتبيين فبيعت بدكاكينهم (تاريخ الدولتين ص ٥١) ثم جددت الخزانة الحفصية بعد ذلك كما اشار إليه العمري هنا حتى جاء الأمير أبو عمرو عثمان الحفصي ـ في القرن التاسع ـ وأوقف قسماً كبيراً منها على خزانة جامع الزيتونة العامر حسبما هو مبسوط في المطولات التاريخية.

(٢) ومما يؤيد هذا ما نقله الزركشي قال: وقد جرت عادة قضاة تونس وفقهائها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه. فيجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت أعدت لهم إلى أن يخرج الخليفة (تاريخ الدولتين ص٤٤).

ويملي عليهم وزير الفضل ما أمر بكتابته ويعلم عليه وزير الفضل بخطه، والعلامة هي أن يكتب بعد «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله» اسم السلطان / ٦٦/ . وفي ذلك المجلس يستدعي السلطان من شاء من العلماء والفضلاء ويتحاضرون محاضرة خفيفة، وإن كان وزير الفضل قد رفع قصيدة لشاعر وافد أو مرتب في معنى استجد، أمر السلطان بقراءتها عليه إن لم يأمر بحضور الشاعر فينشدها قائماً أو قاعداً على مايؤهل له، ويتكلم السلطان مع وزير الفضل ومن يحضر في ذلك ويوقع على كل قصيدة بما يراه[١].

قال ابن سعيد: وقواعد الشعراء أن ينشدوا بين يديه في الأعياد والخروج إلى الأسفار أو القدوم منها.

قلت: ومواضع مما ذكره ابن سعيد قد تقدم شيء منها، وإنما ذكرناه هنا لاتصاله شيئاً بشيء، وليؤكد بعضه بعضاً، وليعلم في بعض ما بينهما مقدار التفاوت مما تغير مع قرب الزمان، واقتفاء الولد آثار الوالد، وكيف يكون مقدار التفاوت في ما تغير بدخول دول الأعداء بعد الأعداء وبعد الزمان.

[لطف أهل إفريقية:]

قلت: وهؤلاء ملوك الموحدين لم يزالوا منذ ملكوا ممدوحين، تصغى إلى المديح مسامعهم، وتهتز به أنديتهم ومجامعهم، ومنهم من له النظم الفائق، والنثر الفائق.

ولأهل إفريقية لطف أخلاق وشمائل بالنسبة إلى أهل بر العدوة وسائر بلاد المغرب، وما ذاك إلا بمجاورتهم لمصر وقربهم من أهلها ومخالطتهم لهم ولمن سكنها

---

(١) كان أبو زكرياء يحيى الأكبر يجلس كل يوم في مجلس مخصوص ويحضر الأمراء والجند والوافدون، ولا يأنف أن يتكلم في جليل الأمور وحقيرها، ثم يطعم الناس فإذا حضر وزير الأموال انقلب إلى مكان آخر مع من يشرفه بالحضور من الفضلاء من فقيه وأديب ومنجم وطبيب، فإذا فرغ من هؤلاء دخل إلى داره واستراح إلى أذان العصر، فيخرج إلى موضع آخر غير الموضعين الأولين يتفقد فيه الأمور الخاصة بقصره، فإذا أذن المغرب دخل إلى ما هنأه الله به من اللذات.
ولم يقطع صلاة الجمعة في الجامع ولا يخل بها، ويجلس يوم السبت في القبة العظمى وحوله أقاربه وشيوخ دولته على مراتبهم وتقرأ عليه المظالم بحضرة القاضي وغيره ويجزم الحكم ويفصله، ويرفع إليه الشعراء قصائد فيوقع عليها بما يراه، وله في ذلك أخبار ظريفة (فوات الوفيات ٢/ ٦٣٣).

من أهل أشبيلية، وهم من هم! خفة روح، وحلاوة نادرة، وهم على كل حال أهل انطباع، وكرم طباع، وسأذكر لهم عنوان قولهم.

[البريد الحفصي:]

وأما اتصال الأخبار بين السلطان ونوابه، فإنه إذا كتب الكتاب يجهّز مع من يقع الاختيار على تجهيزه من نوع النقباء والوصفان، وهم عبيد السلطان، ويركب ذلك المجهز على بغل إما أن يكون له ملكاً أو يستعيره من اصحابه، ويسافر عليه إلى الجهة المجهز لها، فإذا عَيَّ بغله في مكان تركه عند الوالي بذلك المكان وأخذ منه بغلاً عوضه يعيره الوالي له أو يسخره من الرعايا لركوبه إلى أن يبلغ جهة قصده إلى أن يعود. ووالي المدينة هو المسمى عندهم بالحافظ والمحتسب / ٦٧/ بها، فإذا تجدد عندهم أمرٌ أعلموا به وزير الجند.

[وصف سبخة الجريد:]

ومن عجائب افريقية ماحدثني به القاضي أبو الروح عيسى الزواوي وأبو عبد الله السلالجي قالا: إن بين توزر قاعدة بلاد الجريد وبين بشرى من بلاد نفزاوة سبخة[(١)] عظيمة آخذة في الجنوب إلى الصحراء المجهولة المسالك، وفي وسط هذه السبخة مع طرفها الشمالي طريق سالم للمارة يسلكها من يطلب السرعة لقرب مداها مع المخاطرة في سلوكها لأنها طريق قليلة العرض ضربها الله طريقاً يبساً في وسط تلك السبخة، من

---

(١) هي سبخة توزر وتعرف الآن بشط الجريد واسمها البربري (تاكمرت).
قال البكري: ومن نفزاوة تسير إلى بلاد قسطيلية [الجريد] وبينهما أرض سواخة لا يهتدي للطريق فيها إلاّ بخشب منصوبة، وأدلاء تلك الطريق بنو موليت (؟) لأن هناك ظواعينهم فإن ضل أخذ يميناً أو شمالاً غرق في أرض ديماس تشبه في الرطوبة الصابون، وقد هلكت فيه العساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدر أمرها (المسالك والممالك ص ٤٨)، وقال ابن الشباط فيما نقل عن ابن الحجاج يوسف ابن المنصور: وبهذه السبخة معالم من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك يميناً وشمالاً لأن ما على يمينها وشمالها من الأرض لا تنبت عليه قدم ولا يسلكها أحد جاهلاً بها إلاّ غاص فيها لما لا قعر له (شرح القصيدة الشقراطسية. خط).
وقال عبد الله التجاني: وأما أنا فشاهدت الرجل يضع سافلة الرمح على الأرض ويعتمد عليها إلى عاليته ولو زاد دفعاً لازداد نزولا فإذا جذبه عادت الأرض إلى حالتها الأولى، قال: ووجدنا كثيراً من تلك المعالم قد سقطت وأبعدتها الريح عن مكانها، وتحت كثير منها عظام وإلى جانب عمود منها امرأة قد ضمت يديها إلى طفلة فماتا معاً. ومن العجب أن هذه السبخة لا يمكن أن يشرب فيها ماء عذب فإن الماء إذا استصحب فيها عاد بهوائها ملحاً أجاجاً على طبعها (رحلة التجاني.، خط).

خرجت رجله عنها ولو قيد شبر واحد نزلت قدمه وهوى في تلك السبخة وغاص فيها إلى أن يذهب فلا يبين له أثر ولايعرف له خبر، ورفيقه إلى جانبه يراه وهو نازل ولايقدر أن ينفعه ولايمد يده إليه خوفاً أن يغوص معه، وهي مهلك عظيم، سباخ من ملح لاماء فيه، كم خرج فيها عن تلك الجادة إنسان وفرس وجمل فهلك؟! وعلى جنبتي هذه الطريق أعلام منصوبة من الخشب يمنة ويسرة والطريق بينهما، ولولاها لهلكت المارة من الجهال بها.

قال السلالجي: وسمعت أن هذه الأعلام نصبها هناك أبو إبراهيم إسحاق بن غانية الميورقي الثائر على الموحدين بإفريقية[١].

وقال لي الزواوي: وفي هذه الطريق ضرر آخر على السفار، وهو أنه أي من وضع إناء ماء حلو على الأرض صار مرّاً ذعافاً لوقته وساعته، وإنما إذا احتاج المسافر في تلك الطريق أن يضع إناءه يعمل تحته شيئاً يحول بينه وبين الأرض، قال: وطول هذه المسافة أكثر من نصف نهار، مقداره من الطريق الأخرى السالكة في العمران يوم وليلة.

قال الزواوي: وفي وسط هذه الطريق الآخذة في السبخة فرجة يستريح فيها بالقعود السفّار. قال: وأنا سلكتها ورأيت هذا كله فيها بالمشاهدة والعيان.

قال السلالجي: نحن جئنا على أطراف هذه السبخة ولم ندخلها خوفاً منها.

/ ٦٨/ قال الزواوي: والمشهور بين أهل تلك البلاد كلها أن الصحراء التي في جنوب هذه السبخة ماسلكت ولاتسلك ولايقدر أحد على سلوكها.

وحكى لي السلالجي: أن أهل الجريد يتحدثون فيما بينهم أن رفقةٌ كبيرة وقع أهلها في هذه السبخة فلم يطلع منهم أحد ولاعاد منهم ولا عنهم مخبر.

قال أبو عبد الله السلالجي: ووقفت في تونس على شرح القصيدة الشقراطيسية الشهيرة البديعة وتخميسها وشارحها القاضي الإمام أبو عبد الله محمد بن علي التوزري المصري، ورأيته قد تكلّم في أوائلها عند ذكر ناظم هذه القصيدة وتعرضه لموطنه ومسقط رأسه، وهي شقراطيس، وهي في غالب ظنّي ـ على ماذكر ـ من إقليم الجريد. ثم أخرَّ كلامه إلى ذكر توزر ومدحها وأثنى عليها، وذكر هذه السبخة والصحراء التي تليها، وقال: إنَّ مدينة النحاس بها ممايلي هذه السبخة.

---

(١) قوله: أبو إبراهيم إسحاق بن غانية الميورقي ليس هو الثائر على الموحدين بافريقية وإنما هما ولداه يحيى وعلي ابني أبي إبراهيم إسحاق المذكور. فليتنبه. (حسني) .

قال السلالجـــي: وقفت على أوّل مجلدة من هذا الشرح، وهو يكون في أربع مجلدات كباراً بمدينة تونس استعرته مـن بعض فضلاء أهل توزر لمطالعته. وشارح هذه القصيدة ناقل هذه الحكايــة أيضاً، وهو مشهور ثقة مأمون معروف مــن أهل العلم المشاركين في كلّ علم، وله تصانيف كثيــرة في الفقه والأدب. قلتُ: وهذه القصيدة الشقراطيسية فــي المديح الشريف النبوي ـ زاده الله شرفاً ـ وأولها: [مــن البسيط]

الـحـمـدُ للهِ مـنـا بـاعـثِ الـرسـلِ   هُـدًى بـأحـمـدَ مـنـا أحـمـدَ الـسُّـبُـلِ

* * *

الباب الثالث عشر: في مملكة برّ العدوة

هو الآن مجموع لسلطان واحد وفيه ثلاث ممالك: فاس وهي أعظمها، ومملكة تلمسان، ومملكة سبتة مع ما أضيف إليه من الأندلس على مايأتي ذكره. وبلاد برّ العدوة بلاد خصيبة ذات زرع وضرع /٦٩/ وفواكه.

قال ابن سعيد: وبر العدوة في الثالث والرابع، ثم قال: والإقليم الثالث صاحب سفك الدماء والحسد والحقد والغل ومايتبع ذلك.

ثم قال، وأنا أقول: والإقليم الثالث وإن كثر فيه الأحكام المرّيخيّة على زعمهم، فإنَّ للغرب الأقصى من ذلك الحظ الوافر ولاسيما في جهة سوس وجبال درن فما قتل الإنسان عندهم إلاّ كعصفور، وكم قتل قتيل على كلمة، وبالقتل يفتخرون.

ثم قال ابن سعيد: وأنا أقول: إنَّ الغالب على أهل المغرب الأقصى كثرة التنافس المفرط والمحُاققة وقلّة التغاضي والتهور والمفاتنة، وليس البخل إلاّ في أراذلهم، وفي كثير من أغنيائهم سماحة مفرطة ومفاخرة بإطعام الطعام والاعتناء بالمؤمل والقاصد، ولكن الأوقاف عندهم على عظمة سلطنة بني عبد المؤمن والمرابطين قبلهم قليلة لايقولون بها ولايرون الصدقة على صحيح سوي ولابنيان المدارس، وقد بنى المتأخرون بها ماقلّ.

قال أبو عبد الله محمد بن محمد السلالجي: إنَّ بمدينة فاس أربع مدارس وخانقاه واحدة.

قلت: وكان الأليق بهمّة أهل تلك الممالك مع أصالتهم في الدين وتمسُّكهم بسببه المتين لو عمّروا المدارس لينشر العلم ويتوفَّر الطالب على النفقة ولاتنقسم أفكاره وتتشعب في طلب المعاش والإكتساب، فيقلُّ تحصيلهم.

وأقول: فالأمر ـ على ما ذكره ابن سعيد ـ الآن في قلّة الأوقاف والمدارس عندهم، وفي جمهورهم البخل، وسوء الخلق إلاّ الرؤساء، فإنَّ الرئيس في كلّ أفق مطبوع على الرئاسة أو منطبع بها له أتباع يحتاج يبسط لهم خلقه ويده، وأن لايتجنبه من لايعرفه، وينفر عنه من يعرفه.

وقال ابن سعيد: والمغرب الأقصى قليل الصواعق والزلازل.

قلت: ومكان السلطان من برّ العدوة هو بفاس الجديدة /٧٠/ المسماة بالبيضاء

في دار لايختص فيها بزيادة رفعة على نشز ولاربوة، وتسمّى القصر، وهو عالي البناء ذو قباب علية ضخمة لائقةٍ بالملوك، وغرف مرتفعة، ورفارف علويّة ومجالس سلطانية، وبداخله القبة المعروفة بقبّة الرضا، وهي قبة عظيمة الارتفاع خارقة الاتساع وقدّامها بركة ممتدّة بها مركب لاتساعها وكبرها وخلفها بركة أخرى مثلها بها مركب آخر لاتساعها وكبرها ومساحة المركبين واحدة والقبة العظمى بينهما.

وفي نهاية كل بركة قبة لطيفة المقدار، وفي جميع جدر القباب شبابيك مطلّة والبستان حافٌ بالجميع، وهو بستان جليل منوع بصنوف الأشجار والغراس على اختلافها.

ويجري الماء إلى قصر السلطان من مكان يعرف بأساليس على بعد نصف نهار أو اقل مرفوعاً في قناةٍ على قناطر مبنية إليها، واصطبلاته إلى جوانب قصره.

لايسكن معه في قصوره إلاّ حريمه وفتيانه وهم الخدم الخصيان، ويبيت حوله في ظاهر قصره طائفة من الفرنج، وأناس يعرفون بالعدويين بمنزلة النقباء ووصفان السلطان والبوابين، ولاينازله في قصره أحد من الأشياخ ولامن الجند ولاالغرباء، ومرجع ملوك بني مرين سلاطين برّ العدوة في زناتة، وكذلك مرجع بني عبد الواد سلاطين تلمسان.

فأما بنو مرين فملوكهم في بني عبد الحقّ، ومن قبائلهم، بنو عسكر، وبنو وطاس، وبنو أتكاسن، وبنو ياban، وبنو أتنالفت، وبنو بزنت، وبنو برليان.

وأمّا اتباعهم فهم الحسم، وبنو فودود مع ماينضاف إلى هؤلاء من الأفراد الأنجاد ممن له فروسية وشجاعة، وهم كثير جداً فيدخلون في سلك وصفان السلطان، أو وصفان أشياخ هذه القبائل المذكورة، وهم بنو مرين غير هؤلاء الأفراد الذين كانوا مع بني عبد الواد / ٧١/ مغراوة، وهم افخاذ كثيرة، وبنو راشد، وبنو يوجين، وبنو مليكس، وبنو سدويكش.

ومن بني يوجين بنو عبد القوي، ومن بني عبد القوي من كان قد تقلب وملك حتى قهرهم بنو عبد الواد وملكوا عليهم واتخذوهم أعواناً، وقد صار هذا الكلّ لهذا السلطان جنداً مع من كان معه من قبائله، ومن جملة عساكره قبائل من العرب كثيرة منهم بنو حسان، والعاصم، وبنو جابر، والحلوط، ورياح، وسويد، والشبانات، وبنو عامر، وبنو سالم وغيرهم، وله في عسكره من الغزّ مقدار ألف وخمسمائة فارس، ومن الفرنج مقدار أربعة آلاف فارس أو أزيد، وهم يركبون خاصة خلف ظهره، وله علوج مماليكه مسلمون مقدار خمسمائة فارس فرسان رماة، ومن الجند رماة، وهم الأندلسيون يرمون بقوس الرجل أزيد من ألفي فارس وطائفة كبيرة يقال لهم الوصفان

خاصُّون بالسلطان يسكنون حواليه، وينزلون في السفر إلى جوانب محلتّه دائرين في جملة نواحيه، يقال لهم أهل الدوار، وكل جيوشه فرسان أبطال نقاوة لايطاق هياج أسدهم، ومصالتة سيوفهم.

قال لي أقضى القضاة أبو الروح عيسى الزواوي[1]: إن بعض أبطال الغرب قال: إنه إذا كان منا مائة ولاقاهم زناتي واحد هربوا قدّامه ولم يتجاسروا على إقدامه ولاملاقاته.

قال، وقال لي: إذا جاء الزناتي مغيراً فلايعتقد أنَّ أحداً يهجم عليه، وأمّا إذا طمع وأخذ الأخيذة وولّى فربما ينال منه غرض.

وقال لي شيخنا حجَّة الأدب ولسان العرب أثير الدين أبو حيان: إنَّ بني مرين يعدّ منهم كل فارس شجاع مثل عنترة وأمثاله.

قال لي السلالجي: مثل أولاد أدريس، عامر، وحسين، ومحمد، ومثل ريان بن أبي يعلى، وعامر بن عبد الله، وعبد الحقّ بن كندون، وعبد الحق بن عثمان، وأبي رزين ثابت بن أحية، وهما اللذان قتلا مع / ٧٢/ أبي تاشفين عبد الرحمن العبد الوادي حين دخلت عليه تلمسان، ومثل عثمان بن أبي العلاء وأولاده وبني عمّه أولاد سوط النساء ومنيف المغراوي الباقي في قيد الحياة الآن، وغيرهم من المشاهير.

قال، ويقال: إنَّ كل واحد من هؤلاء يعدّ بخمسمائة فارس، وقد صورهم الفرنج عندهم في كنائسهم لعظم مالاقوا به.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد العقيلي: إنَّ أبا يعقوب أراد إنهاد ألف فارس لجهة من جهة أعدائه، فعينت خمسمائة فارس، فقيل له: وأين تكملة الألف؟، فقال يوسف بن محمد بن أبي عباد بن عبد الحقّ: تقوم مقام الخمسمائة الأخرى، فكان كذلك.

---

(١) عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي الحميري المالكي، شرف الدين: فقيه، من العلماء بالحديث. من أهل زواوة (بالمغرب) ولد سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م تفقه ببجاية والإسكندرية، ورجع إلى فاس فولي القضاء بها. وانتقل إلى مصر فدرّس في الأزهر. وناب في الحكم بدمشق، ثم بالقاهرة. وأعرض عن الحكم منقطعاً للتصنيف، وتوفي بها سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م. من كتبه «إكمال الإكمال ـ خ» في الحديث، و«شرح جامع الأمهات ـ خ» في فقه المالكية، وكتاب في «مناقب الإمام مالك ـ ط» و«تاريخ» كبير، شرع في جمعه، فكتب منه عشرة مجلدات.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠، فهرست الكتبخانة ١/ ٢٧٠، ٣/ ١٦٨، معجم المطبوعات ٩٨١، الأعلام ٥/ ١٠٩.

قال: ولقد خالف هذا يوسف بن محمد علي بن أبي ثابت بمراكش، وخرج في نحو أحد عشر فارساً ثم حمل بمفرده على سبعمائة فارس من الهساكرة ففرقها.

قال: ومن هؤلاء يعيش بن يعقوب بن عبد الحقّ تعرّض له مرّة نحو خمسمائة فارس وهو مرتحل بأهله وعياله من بلاد هسكورية إلى مراكش، فلمّا رأى عياله حُذاق الفرسان دهشوا، فقال لهم: ماعليكم سيروا أنتم، ثم إنّه دفع فيهم ففرق جمعهم ونجا بجميع أهله ومامعه.

وقد كان أول خروجهم جهلةً لاتخطم أنوفهم حتى قال رجل منهم اسمه أبو عامر عبد الله ـ المعروف بالعجب ـ: ماأسفي إلاّ كوني لم أكن في زمان علي بن أبي طالب حتى ألقاه. وعلى هذا فقس ماكان في رجال هؤلاء القوم من الشجاعة والجهل.

قال السلالجي: وهم على شجاعتهم وأزيد، وأمّا جهلهم فزال من أكثرهم لسكناهم بالحاضرة ومداخلتهم الناس.

قال: ولاتعدّ للكثرة فرسانهم ولاتحصى في الأبطال وقائعهم.

قال: وهذا عثمان بن أبي العلاء وسيف المغراوي، وعبد الرحمن بن يعقوب وأخوه الوطاسيين لم يزالوا في الأندلس تشدّ على الفرنج حملاتهم، وتعد على قلتهم في كثرتهم فتكاتهم.

قال: ولقد أنشأ هذا السلطان من / ٧٣/ فرسان هذا الزمان ورجالات الدهر من أخمل كل مذكور، وغلب على كل مشهور مع ماهم عليه من العلم والتُقى لايقدر أحد منهم لمهابته على ارتضاع كأس ولاإهمال صلاة يناقشهم على هذا ويؤاخذهم به حتى إذا كانوا في السفر وأذَّن المؤذنون نزل ونزلوا حتى تقام الصلاة ويصلُّون جماعة.

وحدّثني أبو عبد الله محمد بن محمد السلالجي: أنَّ هذه المملكة طولها يوم أو أزيد، وعرضها ثلاثون يوماً بالسير المعتاد، وطولها من جزائر بني مُرغانة، وهي بلد حسنة على ساحل البحر الشامي، واقفة قبالة جزيرة ميورقة بانحراف يسير، وبعدها عن بجاية ستة أيام إلى البحر المحيط، وعرضها من ساحل الزقاق من سبتة إلى نهاية بلاد البربر المتصلة بالصحراء الكبيرة الفاصلة بين برّ العدوة وبين بلاد السودان لم يخرج عن مملكة هذا السلطان من برّ العدوة الأندلس وأعمالها.

خرج سلطان برّ العدوة ـ الآن ـ عنها للموحدين أصحاب إفريقيّة، وهبها إحساناً منه لكونها كانت قديماً لهم وانتزعها بنو عبد الواد أصحاب تلمسان منهم.

وحدُّ هذه المملكة من الجنوب الصحراء الكبيرة الآخذة طولاً من بلاد البربر إلى

جنوب إفريقية، ومن الشرق جزائر بني فرغانة وماهو آخذ على حدّها إلى الصحراء الكبيرة، ومن الشمال البحر الشامي، ومن الغرب المحيط.

وقاعدة الملك بها مدينة فاس ثم مراكش وهي التي كانت قديماً في زمان بني عبد المؤمن قاعدة الملك العظمى، فلما انتقل الملك إلى بني مرين وتحلّى جيده بعقدهم الثمين أبوا ألاّ يتخذوا لهم مدينة فاس دار ملك فاستوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها على ضفّة الوادي المعروف بوادي الجوهر غرباً بقبلةٍ فأوّلها المدينة البيضاء وتعرف بالبلد الجديد، بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق. وهو أول من استقلّ بالملك بعد الموحدين؛ لأنَّ أخاه يحيى أبا بكر ثأر عليهم ومات وماستقلَّ له سلطان، / ٧٤/ ولااستقرّ له من عزٍّ الملك أوطان.

ثم مدينة حمص، ويعرف موضعها بالملاح بناها ولده أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف ـ والد سلطانها القائم الآن ـ بناها إلى جانب البيضاء، وربض النصارى المتخذ لسُكنى الطائفة الفرنجية المختصة بخدمة السلطان، ويطلق على هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة.

وهذه المتخذات كلّها على ضفَّة الوادي الغربية على ترتيب مانذكره، فربض النصارى يقع قبالة فاس القديمة على بعد من ضفة الوادي من غير مسامتةٍ ولا بر.

والبيضاء وهي المسمّاة بفاس الجديدة آخذ[ة] من شمالي ربض النصارى إلى ضفّة النهر، ويقع أول عمارة فارس الجديدة قبالة آخر عمالة فاس العتيقة. وحمص راكبة على النهر بشمال على جانب فاس الجديدة آخذة إلى ربض النصارى عقد على الوادي قناطر، وبنيت حمص على ضفته، وهي فوق الجميع؛ لأنَّ الوادي منها ينحدر على مابينته وهو أنَّ هذا النهر ينصب من الجنوب إلى الشمال ثم ينعطف على زاوية أخذاً من الغرب إلى الشرق كأنّه ينحدر من الغرب، وحمص على مجراه هناك ثم يمر آخذاً إلى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة، ثم ينعطف عليها زاوية إلى الجنوب، ثم ينعطف إلى الشرق جائزاً بها. وهناك فاس العتيقة على الضفّة الشمالية والقصبة بها في غربيها مرجلة على الأرض لاتتميز على المدينة برفعة ولابناء عالٍ. وتلك المتخذات كلها على الضفة الغربية، ويبقى النهر مستديراً بفاس الجديدة من جانبي الشمال على المجرى المركب عليه حمص. ومن الشرق حيث انعطف النهر حيث فاس العتيقة.

وهذا الوادي هو متوسط المقدار يكون عرضه في المكان المتسع قريب اربعين ذراعاً، وفي المضايق دون هذا، وربما تضايق إلى خمسة عشر ذراعاً، وأقلّ من ذلك وعمقه في الغالب يقارب قامة رجل وعليه الناعورة المشهورة برفع الماء إلى بستان

السلطان المعروف بالمصارة، وهو بستان جليل، / ٧٥/ له فيه قصر جليل جميل. وهذا البستان خارج المدينة الجديدة، وهذه الناعورة مشهورة الذكر يضرب بها المثل، ويتحدّث بها الرفاق. وفاس العتيقة ذات عيونٍ جارية، يقال: إنَّ فيها أربعمائة عين سارحة.

قال الإمام أبو عبد الله العقيلي: إنها ثلاثمائة وستون عيناً معدودة، والماء مسلّط على دياراتها ومساكنها، وأمّا المتخذات فإنها على علوٍّ لاعلى عيون بها ولايحكم الوادي عليها وجميع أرض فاس العتيقة مجبلة غير مستوية، وأمّا المتخذات فمستوية، وعلى كلّ من عتيقها وجديدها أسوار دائرة محصّنة ذوات بروج وبدنات وجميع أبنيتها من الحجر والآجر والكلس موثقة البناء، ومشيدَّة الأركان.

وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسورٍ واحدٍ من الحجارة، والجديدة بسورين من الطين المفرّغ بالقالب من التراب والرمل، والكلس المضروب، وهو أشدّ من الحجر ولاتعمل فيه المجانيق ولاتؤثر فيه. ويلي القصبة القديمة مخازن الغلال داخلها المطامير، وهي مجموعة في مكانٍ واحد يستديرها سور منيع عليه باب وغلق، ويسمّى هذا الموضع بالمرس القديم، وأبنية فاس ومتخذاتها جميعها جليلة مفخمة وإنْ كانت لاتلحق بمراكش فيما كانت عليه من عظمة مبانيها وفخامة مغانيها، وهو باقٍ منه دليل على ماكان ـ وسيأتي ذكرها في موضعه ـ.

وبفاس العتيقة داخل سورها جنائن ورياض ذوات اشجار ورياحين في دار الكبراء، وبيوت الأعيان، وبها أرجاء كثيرة دائرة على الماء.

قال السلالجي: تقارب أربعمائة رحى، وبكلّ من فاس القديمة، وفاس المجددة المسماة بالبيضاء وحمص الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق، فأمّا المدارس والخوانق والربط، فمما خلت صحائف حسنات أهل المغرب من أجودها إلاّ النزر اليسير جداً.

وبفاس العتيقة مارستان، وعمائر العتيقة ـ كما قدّمنا / ٧٦/ القول فيه ـ بالآجر، فأما المتخذات فغالبها بالقالب من نسبة أسوارها، وسقوفها بالأخشاب، وربّما قرنصت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة وتفرش بالرخام دياراتهم وبالزيلخ، وهو نوع من الآجر كالقاشاني بأنواع الألوان، وغالبه بالأزرق الكحلي، ومنهم من يتخذ منه وزرات لحيطان الدور. وأمّا دور هؤلاء فتفرش بآجر يسمّى المزهري.

ولأهل فاس ولع ببناء القباب فلاتخلو دار كبير في الغالب من قبتين أو ازيد. وصورة تفسير أبنية دورهم مجالس متقابلة على عمد من حجر أو آجر ورفارف مطلّة

على صحن الدار، وقدّامها طفافير يجري إليها الماء، ثم يخرج إلى بركة في وسط الصحن، ويسمّى البركة عندهم صهريجاً.

وغالب أعيانهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم أنفةً من الدخول مع عامة الناس؛ لأنَّ حماماتهم صحن واحد لاخلوة فيها تستر بعض الناس من بعض. ولهم تأنُق في البناء، وهم لاتقصير بهم عن الغاية فيه.

قلتُ: وثم فائدة لابأس بذكرها والتنبيه عليها: ذكرها ابن سعيد في المغرب: وهي أنَّ فاساً القديمة هي أيضاً مدينتان أقدمهما المعروفة بمدينة الأندلسيين بنيت في زمان إدريس بن عبد الله الحسني(١) ـ أحد خلفاء المغرب ـ ثم المعروفة بمدينة القرويين بنيت بعدها.

قلت: وهاتان المدينتان هما المعبّر عنهما ـ الآن ـ بفاس العتيقة فجملة فاس الآن مابذكر مدينة الأندلسيين ومدينة القرويين ومدينة البيضاء، ومدينة حمص وربض النصارى والقصبة والذي يطلق على الجميع فاس القديمة، ولجميع الأندلسيين والقرويين وفاس الجديدة، ولجميع البقية وهي البيضاء وحمص والربض ويطلق على الجميع اسم فاس.

وقد ذكر ابن سعيد: أنها إنما سميت [بفاس]؛ لأنهم لما شرعوا في بناء أساسها وجدوا فاساً فسمُّوها به.

---

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. وإليه نسبتها. أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن المثلَّث، في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباسي سنة ١٦٩هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ، ونزل بمدينة وليلي (على مقربة من مكناس وهي اليوم مدينة قصر فرعون) وكان كبيرها يؤمئذ إسحاق بن محمد فعرَّفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بني العباس؛ فتم له الأمر (يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢) فجمع جيشاً كثيفاً وخرج به غازياً فبلغ بلاد تادَلة (قرب فاس) ففتح معاقلها، وعاد إلى وليلي، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها. وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفي مسموماً في وليل سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م. وهو أول من دخل المغرب من الطالبيين. ومن نسله الباقي إلى الآن في المغرب، شرفاء العَلم (العلميون) والشرفاء الوزانيّون، والريسيون، والشبيهيون، والطاهريون الجوطيون، والعمرانيون، والتونسيون (أهل دار القيطون) والطالبيون، والغالبيون، والدباغيون، والكتانيون، والشَّفشاويون، والوَدْغيريون، والدرقاويون، والزكاريون.

ترجمته في: الاستقصا ١/ ٦٧ وابن خلدون ٤/ ١٢ وفيه: وفاته سنة ١٧٥هـ. والبيان المغرب ١/ ٨٢ و٢١٠ وفيه: دخوله المغرب سنة ١٧٠هـ. والمصابيح ـ خ ـ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٥٤٤ وانظر الأزهار العاطرة الأنفاس ٣٣ـ ١١٧ وإتحاف اعلام الناس ٢/ ٢ـ ١٧ الأعلام ١/ ٢٧٩.

وذكر ابن سعيد فاساً، فقال: هي متوسطة بين مدن الغرب ـ يعني الداخلة / ٧٧/ من مراكش ـ وسبتة وسجلماسة وتلمسان عشرة أيام.

قلت: ولتوسطها صلحت أن تكون قاعدة الملك ليقرب الملك من جميع نواحيه.

قال ابن سعيد: ولها جنات كثيرة وزروع وضرع وخيرات وعلى نهرها الأعظم الغربي نحو ثلاثة آلاف رحى. وعلى حافته القرى والضياع والمدن الجليلة، وهي تشبه بدمشق وبغرناطة والجبال تكتنفها وهي ممتدة بنفسها.

ونهرها يلاقي نهر وارى سيو، وهو من أعظم أنهار المغرب يصبّ في المحيط بين سلا وقصر عبد الكريم، وفوهته هناك متسعة، وأمواجه مضطربة، وهي أكثر مياهاً من دمشق ومن غرناطة.

قال ابن سعيد: ولم أر قطّ حمامات في داخلها عين تنبع إلاّ بها، وأثنى الشريف الإدريسي في أخباره على مالكها ومآكلها ومطاعمها، ولأهلها اليد الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس، وهي تشبَّه بدمشق في البساتين وأهلها يُشبّهون بأهل إسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس. وفي عامتها الزعارة والمفاخرة بالقتل، وبه بستان ابن خيدن يشقه نهر فاس.

قال ابن سعيد: وما رأى أحد ماأنفق فيه من الأموال بين بنيان ونجاد وزخرفة وغرس.

ثم قال: وفي فاس وظاهر من هذه الإيوان مايفوق به غيرها من البلدان، وقد قال ابن منقذ ـ رسول الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ إلى المنصور بن عبد المؤمن ـ رحمهما الله ـ في رسالته المغربية: ولقد أخرجوني إلى بستان يقال له: البحيرة أتفرج فيه ضمانه خمسة وأربعون ألف دينار، وفيه دكّة دعت كلَّ جانب منها مائتان وستة عشر ذراعاً بالمرفق، ويكون دور البركة ثمانمائة ذراع وأربعة وستين ذراعاً، وعندهم ماهو أكبر من ذلك.

والذي حكى لي السلالجي: أنَّ أكثر عمائر المتنزهات في البساتين بها خفيفة الآن لا / ٧٨/ مبالغة لها ولاكلفة فيها.

وقال: أما قول ابن سعيد: إن على ضفة النهر ثلاثة ألاف رحى لا حقيقة لها ولا بعضها إلاّ ماتقدّم ذكره.

وفاس وخيمة البقعة ثقيلة الماء، يعلو وجوه سكانها صفرة، ويُحدث لأجسادهم كسلاً وفترة.

وقواعد الملك بهذه المملكة ثلاثة وهي: فاس وهي قاعدة الملك الثالثة، فأما سبتة فإنا وإنْ كنا ذكرناها مملكة، وصدرنا بها في هذا الفصل بالممالك، فإنها ليست لملوك بني مرين بقاعدة ولاينظر إليها عندهم بعين الإحتفال، وأمّا كوننا ذكرنا ـ هنا ـ مراكش، ولم نذكر[ها] في صدر هذا الفصل في الممالك؛ فلأنها وفاس ذات مملكة واحدة، وإنما التقدمة اليوم لفاس فلم يبق لذكرها معنًى، وأمّا ذكرها هنا فلأنها ملحوظة عند ملوكها يعدّونها بعد فاس.

وأما تلمسان فمملكة تمادى الأمر عليها، وهي مستقلّة بنفسها وقد استصفاها هذا السلطان إليه فصارت له قاعدة ثالثة.

وأمّا المدن الكبار بهذه المملكة فهي اثنتان وأربعون مدينة القائم فيها هذا السلطان عن آبائه ست وعشرون مدينة وهي: فاس، ومراكش، وأغمات، وآسفي، وآنفا، وآزمور، وتيط، وسلا، وأزيلا، والعرايش، وطنجة، والقصر الصغير، وسبتة وبادس، وتيجيساس، وعصاصة ـ وهي المسماة باللدية البيضاء ـ وقصر ابن عبد الكريم، وتازا، وصا، وسجلماسة، وتكارين، ومليلة، والمزمَّة، وتازوطة، ومكناسة.

والمستجد لهذا السلطان عند فتحه بسيفه لمدينة تلمسان وقتل ملكها أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو العبد الوادي، فهو تسع عشرة مدينة هي: تلمسان، ووجدة، ومديونة، وندرومة، وهنين، ووهران، وتيمزغران، وبرشك، وشرشال، وتونت، ومستغانيم، وتنس والجزائر، والقصبات، ومازونة، وتاحجحمت، ومليانة، والمدية.

وأمّا صفروي ـ وهي مما ورثه عن أبيه ـ فهي قرية كبيرة لامدينة، /٧٩/ وكذا الطحا وتيمزوعت مما فتحه فمن عدّها في المدن جعل جملة العِدَّة خمسة وأربعين مدينة وإلاّ فالصحيح مابيناه.

هذا ماتملكه هذا السلطان مما على جنوب البحر الشامي من أول مخرج بحر الزقاق المحيط إلى آخر عمالة جزائر بني مزغانة مع طول البحر ومايليه في الجنوب إلى الصحراء الكبيرة، وله بالأندلس الجزيرة الخضراء ورندة ومرباة ومافتحه بجيوشه المجهّزة بها، فهو بلد طريف وجبل الفتح، فتكون جملة المدن الكبار المنتظمة في مملكته ثمانية وأربعين مدينة، بمالها من المعاملات والرساتيق والقرى والضياع والقلاع والحصون والبوادي، كل هذا بيد سلطانها القائم الآن يتصرف تصرّف الاستقلال فيه.

وبقية الأندلس لولا جيوشُهُ مع الله تعالى لما بقيت، وقد كان على ملكها للفرنج في كل سنة أربعون ألف دينار، فمذ أجال بالأندلس خيله قطع تلك القطيعة، وأنعش بها رمق الإسلام.

فأمّا إفريقيّة فقد نبهنا فيها على أنّه لولا إنجاد هذا السلطان لصاحبها على بني عبد الودود وعلى ذعار العرب، وثوار أهل بيته لما ثبتت له قدم، وقد ذكرنا أنّه أعاد عليهم مدينة تدلس وبلادها. وكان قد أخذها بنو عبد الواد منهم.

وحدّثني غير واحدٍ من أهل إفريقية: أنّ صاحبها مابعث بنته إلى السلطان ابي الحسن المريني ـ صاحب برّ العدوة ـ إلاّ ليبقى عليه ملكهُ، وقد كان بعث بمفاتيح بجاية وأشهد على نفسه أنّه خرج عنها للسلطان المريني، ومن وفائه أن ردّها عليهم وصرّفها إليهم، ولم يطمع لهم في شيء من بلادهم بل أعاد لطارفهم وتلادهم مع المساعدة بالأنجاد حتى استولى على عدوّهم بالقتل وتملّك جميع بلاده كما قدمنا.

ونحن وإن كنا ذكرنا إفريقية بذاتها مفردة بسلطان فإنها في الحقيقة جزء من مملكة صاحب إفريقية فيها كالنائب له.

وأمّا صاحب برّ العدوة [فـ]ينظر إليه بعين الإجلال لكونه بقية الموحدين، وهم أهل بيت ملكٍ، ولهم أصالة السلطنة.

وصاحب إفريقيّة إنما اشتدّ بمصاهرته له، وبهذا تمَّ له في افريقية / ٨٠/ سلطانه وانكفت أطماع العرب عنه بعد أن استخفوا في افريقية بالسلاطين، وهان عليه أمر الأمراء، وكانوا بأيديهم تتولّى الملوك وتعزل، وتسمن السلطنة وتهزل.

فأمّا السبب الباعث لصاحب إفريقية على إرسال بعثه إلى هذا السلطان أبي المريني فهو أنَّ سلطان بني عبد الوادي ـ صاحب تلمسان ـ كان قد حاصر بجاية ونزل عليها ونازلها وضايقها، ولم يطق صاحب إفريقية دفعه فأراد تأكيد معاضدة المريني له فزوَّجه ابنته في أيام أبيه أبي سعيد عثمان، وبعث إليه في البحر يستنجده فخرج لإنجاده.

ثم مات وأوصى ابنه أبا الحسن بإتمام النجدة لهم فلم يزل على محاصرة تلمسان حتى كان من فتوحه لها ماكان.

وحدّثني من له اطلاع على ماحدّثني به قال: وكان صاحب إفريقية مع انقياده إلى المريني وعداوته لسلطان بني عبد الواد، وقيام المريني على عدوه في هواه لايؤثر في الباطن، أنَّ المريني يظفر بصاحب تلمسان عدوّه ليكون له به شغل عن قصده، وانتزاع إفريقية منه لعلمه أنَّ تلمسان حجاب بينهما، وأنه لاطاقة له بالمريني ولاقبل له به ويحقّ له الخوف فإنه في قبضته متى أراده.

قلت: ومع ترامي صاحب إفريقية للمريني وإذعانه له لايخطب له على منابره ولاتضرب السكّة باسمه، ومع اقتدار المريني عليه وكونه لايعدّ إلاّ كأحد نوابه ماطلب هذا منه.

ولقد قال أبو الحسن المريني في كتابه الوارد إلى حضرة السلطان بمصر مخبراً بفُتوح تلمسان: إنَّ مملكته اتصلت من البحر المحيط إلى برقة، وهذا يؤكد ماقلناه من أنَّ إفريقية كجزء من بلاده، وإنَّ صاحبها كالنائب له؛ لأنه قال: إنَّ مملكته إلى برقة وإفريقية وهي داخلة في هذا الحد.

وهذه المملكة المجتمعة لهذا السلطان أبي الحسن فإنها هي الغرب بمجموعه منها ماهو بيده، ومنها ماهو بيد ملوك في طاعته حيث يقال اليوم: صاحب الغرب، فهو المراد.

ولقد كان الناس في زمان أبيه في جورٍ حتى / ٨١/ ولي فبسط بساط العدل، وحمل على محجة الإنصاف، وأبطل المظالم على يد كلّ ظالم، وأسقط المكوس، ولم يدع إلاّ الخراج والزكاة والعشر ومايوجبه موجب طلب الشرع وحلّ عقد الضمان، وكان سبباً للظلم والطلب المجحف. وكان يقال: إنَّ بعد أن حلّ البلاد من الضمان تنقص الأموال فزادت وأدلّ الله بالعدل من البركات أضعاف ماكان.

قال أبو عبد الله السلالجي: أما ما ازداد وتثمَّر فلا أعلم كم هو، وأما ماكان في عقدة الضمان في زمن السلطان أبي سعيد ـ والد هذا السلطان ـ خارجاً عمّا كان يؤخذ من اصحاب الماشية من الإبل والبقر والغنم فهو تفصيله:

فاس: مائة وخمسون ألف مثقال.

مراكش: مائة وخمسون ألف مثقال.

سبته: خمسون ألف مثقال.

آسفى: خمسة وعشرون ألف مثقال.

أغمات: خمسة وعشرون ألف مثقال.

آنفا: أربعون ألف مثقال.

آزمور: عشرون ألف مثقال.

طنجة: ثلاثون ألف مثقال.

باديس: عشرة آلاف مثقال.

مكناسة: ستون ألف مثقال.

صفروي: ستة آلاف مثقال.

سجلماسة: ودرعة: مائة وخمسون ألف مثقال.

تازة: ثلاثون ألف مثقال.

عصاصة ومليلة والمزمة: ثلاثون ألف مثقال.

تيط: خمسة آلاف مثقال.

تيجيساس: خمسة آلاف مثقال.

قال السلالجي: وهذا الضمان كان جارياً على جميع المجابي ماكان يستأدىٰ من وجوه الخراج والزكاة والموجبات والمكوس خارجاً عن عداد المواشي وغلات المجاسر والحصون والقلاع، والمجاسر وهي القرى.

قال: وأما تطاوين والقصر الصغير، فإنها كانت بكفلها إلاّ يتحصل شيء منها.

قال: هذا المبلغ هو الذي كان يجري عليه الضمان، وقد كان يزيد وينقص باختلاف الأحوال والأوقات، وإنما هذا هو الغالب ولاكثير تفاوت فيما يزيد أو ينقص منه.

قال: والذي استفتحه الآن /٨٢/ لايقصر عن نظر الثلاثين، فإنما يقصر شيئاً يسيراً؛ لأنَّ تلمسان مملكة جليلة وسيعة المدى كثيرة الخير ذات حاضرة وبادية وبرّ وبحر.

وسألت السلالجي عن عدّة العسكر لاختلاف الأقوال فيهم فمن مكثر إلى غاية ومن متقاربٍ. وكان ابن جرار قد قال: إلى أنهم مائة ألف وأربعون ألفاً؟.

قال السلالجي: الذي نعرفه قبل فتح تلمسان فما كانت تزيد جريدة جيشه المثبتين في الديوان على أربعين ألف فارس لاغير، غير حفظة المدن والسواحل. وكان يمكنه إذا استجاش لحرب أن يخرج في جموع كثيرة جداً لاتنحصر بعد دماء، ويكون الآن قد زاد على ماأعرفه مثله لاستجداد تلمسان له، وهي مملكة كبيرة وسلطنة جليلة تكون قريب الثلاثين مما كان بيده، ولطاعته أمم من أهل الجبال والأطراف وقد كانوا يُعصّب رؤوسهم التيه، ويجنح بهم العصيان، وقد ثُعلبت له اليوم آسادهم، وأصحرت له وعولهم.

قال العقيلي: أما جيشه الآن فيكون مائة وأربعون ألفاً غير من يستجيش به.

وسألت السلالجي عن مقدار عمارة فاس عتيقها وجديدها، فقال: تكون قدر

ثلث مصر والقاهرة وحواضرهما، لكنّ عالمهما أقلّ. وبالغ في وصف دياراتها وأوطانها وماشتملت عليه بساتينها المنوعة الثمار المطردة الأنهار ومابها من الرخاء الدائم والأمن والدعّة فسألته عن معاملاتها وأسعارها فقال: المثقال الذهب بمائة وعشرين درهماً من الدراهم الصغار، وهي ستون درهماً من الكبار؛ لأنَّ كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار، وكل درهم من هذه الكبار يكون نظير درهم أسود في مصطلح أهل مصر. والدرهم الأسود بمصر هو ثلث درهم نقرة من معاملة مصر والشام.

قال السلالجي: وكلُّ ثلاثة كبار بدرهم واحد نقرة من معاملة مصر والشام هذا على جهة التقريب لاالتحقيق.

وأمّا الدراهم الصغار/ ٨٣/ فكل درهم منها نصف درهم كبير، وهو نصف درهم أسود يكون سدس درهم نقرة من معاملة مصر والشام، وحيث يقال درهم ويسكت لايراد به إلاّ الدرهم الصغير، وهو سدس درهم إلاّ بمراكش وماجاورها وماقاربها [فإنه] حيث قيل درهم لا يراد به إلاّ الدرهم الكبير بيض على الصغير هذا في مراكش وعملها وما قاربها خاصة دون بقية برّ العدوة على الإطلاق والرطل هو نظير رطل إفريقية سواء على ماتقدّم ذكره.

وأما الكيل فأكبره الوسق ويسمّى الصحفة، وهو ستون صاعاً من الصاع النبوي محرراً.

قال: وأما الأسعار فإن أوسط الأسعار كل وسق قمح بأربعين درهماً من الصغار والشعير دون ذلك، وكل رطل لحم بدرهم واحدٍ من الصغار، وكل طائرٍ من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار هذا كلّه من المتوسط بالسعر المتوسط في غالب الأوقات.

وبرّ العدوة به من أرزاق الحبوب القمح والشعير والفول والحمص والعدس والدخن والسلت وغير ذلك إلاّ الأرز فإنه قليل، وإن ازدرع في بعض الأماكن من برّ العدوة، ولكنه يجلب إليهم من بلاد الفرنج وما لهم نهمة في أكله ولاعناية به، ويزرع به السمسم، ولكنه ليس بكثير لايعتصر منه بالغرب شيرج، ولايأكل الشيرج منهم إلاّ من وصفه له الطبيب، وإنما أكلهم عوضه الزيت ومزورات الضعفاء وهم يعملون الحلواء بالعسل والزيت، وبها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المتعددة الأنواع والأجناس من النخل والعنب والتين والرمان والزيتون والسفرجل والتفاح على أصناف الكمثرى كذلك. ويسمّى ببرّ العدوة الإنجاص كما يسمّى بدمشق، والمشمش والعين والبرقوق والقراسيا والخوخ غالب ذلك على عدّة أنواع.

وأمّا التوت فقليل، وبها الجوز واللوز، ولايوجد بها الفستق والبندق إلاّ إذا جاء

مجلوباً، وبها الأترج والليمون والليم والنارنج والرتبوع، وهو المسمّى / ٨٤/ بمصر والشام الكباد، والبطيخ الأصفر.

وأمّا الأخضر فهو يسمّى عندهم بالدلاع وهو قليل، والموجود منه لايستطاب وبها الخيار والقثاء واللفت والباذنجان والقرع والجزر واللوبياء والشَّمار والكرنب والسمر والصعتر، وسائر البقول.

وأمّا القلقاس فلايزرع عندهم إلاّ للفرجة على ورقه، لا لأن يؤكل ولايوجد بها الموز إلاّ في بعض المواضع نادراً مما يُهدى ويباع.

وأمّا قصب السكر فهو بجزائر بني مزغنا وبالسوس وبنواحي مراكش وبسلا كثير ولولا عدم استقامة أهل السوس وتلك الأطراف وكثرة التوائهم لكان كثيراً جداً والموجود منه يعمل منه قند، ويسبك منه السكر، ولكنَّه متوسط المقدار.

وقد سألت ابن جرار عما يعمل بمراكش من السكر؟، فقال: يعمل منه أنواع ويخلص منه مكرر يجيء في نهاية البياض والصلابة ولطافة الذوق يقارب مكرر مصر إنْ لم يكن مثله، ولكن نوع السكر المعمول بالغرب غير كثير.

قال: ولو أنّهم أكثروا من نصب الأقصاب لكثر.

قال العقيلي: إنَّ بمراكش أربعين معصرة للسكر أو أزيد وزادت على سوس ومزارعه في أرض مراكش بوادي يعرف بوادي نفيس، وإن حمل حمار من القصب يباع بثلاثة دراهم يكون بدرهم واحد كاملي، فسألته عن السبب المانع لهم عن الاستكثار منه فقال: لكثرة وجود العسل النحل، واعتياد المغاربة لأكله، ووصف العسل عندهم ولذاذة طعمه وكثرة ألوانه.

ولقد سألتُ كثيراً من المغاربة حتى ممن أقام بمصر وتمصّر عن السكر فوجدتهم مائلين بالطباع إلى تفضيل العسل في الأكل عليه واستطابتهم له أكثر من السكر، واستعمالهم للعسل بدلاً منه في أطعمتهم وحوائهم. وزعموا أنّ مايعمل من العسل ألِذّ مما يعمل من السكر، وهذا مما لانسلمه إليهم ولايدّعي هذه الدعوى ذو ذوق سليم ولانظر مستقيم.

ولقد قال لي كثير منهم: إنّه مايستعمل السكر عندهم في الغالب إلاّ المرضى أو الغرباء أو الكبار من الناس في / ٨٥/ المواسم والضيافات.

قالوا: وكذلك الأرز لايؤكل عندهم إلاّ في يوم حفلٍ او دعوةٍ أو مريض أو غريب اعتاد أكل الرز في بلاده، وقد طال ماجرّه الحديث في هذا ونعود إلى تكملة مايوجد في برّ العدوة.

قال السلالجي: بها من الرياحين: الورد والبنفسج والياسمين والآس والنرجس والسوسن والبهار وغير ذلك.

وبها من الدواب: الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم ولايعدم عندهم الجاموس؛ فإنه لايوجد عندهم.

وبها أنواع من الطير: من الإوز والحمام والدجاج وغير ذلك، والكركي كثير عندهم على بعد الديار وغربة الأوطان ـ وتسمّى عندهم الغرانيق ـ وهي عندهم صيد الملوك كما هو بمصر والشام في صحاريها من أنواع الوحش الحمر والبقر والنعام والغزال والمها وغير ذلك.

وأمّا مراكش فهي متوسطة بين المحيط إلى الصحراء إلى البحر أربعين ميلاً، ومثله إلى الصحراء وهي ـ كما قدمنا ـ ثانية قواعد الملك.

حكى لي غير واحد عن سعة دورها وضخامة عمائرها ومافيها من قصور بني عبد المؤمن وأولادهم وأجنادهم حتى يقال: إنه إذا كان الرجل في صدر الدار ونادى رفيقه وهو في صدرها الآخر بأعلى صوته لايكاد يسمعه لاتساعها.

قال ابن سعيد: ودورها سبعة أميالٍ، وهي بسيطة يمتدُّ فيها البصر بناها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وأول مابنى بها القصر المعروف بقصر الحجر، ثم بنى الناس حوله.

ثم إنَّ يوسف العشري وهو أبو يعقوب بن عبد المؤمن[1] كبّرها وفخمها ومصرها

---

(١) يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أبو يعقوب، أمير المؤمنين: من ملوك دولة الموحدين بمراكش. وهو الثالث فيهم. مولده في تينملّل سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م، وبويع له وهو بإشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة٥٥٨هـ) ثم بويع البيعة العامة في مراكش، سنة ٥٦٠ وحسنت سيرته. وكان حازماً شجاعاً، عارفاً بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، استقدم إليه بعض علماء الأقطار وفي جملتهم أبو الوليد ابن رشد. وهو باني مسجد إشبيلية، أتمه سنة ٥٦٧ وإليه تنسب الدنانير «اليوسفية» في المغرب.

وكانت علامته في المكاتبات وعلامة من بعده: «الحمد لله وحده» له فتوحات انتهى بها إلى مدينة شنترين (غربي جزيرة الأندلس) وهناك، وهو محاصر لها، أصيب بجراحة من حامية الفرنج، فأراد الرجوع إلى المغرب فمات قرب الجزيرة الخضراء سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، فحمل إلى تينملّل ودفن بها إلى جنب قبر أبيه.

ترجمته في: الاستقصا، الطبعة الأولى ١/ ١٥٩ ـ ١٦٤ وأعمال الأعلام، القسم الثاني ٣٠٩ وابن خلدون ٦/ ٢٣٨ والأنيس المطرب القرطاس، ص١ من الكراس ١٩ وابن خلكان ٢/ ٣٧٣ وفيه: =

وضخمها وجلب إليها المياه والغراس ومنارة جامعها المعروف بالكتبيين طولها مائة وعشرة أذرع من الحجر، وعلى باب جامعها ساعات إرتفاعها في الهواء خمسون ذراعاً ينزل عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم يتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد، وتسمّى عندهم المنجانة، وهي الآن بطالة لاتدور.

قال ابن سعيد: وحضرة [مراكش] /٨٦/ مماسكها وعرفتها ظاهراً وباطناً، ولاأرى العبارة تفي بما تحتوي عليه، ويكفي أنَّ كل قصر من قصورها مستقلّ بالديار والبساتين والحمام والإصطبلات والمياه وغير ذلك حتى يغلق الرئيس منهم بابه على جميع خوله وأقاربه ومايحتاج، له ولاتخرج له إمرأة إلى خارج داره ولايشتري شيئاً من السوق لمأكلٍ ولايقرىء أولاده في مكتب خارج، ويخرج هو من بيته راكباً لاتقع عليه العين راجلاً. وفيها قصور عظيمة، وبها قصر الخلافة بناه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ـ وهو وسط المدينة إختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه وتعرف بـ(تامراكشت).

قال ابن سعيد: ولاأدري كيف أصل إلى غاية من الوصف أصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة فإنها من عجائب همات السلاطين ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية، وبها قصر الخلافة، وبه ديار عظيمة منها دار البلور، ودار الريحان، ودار الماء. وكل دار منها لا تخلو من المياه والبساتين العجيبة والمناظر المرتفعة المشرفة على بسائط مراكش، ولها ثلاثة أبواب مختصَّة بها باب البستان. وكان لايراه إلاّ خواص بني عبد المؤمن يفضي إلى بستان يعرف بالبحيرة طوله اثنا عشر ميلاً فيها العمائر الجليلة والمصانع العظيمة والبركة التي لم يُعمل مثلها.

قال العقيلي: وطولها ثلاثمائة وثمانون باعاً على جانبها الواحد أربعمائة شجرة من النارنج وبين كل اثنتين إما ليمونة وإما ريحانة.

والباب الثاني «باب القراقين» وهو داخل في المدينة مراكش يتصرف منه إلى مايحتاج إليه بالمدينة.

والباب الثالث «باب الرياض» وأمامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل وكانَّ بها

= مرض ومات وهو محاصر شنترين، وحمل في تابوت إلى إشبيلية. والحلل الموشية، طبعة رباط الفتح ١٣١ـ ١٣٢ وفيه الفقرات الآتية: «وفي جوازه الثاني سنة ٥٨٠ دوخ بلاد غرب الأندلس، ونزل مدينة شنترين. وملك من طرابلس إلى جزيرة شقر بالأندلس. وكانت وفاته بنهر تاجه في قفوله من غزاة شنترين، على ظهر دابته، واحتمل إلى رباط الفتح، من سلا، فدفن به، ثم احتمل إلى تينملل فدفن لصق أبيه».

أنواع من الوحوش في زمان بني عبد المؤمن، وبها قبّة الخلافة إلى جانب الباب كان يخرج إليها خليفتهم بكرة كلّ نهار وتكون بها الخدمة، وفي رحبة القصر دار الكرامة والأضياف، وفيها /٨٧/ يقول أبو بكر بن مجير المرسي ـ[1] رحمه الله: [من الخفيف]

ذاكَ داعي الهوى بمثوى الإمامهْ ... موجبٌ للأنام دارَ الكَرَامةْ
قدْ دعا دعوةَ العمومِ إليها ... مُعلناً كالنداءِ أو كالإقامهْ
فتباروا إلى نعيمٍ عميمٍ ... فتحوا بابَهُ وفَضُّوا خِتامَهْ
خيرُ قومٍ دَعَوا إلى خيرِ دارٍ ... هي للمُلكِ نضرةٌ وكمامهْ
عالمُ السبعةِ الأقاليمِ فيها ... وهمُ في فَنائها كالقُلاّمهْ
ماتوسمتُ قبلَ جمعٍ أتاها ... أنّ ذا الحشرَ قبلَ يومِ القيامهْ
تَسأَمُ الريحُ حينَ تطوي مَداها ... وتجولُ العيونُ دونَ شامه

وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب وفيه كان خلفاء بني عبد المؤمن يجالسون العلماء. وفيها دار مخصوصة للوزارة المحلاة بوزير الجند.

وتفضي هذه الرحبة إلى باب السادة، وهو يفضي إلى خارج مراكش. كان مخصوصاً ببني عبد المؤمن إليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة منها ينزلون، وهناك مقابر أكابرهم، وجنائز الأعيان في نهاية حسن المباني والغراس.

وفي الرحبة باب السقائف، وهو باب كبير يخرج منه إلى سقائف أهل الجماعة وهم ذرية العشرة أصحاب مهديهم ابن تومرت، وسقائف أهل خمسين، وسقائف الطلبة، وهم أهل العلم والقراءة، وسقائف الحفاظ، وهم المقدمون على الأعمال لحفظها، وسقائف أهل المدار، وهم غلمان الخلافة.

ثم يخرج من هذه الرحبة إلى سقائف القبائل وأعيان الغز والجموع، ثم يفضي إلى رحبة عظيمة فيها سقائف جنفيسية وجدميوه، والقبائل هكسورة وصنهاجة، وهؤلاء هم قبائل الموحدين.

---

(١) يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهري أبو بكر: شاعر المغرب في وقته عالي الطبقة، من أهل بلش بمالقة، ولد سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠/ نزل مراكش واتصل بالملوك والأمراء، وله فيهم شعر كثير، وتوفي فيها سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م.
قال الضبي: رأيت شعره مجموعاً في سفرين ضخمين.
ترجمة في:
نفح الطيب، ط الأميرية ٢/ ٨٠٣، كشف الظنون ٧٦٨، بغية الملتمس ٤٩٣ وفيه اسمه «يحيى بن مجير» وتابعه ناشر زاد المسافر ٩ـ ١٥ وأورد مختارات من شعره. الأعلام ٨/ ١٥٢، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٣١ .

وبها موضع صاحب الشرطة وبازائها الجامع المبني في تامراكشت على صحنه شبك من الصفر الأندلسي، وهو في غاية الزخرفة والإتقان ولايبرح المنبر مستوراً في بيت المقصورة، /٨٨/ وهو والمقصورة مستوران إلى يوم الجمعة قريب الصلاة، وترفع ستورها.

والنهر الذي جلبه المنصور إليها يخترق قصوره، ثم يمرّ على السقائف والرحاب ـ المقدمة الذكر ـ ثم يحدق بالجامع، ثم يمرّ بالجامع وبين السواق قدر ميل إلى أن يخرج على باب الصالحية من أبواب مراكش.

وفي هذه الرحبة ـ المقدمة الذكر ـ باب الكحل كان منه دخول الموحدين وأمامه فضاء عظيم يسع وقوف الخلائق وتصرّفها، وباب الربّ لايدخل هذا النوع إلاّ منه لاحتمال أن يدخل المدينة خمر.

وبها الصهريج الكبير ـ والصهريج في لغة أهل المغرب البركة ـ وهي بركة عظيمة عليها سور وباب يصبُّ فيها النهر الثاني الداخل إلى مراكش، وفيها يوزع بقياس معلوم على قصور الناس، ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من نهرٍ من جهة أخرى في وسط الأسواق ومابعد، وفيها برك تصبُّ فيها المياه.

وفي هذه الرحبة باب الشريعة أمام مصلّى العيدين وبينهما فسيح عظيم به سوق الخيل، وللسلطان به قصر مطلّ عليه.

ويليه باب تفليس يخرج منه إلى بلد تفليس المفضلة بالمياه والأعناب وقدامه بركة أقنا يتعلّم فيها الصبيان العوم.

ويليه باب مخزن السلطان كان به وإلى جانبه قصر سعيد وقصر أمة العزيز وقصر ابن جامع لايُعلم كم غرم على كلّ واحد منها حتى قال ابن سعيد في المغرب عن قصر ابن جامع: وهو أحد وزراء بني عبد المؤمن، وإنه كان في داره ساحة يلعب فيها خمسمائة جارية على خيل الخشب وتتطاعن.

ويلي ذلك باب مسوفة يفضي إلى المقابر وباب دكاله، وهو مفضٍ إلى المتنزهات.

ويليه باب الرخاء، ويليه باب باغورت، ويليه باب فاس، وهو مُفضٍ إلى فضاء يفضي إلى نهر كبير لايخاض إلاّ في زمان الصيف وعليه بساتين جليلة ومتنزهات، ويليه باب الدباغين، ويليه باب بيسان /٨٩/ ، ويليه باب ايلان، ويليه باب أغمات، وأمامه منازل المخدومين لايمازحون الحضرة، ويليه باب الصالحية وخارجه مقابر وبساتين.

ولمراكش بَوَادٍ فسيحة، وماختار ابن تاشفين بقعتها إلاّ لمراعي إبله حولها، وبها كثير من أرباب العمائر.

وأمّا تلمسان وهي قاعدة الملك الذي فتحه هذا السلطان بسيفه واستضافه إلى ملكه.

قال الشريف في كتاب رُجّار: وهي في سفح جبل وبها آثار الأول، وماؤها مجلوب من عيون على ستة أميال، ولها أسواق ضخمة ومساجد جامعة وأنهار وأشجار. وشجر الجوز كثير بها، وفيها المشمش المقارب في حسنه لمشمش دمشق، وعلى نهرها الأرجاء ويصبُ نهرها في بركة عظيمة من آثار الأول، ويسمع لوقعه خرير على مسافة ثم يصبّ في نهر آخر بعدما يمر على البساتين ويستدير بقبليها وشرقيها، وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصبّ في البحر، وهي دار علم متوسطة في قبائل البربر، ومقصد تجار الآفاق زكيّة الأرض من الزرع والضرع، ولها حصون كثيرة، وقرص عديدة أشهرها فرضة هنين وهي قبالة المرية ووهران.

وتلمسان ـ على مابلغ حدّ التواتر ـ في غاية المنعة والحصانة مع أنّها في وطاءٍ، لكنها محصنة بالبناء، ولقد أقام أبو يعقوب يوسف ـ عمّ هذا السلطان أبي الحسن نحو عشر سنين، وبنى عليها مدينة سمّاها تلمسان الجديدة.

ثم مات وسمّى أهل تلمسان تلك السنة سنة الفرج حتى كتبوا في سكتهم ونقشوا: «ماأقرب فرج الله»،

وشرع حينئذٍ أبو حمُّو بعد إتمام سنة من الفرج من رحيل بني مرين عنها ـ وهو والد سلطانها أبي تاشفين المأخوذة منه ـ تحصيل موتها وتحصين أسوارها، ولم يدع مايحتاج إليه المحاصر لعدّة سنين كثيرة حتى حصله من الأقوات والآلات حتى سليت الشحوم، وملئت بها الصهاريج، وملئت أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب واختزل أرض /٩٠/ داخل المدينة كلها زرع.

ومات أبو حمُّو وولي بعده أبو تاشفين فزادها تحصيلاً من الأقوات وتحصيناً من الأسوار والآلات، وبناها البناءات العجيبة الشكل والقباب الغريبة المثل والبرك المتسعة، والقصور المنيفة، وغرس فيها بساتين، غرس بها من سائر أنواع الثمار إلى أن حاصر بجاية ونازلها، وبنى عليها فاستنجد الموحدون المريني فأرسل إليه العلماء والصلحاء والأعيان وندبوه إلى الصلح بينهم فأبى إلاّ عتوّاً وفساداً فنهض إليه أبو الحسن وحاصره أشدَّ حصار وبنى عليه مدينة سمّاها المنصورة، وبقي أربع سنين محاصراً لها مضيّقاً عليها آخذاً بخناقها، ونصب عليها المجانيق، وأخذ عليها المسالك من كل جهة، ولم يدع طريقاً لداخل إليها ولالخارج منها، وسلطانها أبو تاشفين وجميع أهلها في ضيق الخناق معهم لايفكّ لهم وثاق، ولايحلّ لهم خناق، ولاتبرق لديهم

بارقة خلاص. وكانوا مع التشديد الشديد في غاية الامتناع لحصانة بلدهم وكثرة مابها من الماء والأقوات.

وكان في المدينة عين ماء لايقوم بكفايتها. وكان يجري إليها الماء من عين خارجة عن البلد، لم يعرف لها أحداً منبعاً أخفيت بكثرة البناء المحكم ولم يظهر لها على علم إلى أن خرج أحد من يعرفها من البنائين المختصين بسلطانها الكاشف عليها حين بنائها فأظهرها للسلطان أبي الحسن وكشف عنها فقطعها عنهم وأبعدها منهم، وصرفها إلى جهة أخرى فقنعوا بالعين الذي في داخل بلدهم، واكتفوا بالبلالة، ولم يظهر منهم وهن ولا خور لانقطاع الميرة لما كان عندهم من المخزون حتى قدائد اللحوم، ومسليات الشحوم، ولم يتغيَّر طعمها؛ لأنَّ بلاد الغرب مخصوصة بطول مكث المخزونات بها فإنه ربما بقي القمح والشعير في بعض أماكنها ستين سنة لايتغيّر ولايسوس، ثم يخرج بعد خزن هذه المدَّة الطويلة فيزرع وينبت وخصوصاً تلمسان في برّ العدوة وطليطلة في الأندلس.

حكى ابن ظافر في كتابه / ٩١/ المترجم بـ«سياسة الملوك» أنّ القمح يقيم بطليطلة ثمانين سنة مخزوناً في صهاريج، ثم يخرج ويزرع.

قال: ولايزيدها مدة الخزن إلاّ صفاء، ولاطول المكث إلاّ جدّة.

ونعود إلى ذكر تلمسان فنقول: إنها منحرفة إلى الجنوب الشرقي [من] فاس، ولها ثلاثة أسوار، ومن جهة القصبة ستة أسوار بعضها داخل بعض، ولم يهجس بخاطر أنها تؤخذ، ولكن يسرَّ الله لهذا السلطان أبي الحسن المريني صعبها، وذلّل له إباءها حتى ملك ناصيتها، وبلغ دانيتها وقاصيتها.

وإذ قد ذكرنا قواعد الملك الثلاثة فلنذكر مالابأس بذكره من هذه البلاد، وأول مانبدأ بذكر سبتة لصيتها الطائر في الأفاق لمكان بحر الزقاق منها وهي على ضفّة بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض شديد الضيق من جهة الغرب، والبحر المحيط محيط بها شرقاً وغرباً وقبلة، ولو شاء أهلها أن يصلوها به من جهة الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة ولها فاكهة كثيرة، وبها قصب سكر ليس بالكثير، وعليها أبراج كثيرة واسوارها عظيمة من صخر محيط بها، وكذلك يحيط بجبل مينائها الذي بشرقيها وبربضها أسوار، وبها حمامات يجلب إليها الماء على الظهر من البحر في السواني وطول المدينة من السور الغربي المحيط على ربضها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال، ولم يزل دار علم وفقه.

وقد ذكر الحجّاري أول مصنفي كتاب المغرب: أنّها أول ما بني في برّ العدوة

وهي من قرص البحر العظيمة لكثرة مايرد عليها من مراكب المسلمين والنصارى من كل جهة وجميع طرف الدنيا أو غالبها موجود فيها. وهي مليحة نزهة، والبحر عندها ضيق. وإذا كان الصحو بصر أهلها منها الجزيرة الخضراء المسامتة لها / ٩٢/ من الأندلس. وشرب أهلها من الماء مجلوباً إليهم من البحر من بليوس وغيرها من متنزهاتها، وفي داخلها صهاريج من ماء المطر والأغنام تجلب إليها، والقمح لايزكو نباته في ارضها، وإنما يجلب إليها جلباً كثيراً، وبها الصخرة التي قبالها أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ أوى إليها، ولايصح.

وبها سمك كثير منه نوع يسمّى سمك موسى نسبةً إلى حوته الذي اتخذ سبيله في البحر سرباً، ولحمه نافع من الحصى مقوٍ للباه، وهو يوجد بالبحر قريب جبل سبتة المعروف بجبل موسى ـ عليه السلام ـ وبه رمال ينبط منها الماء العذب ويتبعث من أجراف على ضفة البحر.

ولقرب سبتة من الزقاق الذي منه البحر الشامي، يقال للبحر الشامي البحر السبتي.

وكانت سبتة دار ملكٍ للعزقيين حتى أخذها بنو مرين تقرّب بها صاحبها إبراهيم إلى السلطان أبي سعيد وتغلَّب له عليه صاحبها محمد ابن القائد علي العزقي وأخذها بالملاطفة بالسيف وسلَّمها إليه وعوَّضهم عنها بما أرضاهم من الإحسان والضياع والمرتبات العظيمة وأقاموا معه بفاس ملحوظين بالإكرام والتقديم.

ثم نذكر طنجة؛ لأنها لايخلو مصنف في هذا الشأن من ذكرها؛ لأنَّها كانت دار ملك قديم، وذكر شائع، وهي مدينة مسورة متقنة على ساحل بحر الزقاق، وهو محطّ السفن اللطاف.

وكانت قاعدة تلك الجهات قبل الإسلام ـ وحين الكتب القديمة المصنّفة في هذا الشأن ذكرها ـ وهي كثيرة الفواكه وخصوصاً العنب والكمثرى وأهلها مخصوصون ومشهورون بقلّة العقل وسخف الرأي على أنَّ أبا الحسن بن بيّاع الصنهاجي الطنجي[١] منها، وقد أثنى عليه الفتح ـ صاحب قلائد العقيان ـ فقال: طود سكون ووقار، وروضة

(١) ولي قضاء طنجة، كتب عنه د. محمد بن شريفة مقالاً في مجلة المناهل المغربية ع٢٢ سنة ٩/ ١٩٨٢.
ترجمته في: خريدة القصر، قسم المغرب ٢/ ٥٥٦، النبوغ المغربي في الأدب العربي ٣/ ١٨٧، قلائد العقيان ٣/ ٦٩٥ ـ ٧٠٧.

نباهة يانعة الأزهار. ووصفهُ بالعلم والبلاغة / ٩٣/ والطب، وأنشد له أشعاراً منها يصف روضة ممطورة[١]: [من الكامل]

وقفتْ عليها السحبُ وقفةَ راحم ... فبكتْ لها بعيونِها وقلوبِها
فعجبتُ للأزهارِ كيفَ تضاحكتْ ... ببكائِها وتباشرتْ بقطُوبِها

وقوله[٢]: [من الوافر]

لقدْ جثمتْ بقلبِكَ مُتلفاتٌ ... بكلِّ ثنيّةٍ منها صريعُ
وقد تَحمي الدروعُ منَ العَوالي ... ولاتحمي مَن الحدق الدروعُ

ومن أهل طنجة أيضاً: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الحضرمي الطنجي القائل: [من الطويل]

فُؤادي وإنْ زمُّوا الحُمُولَ حَمُولُ ... ودمعي وإنْ بثُّوا الوصولَ وَصُولُ
ولَمْ يرَ واشٍ كالغرِام بدمعةٍ ... فانّا سكتْنا والدموعُ تقولُ

قال: [من الطويل]

وقالوا: رحيلٌ كان قلنا: فإنّهُ ... حياةٌ لها عنّا نوًى ورحيلُ
وظنُّوا بتوديعٍ وجادوا بتركِهِ ... وربَّ دواء مات منه عليلُ

وقد ذكرنا فيما ذكره صاحب القلائد، وأخرجنا للتقليب هذه الفوائد، لنعرف به أنَّ من طنجة على مانسب إلى أهلها من الحمق من هذا عنوان عقله، وتبيان فضله.

ثم نذكر سجلماسه..؛ لأنها من أجل مدن برّ العدوة، وهي باب الصحراء إلى أرض السودان وبلاد مغزارة الذهب، ولموقعٍ عجيب في زرعها سنذكرها بمشيئة الله تعالى.

فأول مانقول: إنَّ سجلماسة مدينة جليلة في جنوبي برّ العدوة متصلة بالصحراء الكبيرة، من أكبر مدن الغرب وأشهرها ذكراً في الأفاق، وعليها نهر كبير ذات قصور مشيّدة، وأبنية عليّة وأبواب رفيعة صحيحة الهواء لمجاورة البيداء.

وأرضها سهلة سبخيَّة، ولها أرباض كثيرة مخصوصة بأن لايجذم أحد من أهلها، لكن تلحقهم رطوبة في أجفانهم. وبها نخيل كثير تمره على أصناف يحمل منه إلى عامة الغرب، ويفضل تمرها على ماسواها حتى يضاهي به تمر العراق. / ٩٤/ وبتمرها يضرب في الغرب المثل، ولها بساتين خضرة نضرة على قشف مكانها وجفاء سكانها.

---

(١) من قصيدة قوامها ٢٤ بيتاً في قلائد العقيان ٣/ ٦٩٥ ـ ٦٩٧ .

(٢) من قصيدة قوامها ١١ بيتاً في القلائد ٣/ ٧٠٣.

قال ابن حوقل[١]: ونهرها يزيد في الصيف كزيادة النيل ويزرع بمائه مثل زرع مصر، وربّما زرعوا الزرع ثم حصدوه، ويبقى جذره في الأرض إلى السنة الآتية، ثم يسقى فيطلع ويحصدها كذا سبع سنين يستغل سبع مغلاتٍ ببذار واحدٍ.

قال ابن سعيد، قال الجدلي: مغل أول سنة هو القمح ثم المغلات الباقية السلت وهو مابين الحنطة والشعير.

قال ابن سعيد: وأهلها مياسير، ولهم متاجر إلى بلاد السودان، قال: ولقد رأيت صكاً فيه حقّ على رجل من سجلماسة آخر من أهلها باثنين وأربعين ألف دينار.

ومدينة سجلماسة آخر العمران ليس قبليها عمران بل منها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع، ويعودون بالذهب وليس بعدها إلا تابلبلت في البرية إلى أولاثن وبينهما المغازة العظمى وهي أربعة عشر يوماً لايوجد بها ماء ولايدخلها إلاّ الإبل المصبرة على الظمأ.

وهي أرض موحشة الأقطار مجهولة المسالك لايحمل سالكها على ركوب خطرها إلاّ الفائدة العظيمة على السودان، فإنّهم يتوجهون بما لاقيمة له، ويعودون بالذهب الصامت وقر ركائبهم.

وأمّا زيّ هذا السلطان وزيّ الأشياخ وعامة الجند فهي عمائم طوال رقاق قليلة العرض من كتان، ويعمل فوقها إحرامات يلفونها على أكتافهم من الجباب ويتقلدون بالسيوف تقليداً بداوياً والأخفاف في أرجلهم وتسمّى الأنمقة والمهاميز، ولهم المضمّات وهي المناطق، ولكنهم لايشدُّونها إلاّ في يوم الحرب أو يوم التمييز، وهو يوم عرض سلطانهم لهم، وتعمل من فضة، ومنهم من يعملها ذهباً، ومنها مايبلغ ألفي مثقال، ويختص سلطانهم بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لايلبسه /٩٥/ ذو سيف سواه.

فأمّا العلماء وأهل الصلاح واسمهم عندهم المرابطون فإنهم لاحرج عليهم في لبسه. هذا مافي البرانس البيض، فأما سائر الألوان فلاحرج عليهم في لبسها كائناً من كان ولايدق طبل لأحد في سفر ولاحضر إلاّ للسلطان خاصةً لاغير.

حكى لي السلالجي: أنّ بعض الحلق من مصر. دخل إلى فاس وعمل بها حلقة وبقي يدق بطبله له على عادته وعادة أرباب الحلق فحصل عليه الإنكار وأمر بإبطاله. وضرب الطبول محفوظ لأهل بيت خاص بهم من أهل مراكش هذا لبس ذوي السيوف.

(١) صورة الأرض.

فأمّا القضاة والعلماء والكتاب وعامة الناس فقريب من هذا الزي إلاّ أنَّ عمائمهم خضر، ولايلبس أحد منهم الأنمقة، وهي الأخفاف في الحضر. فأمّا في السفر فلاجناح منهم على من لبسها، وليس لهؤلاء سيوف.

ومن عادة هذا السلطان أن يعرض جنده في رأس كل ثلاثة أسهم ليُعرف منهم الحاضر والغائب والقادر والعاجز فيخرج إلى مكان معدٍّ لهذا بظاهر قصوره ويجلس على علوٍّ في ذلك المكان، ويجلس تحته الكتاب، ويستدعي عسكره بالأسماء اسماً اسماً ويقابل على أسمائهم وحلاهم، ثم يصرف على كل واحد منهم راتبه، هذا للجند الأندلسيين الذين يرمون بقوس الرجل والفرنج.

وأمّا سائر العسكر فلهم إقطاعات وبلاد وإحسان من رأس السنة إلى رأس السنة، والراتب يسمّى بأفريقيّة البركة، ويسمّى بمصر والشام النقد، أو الإقطاع، ولكن لايقاس إفريقية بها في هذا.

ولايعرف في هذه المملكة ماهم الأمراء اسماً ولامعنًى كما هو بمصر وإيران، بل الأشياخ الكبار والصغار ـ كما تقدّم القول فيه ـ في إفريقية فإنّه ليس في الغرب من يطلق عليه هذا الإسم كما يعرف في مصر والشام، إنَّ هذا الإسم يصدق على حقيقة رجل له عدة من الجند.

قال أبو عبد الله محمد بن محمد السلالجي: والذي للأشياخ الكبار على السلطان يكون لكل واحد منهم /٩٦/ في كل سنة عشرون لف مثقال من الذهب في كل سنة يأخذها من قبائل وقرى وضياع وقلاع، ويتحصل له من القمح والشعير والحبوب في تلك البلاد نحو عشرين ألف وسقٍ، وفي كُلّ سنة حصان بسرجه ولجامه وسيف ورمح محلّيان وسبنية، وهي بقجة قماش فيها ثوب طرد وحش مذهب إسكندري، ويسمّى عندهم الزرد خانه وثوبان بياض من الكتان ـ عمل إفريقية ـ وإحرام وشاش طوله ثمانون ذراعاً وقصبتان من ملف يعني من الجوخ من أي لون كان، وربما يزيد الأكابر، وربما ينقص من لم يلحق بهذه الرتبة من أصاغر الأشياخ.

وأمّا الأشياخ الصغار فيكون لهم من الراتب والمجاسر نصف ما للأشياخ الكبار، والحصان المسرج الملجم والسيف والرمح والكسوة، ومنهم من لايلحق بهذه الرتبة فيكون أنقص.

وأما للجند فأعلى طبقات الجند المقربين إلى السلطان فيكون للرجل منهم ستُّون مثقالاً من الذهب في كل شهر، وقليل ماهم.

وأمّا المعظم فأعلى طبقتهم من يكون له في الشهر ثلاثون مثقالاً ثم مادونها إلى

أن تتناهى إلى أقلّ الطبقات، وهيّ ستة مثاقيل في كل شهر، هذا المستقرّ لهم، وليس لأحد منهم بلد ولامزدرع.

قال: وجميع أرزاقهم ناضة إليهم مُيسَّرة عليهم.

قال: ومن عادة هذا السلطان أن يجلس في بكرة كل يوم ويدخل عليه الأشياخ الكبار وهم في دولته بمنزلة أمراء التوامين بإيران، ومقدّمي الألوف بمصر ليسلّموا عليه، ثم يمدّ لهم سِماط ثرائد في جفانٍ وحولها طوافير، وهي المخافي فيها أطعمة ملونة منوعة ومعها الحلواء منها ماهو السكر ومعظمها بالعسل، ومنها النوعان موجودان إلاّ أنَّ السكر قليل، وجمهور مايعمل من العسل من الحلواء بالزيت، فإذا أكلوا الطعام تفرَّقوا إلى أماكنهم، وربّما ركب السلطان بعد هذا.

فأمّا أخريات كل نهار فقل أن لايركب إلى نهر هناك بعد العصر ويخرج إلى مكان فسيح من الصحراء /٩٧/ فيقف به على نشز ويركب العسكر حوله ويتطارد قدّامه الخيل فتتطاعن الفرسان، وتتداعى الأقران، وتمثل الحرب لديه وتقام صفوفها المرصوصة بين يديه كأنّه حقيقة يوم الحرب واللقاء على سبيل التمرين ثم يعود في موكبه إلى قصره وتتفرق العساكر إلى أماكنهم، ويحضر العلماء والفضلاء والأعيان إلى مسامرته، ويمدّ لهم سماط بين يديه ويواكلهم في ذلك الوقت لكاتب سرّه معه خصوصية إجتماع للأخذ في المهم وعرض القصص والرقاع ويبيتون عنده أكثر الليالي إلاّ كاتب السرّ فإنّه في بعض الليالي قد يؤمر بالمبيت فيبيت بخاصته.

وأما هيأة جلوسه للمظالم فإنه يجلس على فرس مرفوعة في قبّة معلومة للجلوس له بحضرته الأشياخ مقلّدين بسيوفهم.

فأمّا من لا له هذه الرتبة، ولا له وضع من ذوي السيوف فإنَّهم إذا دخلوا إلى مجلس السلطان وقفوا بعيداً منه مصطفين متكئين على سيوفهم، وإذا أراد صاحب الشكوى إبلاغ شكواه، وهذا إنّما يكون حين ركوبه وظهوره صاح من بُعدٍ «لاإله إلاّ الله» أنصرني نصرك الله، فيعلم أنه شاكٍ فتؤخذ قصته وتُعطى لكاتب السرّ، فإذا رجع إلى مقرّه واجتمع مع كاتب سرّه، وقرأ عليه تلك القصة وغيرها فينظر في ذلك بما رآه وإذا سافر السلطان وخرج من قصره ونزل بظاهر بلده وارتحل من هناك ضرب له طبل كبير قبيل الصبح إشعاراً بالسفر فيتأهب الناس، ويشتغل كل أحد بالاستعداد للرحيل، فإذا صليت صلاة الصبح ركب الناس على قبائلهم وطبقاتهم ومنازلهم المعلومة ووقفوا في طريق سلطانهم صفاً بجانب صفٍ، ولكل قبيلٍ وجند علم معروف به ومكان في الترتيب لايتعداه، فإذا صلّى السلطان الصبح قعد أمام الناس ودارت عليه ما له من العبيد

والوصفان والعدويين الذين هم كالنقباء، ويجلس حوله ناس يعرفون بالطلبة يجري عليهم ديوانه /٩٨/ ويقرؤون حزباً من القرآن الكريم ويذكرون شيئاً من الحديث الشريف النبوي ـ على قائله أفضل الصلاة والسلام ـ فإذا أسفر الصبح ركب وتقدّم أمامه العلم الأبيض الذي هو سعد الدولة، ويقال له: المنصور وبين يديه الرجالة بالسلاح والخيل المجنوبة ببراقع الوشي والبراقع من ثياب السروح.

وعندما يضع السلطان رجله في الركاب يضرب في طبل كبير ثلاث ضربات، يقال له: تريال إشعاراً بركوبه.

ثم يسير السلطان بين صفيّ الخيل، ويسلّم كل صف عليه بأعلى صوته: سلام عليكم، ويكتنفانه يميناً ويساراً، وحينئذ تضرب جميع الطبول التي تحت البنود الكبار الملونة خلف الوزير على بعد عن السلطان، وربّما ركب إلى جانبه ولايتقدم راكب إلاّ عن بعد كبير أمام العلم الأبيض إلاّ من يكون من خواص علوجه، وربما يأمرهم بالجولان بعضهم على بعض، ثم ينقطع ضرب الطبول إلى أن يقرب من المنزل، فإذا قرب السلطان من المنزل ضربت الطبول تتقدّم الزَّمَّالة إلى المنزل، وهؤلاء هم الفراشون وتضرب شقة من الكتان في قلبها جلود تقوم بها عصا وحبال من القنب في أوتاد وتستدير على كثير من أخبيته وبيوت السفر الخاصة به وبعياله وأولاده الصغار وتكون هذه الشقة كالمدينة لها أربعة أبواب في كل جهةٍ باب ويحفُّ به عبيده وعلوجه ووصفانه.

قال السلالجي: وهؤلاء بني مرين أكثر ميلهم إلى بيوت الشعر على عاداتهم الأولى في البداوة مع أنهم اليوم [من] أشياخهم من ضرب أخبية كثيرة مع البيوت ولهم في ذلك تنافس.

قال: ويضرب للسلطان أمام ذلك قبة كبيرة مرتفعة من كتّان يسمّى قبّة الساقية لجلوسه للناس فيها وحضورهم عندهم بها وإذا ركب هذا السلطان لايسايره إلاّ بعض الأشياخ الكبار من بني مرين أوبعض عظماء العرب وكثيراً ماإذا استدعى أحداً /٩٩/ لايجيء إليه ماشياً فربما حدّثه وهو ماشٍ معه، وربما أكرمه فأمره أن يركب. وإذا عاد السلطان إلى حضرة ملكه ضربت البشائر له سبعة أيام، وأطعم الناس طعاماً شاملاً في موضع يسع الجماهير.

وشعار هذه المملكة هو اللواء الأبيض ـ المقدّم الذكر ـ وهو المسمّى عندهم العلم المنصور كما وصف، وهو أبيض مكتوب بالذهب نسجاً من الحرير آي من القرآن بدائر طرّته، وحوله أعلام مختلفة الألوان.

ومن شعاره إذا ركب في سفره من مدينة، أو يوم دخوله، أو في يوم عيدٍ أن يركب الأشياخ حوله، وقدّامه محمول سيف ورمح وترس ـ وهي الدرّاقة عندهم ـ يحملها ثلاثة من خاصته من الوصفان، وهم من خدمة السلطان أو أبناء خدم السلافة وحوله من أهل الأندلس رجالة بأيديهم الطربيات وهي كالأطبار، وقوّاد النصارى الكبار بأيديهم ذلك، وهم خلفه وقدّامه، خمسون نفراً مشاة وأوساطهم مشدودة، بأيدهم رماح طوال وهم خلفه وقدّامه وبأيديهم رماح طوال ورماح قصار، بيد كل واحد منهم اثنان، طويل وقصير، وكلٌّ منهم متقلدٌ ـ مع ذلك ـ بسيف وأمامه الجنائب، وتسمّى عندهم المقادات يجرها أناس مشاة وهي مسرجة ملجمة على السروح براقع حرير منسوجة بالذهب، وهي ثياب السروج، والسروج مخروزة بالذهب خرزاً شبيهاً بالزركش وركبها ذهب مسبوك زنة ركابي السرج ألف مثقال ذهباً. فأمّا تحلية السروج بالأطواق ومايجري مجراها فإنّه لايعرف عندهم، ومن عادته في العيدين أن لاتضرب الطبول خلفه إلاّ بعد أن يفرغ من الصلاة والخطبة.

قال السلالجي: وفي ليلة العيدين أو ليلة ورود السلطان على حضرته ينادي والي البلد في أهلها بالميز ومعناه: أنَّ أهل كل سوق يخرجون ناحيةً ومع كل واحدٍ منهم قوس أو آلة سلاح متجملين بأحسن الثياب.

ويبيت تلك الليلة الناس أهل /١٠٠/ كل سوق بذاتهم خارج البلد، ومع أهل كل سوق علم يختصّ بهم عليه رَنْك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم فإذا ركب السلطان بكرة اصطفُّوا صفوفاً يميسون قدّامه، وركب هو والعسكر ميمنة وميسرة والعلوج خلفه ملتفين به والأعلام منشورة وراءه، والطبول خلفها حتى يصلي ثم يعود فينصرف أرباب الأشواق إلى بيوتهم، ولايحضر طعام عيد السلطان إلاّ خواصّه وأشياخه، وله طعام عام يحضره الضعفاء والمساكين.

وسألت أبا عبد الله السلالجي عن أرزاق القضاة والكتاب عنده؟، فقال: أما قاضي القضاة فله في كل يوم مثقال من الذهب، وله أرض يسيرة يزرع فيها مايجيء منه مؤنته، وعليق دوابه.

وأما كاتب السرّ وهو الفقيه الإمام العالم الفاضل أبو محمد عبد المهيمن بن الحضرمي[1] فله في كل يوم مثقالان من الذهب، وله محيّران في قريتين يتحصل منهما

(١) عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن، أبو محمد الحضرمي: صاحب القلم الأعلى بفاس، وصدرها في عصره.

=

متحصل جيد، وله رسوم كثيرة على البلاد ومنافع وإرفاقات، ولكل واحدٍ منهما في كل سنة بغلة بسرجها ولجامها وسبنية قماش برسم الكسوة نظير للأشياخ الكبار إلاّ الثوب الزردخاناه يعني الطرد وحش.

قال: وهذان هما المصيبان والبقية لاأعرف ما لهم، ولكن لانسبة لأحد إلى هذين الرجلين، وإنما أعلم أنه تطلق الرواتب من المحارث والأرض للفقهاء والعلماء والفقراء والحُسّاء، وهم أرباب البيوت.

وأما [ما] يكتب عن هذا السلطان فمن عادته أنّه إذا كتب عنه كتاب يكتب في أوله بخطّ الكاتب بعد، بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من أمير المسلمين المجاهد بهم في سبيل ربّ العالمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين المجاهد بهم في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق» فإذا انتهى الكتاب إلى آخره وختمه الكاتب بالتاريخ، كتب هذا السلطان بخطّه في آخره ماصورته: وكتب في التاريخ المؤرّخ به.

قال أبو عبد الله / ١٠١/ السلالجي: ولم يكتب أحد من ملوك بيته هذا بيده، بل كان كاتب السرّ هو الذي يكتب هذا إلاّ هذا السلطان أبو الحسن وأخوه أبو حفص عمر حين حياته. هذا مع وثوقه العظيم بكاتب السرّ الفقيه الفاضل أبي محمد عبد المهيمن بن الحضرمي واعتمادُه عليه ومشاركته في أمرٍ له.

وأمّا هذا السلطان أبو الحسن في ذاته فإنّه ممن أصلح الله باطنه وظاهره وعمّر بالتقوى قلبه وسائره. يساوي العلماء ويواسي الفقراء. معدود في أبطال الرجال،

= كان غزير العلم بالأدب والتاريخ. ولد بسبتة سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م ونشأ بها. وولي كتابة الإنشاء لأبي الحسن المريني بفاس. وتوفي بتونس في الطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. قال ابن القاضي: تقدم في علم الحديث وضبط رجاله، يحمل عن ألف شيخ قد حلاّهم وذكرهم في «مشيخة» ضاعت من يده وذهب بضياعتها علم كثير. وله شعر. يقول الزركلي: ورأيت في مكتبة اللورنزيانة (بفلورنس) مخطوطاً (رقم ٨٨ شرقي) مصدراً بما يأتي: «السفر الثاني من إيضاح المنهج في الجمع بين التنبيه والمبهج لأبي الفتح ابن جني، ما عني بجمعه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن ملكون الحضرمي رضي الله عنه، بتتبع عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي وإصلاحه، رحمهم الله أجمعين بفضله ومنّه، صيّره ديواناً وأجزاءاً لتكمل به الفائدة، العبد المذنب عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، وفقه الله».

ترجمته في: جذوة الاقتباس ٢٧٩ وفهرس الفهارس ١/ ٢٥٨ وذكريات مشاهير رجال المغرب: الرسالة ٢٦ وفيها ترجمة حسنة له ونماذج من شعره ونثره. وانظر: شجرة النور ٢٢٠. ودرة الحجال ٤٠٠، الأعلام ٤/ ١٦٩.

وشجعان الفرسان. ترد علينا من أخباره مايراوح النسيم، ويفاوح التسنيم، تدارك الله به أهل الأندلس، وقد جاذبت معاقلهم الكفار، وثبت مدنهم وهي على شفا جرف هار. قد أجرى الله على يديه أجر بقائها في يد الإسلام، واستوقف به طغيانها وقد آذنت بسلام. وهو في هذا الطرف ماسك بأوتاده، سالك فيه سبيل جهاده، رادٌّ لأعداء الله عن منى أطماعهم. مالاذ به خائف إلاّ أجاره، ولاأمله آمل فخاب ظنّه، وقد وسع الخلق بخلقه، وجمع أممهم على ماأطعمه الله من رزقه.

ولقد حدّثني غير واحد عن خلقه وخلائقه الرضية، وآثاره الوضية، وكمالاته التامة وفضائله المنقيّة المرضية، ما لحق به مَنْ سلف مِنَ السلف وهو ممن لايثنى له عن الجهاد عنان، ولايغمد له سيف ولاسنان حتى يسترد باقي ضالته المفقودة، وما أستولى عليه العدو من الأندلس من البلاد وجدير بمن هذه نيته أن يسهّل الله له ببلوغ مرامه، واستكمال مابقي في أيامه.

وهو رجل قتل الأيام، وفتل غارب الأنام، وخالط العلماء وتأدّب بآدابهم، وخالل الشجعان وزاد عليهم، لو صدع الحجر لأنفذه، او صدف المتردّي من السِّماك لانقده. لايلتفت طرفه إلى مانبذه ولاإلى ماتركه من الدنيا، أو ماأخذه، فلو رمى البحر لما زخر زاخره، أو قذف الزمان لما دارت دوائره، وقد أحيا حوله من حوله من صنائع آبائه، من اتبعهم بهم من صنائعه، أسود غيل، وجنود صرير وصليل. لايبدرهم صدى جبل إلى إجابة صريخ، ولايخبرهم بألطاف المتجدد سمع فرس يصيح / ١٠٢/ بهمم غطّت على من تقدّم، وآنست عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم.

وأما كيفية انتقال الملك إليه، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ: إنَّ هذا السلطان ولد بفاس سنة ستّ وثمانين وستمائة، وأخذ الملك عن أبيه أبي سعيد عثمان. كان قد عهد إليه لما غضب على أخيه أبي علي عمر. وكان عمر الموشح عند أبيه أولاً حتى خرج عمر على أبيه وغلبه على فاس، ثم أخذها أبوه منه وحاصره في المدينة البيضاء مقدار خمسة أشهر. وكان عمر في هذه المدّة ضعيفاً فدخل العلماء والصلحاء بينهما فأعطاه سجلماسه وأصار ولاية العهد إلى هذا السلطان أبي الحسن علي.

ثم تغيَّر عليه بسبب جرحه لقمر خادمه، وهي التي بيدها مفاتيح بيت المال، وذلك أنَّ أباه أبا سعيد عثمان سافر لزيارة ضريح سلفه بشالة، وهو موضع على مقربة من سلا ـ وترك ولده علياً خلفاً منه بفاس فاحتاج إلى شيء هو في بيت المال فأراد أخذه وطلب من قمر المهاجرة المفاتح فأبت أن تمكنه من ذلك، ولاأن تبلغه هنالك، فاغتاظ عليها وجرّد سيفاً كان معتقلاً به فجرحها فبلغ ذلك أباه فغاظه ماسمع فكتب كتاباً

وأمر بعض الأشياخ بمسيره إليه يأمره فيه بالخروج من البلد الجديدة، وسكناه بقصبة البلد العتيقة برأسه ليس إلاّ على فرسه، ولايركب معه أحد من جيشه، وسلبه عن كل شيء، فلمّا بلغه الكتاب ـ وهو في قصره حيث جلوسه للناس ـ قرأه وعرف مافيه فأخذه وألقاه على رأسه وقبّله بفيه وخرج من حينه إلى الموضع الذي رسم له فيه، وبقي محجوزاً مدّة إلى أن دخل العلماء والصلحاء والخطباء والأعيان فشفعهم فيه، ورضي عنه وأعاده إلى ولاية العهد.

ثم إنَّ أباه توجّه على قصد تلمسان بسبب وصول الأمير أبي زكريا يحيى ـ صاحب بجاية ـ إليه لاستنجاده لهم على ماتقدَّمت إليه الإشارة على عدوّهم المحاصر لهم فعرض له المرض وصدّه عن الوصول إلى تلمسان ضعف أصابه في طريقه فرجع إلى مدينة تازي وهناك وصلته /١٠٣/ ابنة المير أبي بكر في الأصطول الذي بعثه إليها فرجع إلى فاس واشتدّ به المرض فمات بعقبة البقر قريب فاس.

وحين مات والده وقف أبو الحسن راكباً على فرسه حتى بايعه الناس، ثم دخل فاساً ودفن اباه، وجلس موضعه، واستقلّ بالملك، وكتب إلى أخيه عمر يعزِّيه بأبيه، ويقره على حاله فأبى عمر وخرج على أخيه أبي الحسن فجهّز إليه أبو الحسن ولده يعقوب.

ثم إنه في آخر الأمر قصده بنفسه بالجيوش والعساكر وأراد أن يقبض عليه، ثم دخل بينهما العلماء وأهل الصلاح فعفا عنه، واقرّه على حاله، وكتبت بينه وبينه وثيقة مشهودة بذلك.

ثم بعد ذلك خرج ابو الحسن قاصداً إلى....[1]، فمال أخوه عمر إلى ممالاة أهل تلمسان عليه فضرب أبو الحسن وجهه عن تلمسان إلى سجلماسة قاصداً لأخيه عمر فحاصره مدّة.

ثم إنه دخل عليه سجلماسة وأمسكه قبضاً باليد، ووجده قد ارتكب فظائع من المحرّمات من قتل عمه أبي البقاء يعيش، وجمع بين حرائر ذوات عقود أزيد مما أباحت الشريعة فاستفتى أبو الحسن عليه العلماء فأفتوا بقتله ففصده في يديه وتركه ينزف دمه حتى مات واستقلَّ حينئذ أبو الحسن ورست قواعد أركانه، وانتشرت أعلام سلطانه.

ووالده أبو سعيد ورث الملك عن أمير المسلمين أبي الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.

وأبو الربيع ورث الملك عن أخيه لأبيه أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب، وأبو يحيى ورث الملك عن أبي يعقوب يوسف أمير المسلمين. وابو يعقوب ورث الملك عن

(١) بياض في الأصل.

أبيه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. وهو أول من استقلّ بالملك من ملوك بني مرين.

وكان أهل انتقال الملك إليهم، إنَّ دولة الموحدين بمراكش كان قد انحلّ عقد نظامها، وانثل عقد أيامها لانهماك آخرهم على اللذات وتشاغلهم بها عن الأخذ بالحزم في الأمور.

وكانت قبائل بني مرين رحالة نزالة أهل بادية / ١٠٤/ ذوي بأس ومنعة فثأر فيهم أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق وجمع الجموع وتغلّب على فاس، فملكها وملك غيرها من البلاد ثم مات أبو يحيى بن عبد الحق فقام أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق فقصد مراكش فخرج إليه أبو دبوس ابو العلا إدريس فقتل أبو دبوس وهو آخر من كان قد انتهى إليه الملك من بني عبد المؤمن بن علي. ومن يومئذ ظهرت دولة بني مرين واستقل سلطانها بالمغرب الأقصى.

* * *

الباب الرابع عشر: في مملكة الأندلس

المملكة الإسلامية بالأندلس - حماها الله تعالى - طول مسافتها عشرة أيام، وعرضها ثلاثة أيام. وسلطانها الآن - أعني عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة - هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر(١) مستقرة.

غرناطة(٢):

وهي الآن دار هذه المملكة وأضخم بلادها، مدينة كبيرة مستديرة، رائقة المنظر،

---

(١) يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، أبو الحجاج الأنصاري الخزرجي النصري: سابع ملوك «بني نصر» ابن الأحمر، في الأندلس ولد سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م. بويع بغرناطة ساعة مقتل أخيه محمد (أوآخر سنة ٧٣٣) وسنّه إذ ذاك خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. وكان في صباه كثير الصمت والسكون، فلم يمارس شيئاً من أعمال الدولة إلا بعد أن توفرت له الحنكة والتجارب، فقام بأعباء الملك، وباشر بعض الحروب بنفسه. وقاتله الإسبانيون، فثبت لهم مدة، إلى أن «نفذ بالجزيرة القدر وأشفت الأندلس» كما يقول لسان الدين ابن الخطيب، فسدد الأمور، وتمكن بسعيه من تخفيف حدة الشدة. وفي أيامه كانت وقعة البحر بأسطول الروم، ثم الوقيعة على المسلمين بظاهر طريف؛ وتغلب العدوُّ على قلعة يحصب (المجاورة لعاصمته) وعلى الجزيرة الخضراء (باب الأندلس) سنة ٧٤٣ وتمتع بالسلم في أعوامه الأخيرة. وبينما كان في المسجد الأعظم بحمراء «غرناطة» ساجداً في الركعة الأخيرة من صلاة عيد الفطر، هجم عليه «مجهول» وطعنه بسكين (أو خنجر) وقبض عليه، فسئل، فتكلم بكلام مختلط، فقتل وأحرق بالنار، وحمل السلطان إلى منزله فمات على الأثر سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م قال سيد أمير علي: وهو من أذكى وأشهر ملوك بني نصر.

ترجمته في: كشف ١٥٧٥ وعنه هدية العارفين ٢/ ٥٥٦ وهو فيها «ابن كثير» من تحريف الطبع. الأعلام ٨/ ٢١٧.

(٢) مدين غرناطة التي هي الآن مركز مقاطعة صغيرة من بلاد إسبانيا تعد من السكان نحو الثمانين ألف نسمة بينما كان بها خمسمائة ألف نفس في آخر عهد المسلمين بالأندلس. وهي واقعة بسفح جبل شلير (sierra nevada) ويبلغ ارتفاعها ٦٧٠ متر على سطح البحر. وهي ممتدة على ضفتي وادي شنيل(Xneil, enil) ويشقها وادي حدره ويسمى عند الإفرنج Darro وهو فرع من شنيل المتقدم ويصب فيه، وبالجنوب الغربي من غرناطة مرج نضير مستمر الخضرة والخصب كان يسمى الفحص والمرج والبطح ويعرف اليوم باسم Vega يمتد نحو الخمسين كيلو متر إلى أن يبلغ مدينة لوشة من جهة الغرب .وحدره: بفتح الحاء والدال ورفع الراء المشددة وآخره هاء لا تنطق وضعت اعتبار للرسم فقط ولذل يجب نطقه (حدرو).

كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهب الرياح لايجري بها الريح إلا نادراً لاكتناف الجبال إياها واصل أنهارها نهران عظيمان (شنيل) و(حدرة) أما شنيل فينحدر من جبل شلير[١] بجنوبها وهو طود شامخ لاينفك عنه الثلج شتاء ولاصيفاً، فهو لذلك شديد البرد، وغرناطة كذلك في الشتاء بسببه إذ ليس بينها وبينه سوى عشرة أميال.
وفي برد غرناطة يقول ابن صدرة: [من الطويل]

أُحِلَّ لنا تركُ الصلاةِ بأرضِكمْ وشربُ الحُميَّا وهو شيءٌ مُحرَّمُ
فِراراً إلى نارِ الجَحيمِ لأنها أرقُّ علينا منْ شلير وأرحمُ
لئنْ كانَ رَبي مُدخلي في جهنم ففي مثلِ هذا اليوم طاب جهنمُ!

وبها عيون كثيرة وأشجار مختلفٌ ألوانها وخصوصاً التفاح والقراسيا البعلبكية التي لا تكاد توجد في الدنيا منظراً وحلاوة حتى إنها ليعصر منها العسل، وبها الجوز والقسطل والتين والأعناب والخوج والبلوط وغير ذلك، وبذلك الجبل عقاقير كعقاقير الهند، وعشب يستعمل في الأدوية يعرفها الشجارون /١٠٥/ لاتوجد في الهند ولا في غيره[٢].

[فحص غرناطة:]

ويمر شنيل على غربي غرناطة إلى فحصها يشقُّ منها أربعين ميلاً بين بساتين وقرى وضياع كثيرة البيوت والعلالي وأبراج الحمام وغير ذلك من المباني[٣] وينتهى فحصها إلى (لوشة) حيث أصحاب الكهف على قولٍ[٤].

---

(١) ورد اسم هذا الجبل في صبح الأعشى (٥/ ٢١٥) شكير، وهو تحريف وصوابه: شلير كما هنا برفع الشين وفتح اللام وسكون الياء ـ قال ابن الخطيب: وشلير جبل الثلج أحد مشاهير جبال الأرض الذي ينزل له الثلج شتاء وصيفاً وهو على قبلة من غرناطة على فرسخين، وينساب منه ستة وثلاثون نهراً من فوهات الماء وتنبجس من سفوحه العيون (الإحاطة: ١/ ١٤) ـ وارتفاع جبل شلير ٣٤٨١ متراً وتسمى قمته حتى الآن مولاي أبي الحسن Cerro de Mulhacen باسم أحد ملوك بني نصر المتأخري العهد.

(٢) قال ابن الخطيب: وبفحص غرناطة وما يتصل بها من العقاقير والأدوية النباتية والمعدنية ما لا يحتمل ذكره ولا يجاز (الإحاطة ١/ ١٥).

(٣) روى ابن الخطيب في الإحاطة (١/ ٣) إن عدد من البيوت والمنازل والأبراج التي في مرج غرناطة تناهز الأربعة عشر ألفاً، حسبما ضبطه من ديوان الحصر في زمانه ـ ونقل المقري: أن قرى غرناطة ـ فيما ذكر بعض المتأخرين ـ مائتان وسبعون قرية (نفح الطيب ١/ ٨٣)، فانظر يا رعاك الله إلى غزارة هذا العمران العجيب!.

(٤) لوشة(Loja) مدينة من كورة غرناطة تبعد عنها ٥٢ كيلو متر يسكنها اليوم نحو ٢٠ ألف نسمة وبها

=

وأما (حدرة) فينحدر من جبل بناحية مدينة (وادي آش)[١] شرقي شلير فيمر بين بساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهي إلى غرناطة، فيدخلها إلى باب الدفاف بشرقها، يشق المدينة نصفين تطحن به الأرحاء بداخلها وعليه بداخلها[٢]، قناطر خمس: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة القاضي، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود[٣]، وعلى القناطر أسواق ومباني محكمة، والماء يجري من هذا النهر في جميع البلد في أسواقه[٤]، وقاعته ومساجده يبرز في أماكن على وجه الأرض ويخفي جداوله تحتها في الأكثر، وحيث طلب الماء وجد.

[قصور الحمراء:]

وقلعتها حيث سلطانها تعرف (بالحمراء) وهي بديعة متسعة كثيرة المباني الضخمة والقصور، ظريفة جداً، يجري بها الماء تحت بلطٍ كما يجري في المدينة فلايخلو منه مسجد ولابيت، وبأعلى برج منها عين ماء[٥] وجامع المدينة من أبدع الجوامع وأحسنها

=

بقايا قلعة إسلامية معتبرة ـ وهي بلد الوزير الطائر الصيت لسان الدين بن الخطيب السلماني ولد فيها سنة ٧١٣هـ وفيها نشأ وتربى ثم انتقل إلى عاصمة غرناطة حيث نال الشهرة والرتب العالية.

(١) وادي آش (guadix) من أحواز غرناطة يسكنها اليوم ١٣ ألف نسمة وبها قصبة من بناء المسلمين باقية ـ وينتسب إليها جماعة منهم الشاعرة الأندلسية البليغة: حمدة بنت المؤدب زياد بن عبد الله العوفي المشهورة بخنساء المغرب (وترجمتها بالتكملة لابن الأبار ٢/ ٧٤٦ وبفتح الطيب ٢/ ٤٩١) ومن رقيق شعرها وقد تنزهت مع رفيقات لها بالرملة من وادي آش:

وقانا لفحة الرمضاء واد	سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظما زلالا	ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاة حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النظيم

(٢) قال ابن الخطيب: ويشمل سور غرناطة وما وراءه من الارحاء الطاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحاء (الإحاطة ١/ ٣٤).

(٣) ذكر المؤرخون أنه كان بغرناطة تسع قناطير لم يبق منها اليوم قائم الذات سوى واحدة عربية وهي قنيطرة شنيل (puente del Genil) وقوس واحد من قنطرة القاضي (puente de Alcade) قرب جامع المنصور المحول اليوم إلى كنيسة القديسة حنة (Santa Ana) شرقي المدينة.

(٤) أكبر سوق كان بغرناطة على عهد المسلمين هو: القيسارية (Alcaiceria) قرب باب الرملة في الجنوب الشرقي من المدينة، وهو سوق مسقف ـ مثل العطارين وسوق القماش بتونس ـ وكان يباع به منسوجات الحرير الأندلسية الرفيعة وقد أصابه حريق في سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م فهدمه ولم يبق من آثاره سوى بعض السواري.

(٥) عين الماء المذكورة هنا هي المعروفة قديماً (بعين الدمع) ويسميها الإسبان اليوم (Fuente de =

بناء، وتعلق بجامع الحمراء ثريات الفضة، وبحائط محرابه أحجار ياقوت مرصوفة في جملة مانمق به من الذهب والفضة، ومنبره عاج وأبنوس.

[معالم غرناطة:]

وبالمدينة جبلان يشقان وسطها، وبها دور حسان وعلالي مشرفة على الفحص فترى منظراً بديعاً من مزدرعاته وفروع الأنهار تشقها وغير ذلك مما يقصر عنه التخيل والتشبيه، يعرف أحد الجبلين (بالجرة) و(مورور) ويعرف الثاني (بالقصبة القديمة) و(بالسند) وهناك (برج الديك) عليه ديك نحاس رأسه رأس فرس وعليه صورة راكب بحرية ودرقة، من حيث هبت الريح دار الراكب(١) وباقي المدينة وطيء.

[الأبواب والأرباض:]

وللمدينة ثلاثة عشر باباً: باب البيرة(٢) وهو أضخمها، وباب الكحل، وباب الرخاء، وباب المرضى، وباب المصرع، وباب الرملة(٣)، وباب الدباغين، وباب

= Avellano) وكانت من المتنزهات المفتخرة بغرناطة، قال ابن الخطيب: ولهذه البقعة ذكر يجري على السنة البلغاء من زوارها (الإحاطة ١/٢٨ ـ ٣٠) فمن أحسن ما قيل في ذلك قول أبي القاسم بن قرطبة من قصيدة:

ومل بنا نحن «عين الدمع» نشربها ... حيث السرور بكاس الأنس يسقينا
حيث الهنا وفنون اللهو راتعة ... والطير من طرب فيها تناجينا
وجدول الماء يحكي في أجنته ... صوارماً جردت في يوم صفينا
وأعين الزهر في الأغصان جاحظة ... كأنها أعين الغزلان تغوينا

(١) برج الديك (Casadel GALLO) دار ضخمة بناها بنو زيري الصنهاجيون عند امتلاكهم غرناطة أواسط القرن الخامس للهجرة. ويسمى أيضاً (دار ديك الريح) لأن صورة ديك النحاس التي بأعلاها وضعت لإرشاد الجهة التي تهب منها الريح بمثابة ما يسميه الإفرنج giroutte وقد ذكر محمد بن أبي بكر الزهري وصف هذه الصورة فقال: ومن عجائب مدينة غرناطة أن فيها طلسماً من اللطون يزيد على قنطار وهو على صورة فرس وله راس كراس الديك وذنبه كذنب الديك وعلى ظهره فارس راكب على هيئة المدرع وفي رأسه مثل الطرطور إذا ضرب الريح في هذا الطلسم علـى ثقله دار كدوران الرحى ويسمع له دوي كدوي الرحى ـ وهذا الطلسم صنعه حبوس ابن ماكسن بن زيري حين ملك (من سنة ٤٢١ إلى ٤٢٩هـ) قصبة غرناطة (كتاب الجغرافية ـ خط).

(٢) باب ألبيرة (puerta de Alvira) في الجهة الشمالية من غرناطة معروف مكانه إلى حد الآن وقد بقيت منه بقية عربية ـ وكان يخرج منه إلى مدينة ألبيرة وبها اشتهر.

(٣) باب الرملة كان من أشهر أبواب غرناطة هدمه الإسبان عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م ومكانه قريب من الباب المسمى اليوم (Puerta Real) ولم تزل هناك بطحاء فسيحة تعرف باسم plaze de Bibarrambla).

الطوابين[١]، وباب الفخارين، وباب الخندق، وباب الدفاف. وباب البنود[٢] وباب الأبندر.

وحول غرناطة أربعة أرباض: ربض الفخارين وربض الأجل وهو كثير القصور والبساتين وكلا الربضين على شنيل، وربض الرملة، وربض البيازين الذي بناحية باب الدفاف وهو كثير العمارة يخرج منه نحو من خمسة عشر ألف مقاتل كلهم شجعان مقاتلون معتادون بالحروب وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته وغير ذلك[٣]،

وجامع غرناطة محكم البناء بديع جداً لايلاصقه بناء تحف به دكاكين للشهود والعطارين، وقد قام سقفه على أعمدة ظراف وبداخله الماء وبه أسانيد منصوبون لإقراء العلوم، وهو معمور بالخير كل حين، ومساجد المدينة ورباضاتها لاتكاد تحصى لكثرتها.

[جلوس السلطان:]

ويقعد السلطان للناس بدار العدل بالسبيكة[٤] من الحمراء يوم الاثنين ويوم الخميس صباحاً فيقرأ بمجلسه عشر من القرآن وشيء من حديث رسول الله ﷺ: ويأخذ الوزير القصص من الناس ويحضر معه المجلس الرؤساء من أقاربه ونحوهم.

---

(١) باب الطوابين(Bibataubin) هدمه الفرنسيس عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م على عهد نابليون الأول لما استولوا على الأندلس ـ وكان هذا الباب في جنوب المدينة حيث المرسح المسمى(Teatro Cervantes).

(٢) باب البنود (Puerta do los Estandartes) كان بربض البيازين.

(٣) أقدم وأشهر أرباض غرناطة البيازين وبه يعرف إلى الآن(Ibaicinal) نسبته في الأصل إلى أصحاب القنص بالبيزان الجوارح. وهو ربض متسع في شمال غرناطة ويشمل نحو الربع منها. وكان في القديم محل الإشراف والسراة به القصور البديعة والمنازل الرفيعة، أما اليوم فقد أصبح سكنى قوم من الأوباش عرفهم العرب باسم (الزط والغجر) ويسميهم (Gitanos) بيوتهم أكواخ حقيرة وكهوف منحوتة ـ وهكذا الدنيا نعيم وشقاء ـ.

(٤) دار العدل ـ هو قصر مستقل بالحمراء جدد بناءه الأمير أبو الحجاج يوسف المتقدم في سنة ٧٤٩هـ كما هو مرسوم على نقوش جدرانه ـ وهو من أجمل أقسام الحمراء بهجة وهنداماً، وعلى قوس بابه المسمى (Puerta Judiciaria) صورة يد مفتوحة من جهة ومن أخرى شكل مفتاح بارزين، والسبيكة المذكورة هنا هي من الهضاب المرتفعة عليها قصور الحمراء ويسميها الأسبان إلى اليوم(Monte de la Asabica) .

ولله در ابن مالك الرعيني الغرناطي حيث يقول:

رعى الله بالحمراء عيشاً قطعته ... ذهبت به للأنس والليل قد ذهب

ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست ... بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

[لباس الأندلس:]

وأهل الأندلس لايتعممون بل يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحناء ما لم يغلب الشيب، ويتطيلسون إلا العامة فيلقون الطيلسان على الكتف أو الكتفين مطوياً طياً ظريفاً، ويلبسون الثياب الرفيعة الملونة من الصوف والكتان ونحو ذلك، وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ وفي الصيف البياض. والمتعمم فيهم قليل[١].

[الجند:]

وأرزاق الجند بها ذهب بحسب مراتبهم، وأكثرهم من بر العدوة من بني مرين وبني عبد الواد وغيرهم[٢] والسلطان يسكنهم القصور الرفيعة، وبينهم وبين الأفرنج حروب ووقائع جمة في كل سنة إلا أن يكون بينهم صلح إلى أمد. وحروبهم سجال تارة لهم وتارة عليهم. والنصر في الغالب للمسلمين على قلتهم وكثرة عدوهم بقوة الله تعالى. وقد كانت لهم وقيعة في الافرنج سنة تسع عشر وسبعمائة على مرج /١٠٧/ غرناطة قتل فيها من الافرنج أكثر من ستين ألفاً وملكان (بطرة) و(جوان) عمه وبطرة الآن معلق جسده في تابوت على باب الحمراء وافتديت جيفة جوان بأموال عظيمة[٣]، وحاز

---

(١) قال ابن الخطيب: ولباسهم (يعني أهل الأندلس) الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم: الملف المصبوغ شتاء، وتتفاضل أجناس البز بتفاضل الجدة والمقدار والكتان والحرير والقطن والمرعز والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفقة صيفاً. فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار الفخيمة في البطاح الكريمة.
ثم قال: والعمائم تقل في زي أهل هذه الحضرة (أي غرناطة) إلاّ ما شذّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم (الإحاطة ١/ ٣٥ـ ٣٦).

(٢) قال ابن الخطيب وجندهم صنفان: أندلسي وبربري، والأندلسي منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصي (يعني: وافر العقل) من شيوخ الممالك، وزيهم من القديم شبه زي أقيالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج: إسباغ الدروع، وتعليق الترسة، وحفا البيضات، واتخاذ عراض الأسنة، وبشاعة قرابيس السرج، واستركاب حملة الرايات خلفه؛ كل منهم بصفة تختص بسلاحه، وشهرة (يعني علامة) يعرف بها، ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرنا إلى الجواشن المختصرة والبيض المرهفة، والدروق العربية، والسهام المالطية والأسل العطفية.
ثم قال: والبربري يرجع إلى قبائله المرينية والزناتية؛ والتجانية والمغراوية يرجع أمرهم إلى أقطاب ورؤس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم وقطب لعرفائهم من كبار القبائل (الإحاطة ج١/ ٣٦).

(٣) هذه الواقعة من أشهر الملاحم الحاصلة بين ملوك غرناطة من بني نصر ونصارى الإسبان ـ وخلاصة خبرها: أن ملك إسبانيا في ذلك الوقت (بطرة الأول ابن الفنش الحادي عشر) لما رأى الفتن القائمة بين رجال الدولة بغرناطة وكبرائها طمع في الاستيلاء عليها وطرد المسلمين منها =

المسلمون غنيمة من أموالهم قل مايذكر مثلها في تاريخ ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(١).

[الأسطول:]

وبالبلاد البحرية أسطول حراريق للغزو في البحر الشامي يركبها الانجاد من الرماة والمغاورين والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر. وهم الظافرون في الغالب، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل أو بقرب الساحل. فيستأصلون أهلها ذكورهم وإناثهم ويأتون بهم بلاد المسلمين، فيبرزون بهم ويحملوهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ماشاء ويهدي ويبيع.

[ساحل الأندلس:]

والبلاد البحرية أولها من جهة المشرق ألمرية وهي ذات مرسى على البحر الشامي، وهي أول مراسي البلاد الإسلامية بالأندلس. وكانت العمارة قبل لبجانة فانتقلت إلى الساحل لمنافع الناس و(بجانة) على وادي المرية. وهي الآن قرية عظيمة جداً ذات زيتون وأعناب وفواكه مختلفة وبساتين ضخمة كثيرة الثمرات، ووادي المرية يقال فيه: إنه أبدع الأودية، على أن الماء فيه يقل في الصيف فيكون بالقسط للبساتين، ويبلغ متصلاً (بمرشانة) وقراها أربعين ميلاً(٢).

= فجمع جيشاً جراراً أناخ به على فحص غرناطة وحاصرها حصاراً شديداً. فلما رأى أهل الأندلس ذلك بعثوا صريخهم إلى السلطان أبي سعيد عثمان المريني صاحب المغرب الأقصى ليمدهم بجيشه ويفرّج كربهم فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين.

قال ابن خلدون: وأحاطت أمم النصرانية بغرناطة وطمعوا في التهامها ثم إن الله نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته عنهم وكيّف لعثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة وعصبته واقعة فيهم كانت من أغرب الوقائع: صمدوا إلى موقف الطاغية بجملتهم وصابروا حتى خالطوهم في مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الأدبار، واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شنيل فتطارحوا فيها وهلك كثيرهم، واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه؛ ونصب رأس بطرة بسور البلاد عبرة لمن يتذكر! وهو باق هناك لهذا العهد (تاريخ ابن خلدون طبع الجزائر ٢/ ٣٢٨) وكانت هذه الوقيعة في السادس من جمادى الأولى عام ٧١٧هـ (١٨ يولية ١٣١٧م).

قال ابن الخطيب: واستقر ملكهم القتيل بأيدي المسلمين بعد قرارهم فجعل في تابوت خشب ونصب على سور المنازل من الحمراء بيسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها إذاعة للشهرة وتثبيتاً لتخليد الفخر (الإحاطة ١/ ٢٣٠).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

(٢) مدينة المرية(Almeria) يبلغ عدد سكانها اليوم ٤٥ ألف نسمة وهي من المدن الأندلسية التي =

ألمرية ثلاث مدن: الأولى من جهة الغرب تعرف بالحوض الداخلي: لها سور محفوظ من العدو بالسمار والحراس ولاعمارة بها. ويليها إلى الشرق المدينة القديمة وتليها المدينة الثالثة المعروفة بمصلى المرية، وهي أكبر الثلاث. والقلعة تحوز القديمة من جهة الشمال وتسمى القصبة في ألسنتهم. وهما قصبتان في غاية الحسن والمنعة. وساحل المرية أحسن السواحل وحولها حصون وقرى كثيرة، وجبال شامخة، وجامعها الكبير بالمدينة القديمة وهو بديع، والمرّية كثيرة الفواكه وأما الحنطة فبحسب السنين الممطرة لأن أكثر زرعها بالمطر وترتفق بما يجلب إليها من الحنطة /١٠٨/ من بر العدوة. وبها دار الصناعة لإنشاء الحراريق لقتال العدو. ويأتيها الآن ولاة من صاحب غرناطة. وقد كانت فيما مضى مملكة مستقلة، وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة أيام. ويلي المرية من البلاد البحرية من جهة الغرب (شلوبين)[1] وهي معدة لإرسال من يغضب

= نالت حظوة كبيرة في مدن المسلمين. قال ياقوت: المرية باب الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب المسافرين. وفيها مرفأ ومرسى للسفن يضرب ماء البحر سورها ويعمل بها الوشي والديباج فيجاد عمله وكان أولا يعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يتفق في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية. وفيها يكون ترتيب الأسطول ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج (معجم البلدان).

وقد استقلت المرية كما ذكره العمري هنا عند ظهور الطوائف بالأندلس وحكمها (بنو صمادح) التجيبيون أجداد كاتب هذه الأسطر ودام استقلالهم بها من سنة ٣٨٤ـ ٤٣٣ حتى افتكها منهم يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين وصارت المرية أخيراً إلى بني نصر ملوك غرناطة وبقيت في أيديهم إلى أن اغتصبها الإسبان منهم سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، والملك لله وحده.

أما (بجانة) التي ذكرها المؤلف فهي قرية قديمة (Pechina) انتصبت حذوها المرية الإسلامية، وأما مرشانة (Purchena) فهي بليدة ذات بساتين وزراعات ـ وقصبة المرية الإسلامية يعني قلعتها الإسلامية المذكورة هنا لم تزل قائمة البنيان مع بعض تغيير وهي الآن مركز حربي للتلغراف اللاسلكي وينسب إلى المرية علماء أجلة منهم: أبو العباس، أحمد بن عمربن أنس بن دلهاث الزغبي العذري ويعرف بالدلائي المري (مولده سنة ٣٩٣ ووفاته ٤٧٦هـ) وهو شيخ ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما. وله تآليف عديدة مفيدة منها كتاب المرجان في المسالك والممالك وينسب إليها أيضاً: محمد بن خلف المعروف بابن المرابط المري، من أهل الفقه والفضل والتأليف وتوفي سنة ٤٨٥هـ.

ومن أدبائها المجيدين محمد النحلي شاعر المعتصم بن صمادح، ومنهم ابن الحداد الذي يقول من قصيدة يتأوه فيها إلى مسقط رأسه:

اخفي اشتياقي وما أطويه من أسف ... على المرية والأنفاس تظهره

(١) شلوبين (Salobrena) بليدة ساحلية بجنوب الأندلس مشهورة بالموز والقسطل ـ الشاه بلوط ـ ينسب إليها إمام نحاة الأندلس أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين نسبه إلى بلده هذا، مولده سنة ٥١٢. =

عليه السلطان من أقاربه ويرسل. ويزرع بها قصب السكر ويقاربها (المنكب)[١] وهي مدينة دون المرية، وبها أيضاً دار صناعة لإنشاء السفن وبها قصب السكر والموز ولايوجد في بلد من البلاد الإسلامية هنالك إلا فيها إلا مالاً يعتبر، ويحمل منها السكر إلى البلاد، وبها زبيب مشهور الاسم.

ويلي المنكب (قلش)، وهي كثيرة التين والعنب والفواكه.

قال أبو عبد الله بن السديد: إنّه ليس في الأندلس أكثر عنباً وتيناً يابساً منها.

وأما (مالقة)[٢] فمدينة بديعة كثيرة الفواكه لها ربضان عامران أحدهما من علوها والآخر من سفلها، وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق وجامعها بديع وبصحنه نارنج ونخل: وتختص بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم والمداورات وبصنائع الحديد كالسكين والمقص، وبالفخار المذهب الذي لايوجد مثله في بلد، وبالتين الغزير الذي يجلب منها إلى جميع البلاد الغربية بالأندلس وغيرها فيعم البلاد شتاءً وصيفاً لايكاد يخلو منه دكان بياع، واللوز مثله في الكثرة والحسن والطيب، وكذلك الزبيب، وهي

= قال ابن الزبير: كان إمام عصره في العربية بلا مدافع، آخر أئمة هذا الشان بالمشرق والمغرب، ذا معرفة بنقد الشعر وغيره، بارعاً في التعليم ناصحاً. ابقى الله به ما بأيدي أهل المغرب من العربية، قلما تأدب بالأندلس أحد من أهل القرن السابع إلاّ وقرأ عليه واستند ولو بواسطة إليه، وله مصنفات كثيرة منها كتاب «التوطئة» في النحو وشرح كتاب سيبويه. وكانت وفاته في صفر عام ٦٤٥. (وترجمته في بغية الوعاة ص٣٦٤ ومعجم البلدان ٥/ ٢٩٠ ونفح الطيب وغير ذلك).

(١) المنكب(Almunicar) بليدة اشتهرت بنزول عبد الرحمن الأول الأموي المعروف بالداخل على مرساها عند حلوله ببر الأندلس في طلب الملك سنة ١٣٩هـ.

(٢) مدينة مالقة (Malaga) من أشهر مراسي البحر المتوسط وأقدمها تاريخاً حيث يرجع تأسيسها إلى الفينيقيين. ويبلغ عدد سكانها اليوم نحو مائة وخمسة وثلاثين ألف نسمة. قال ابن بطوطة في رحلته: وهي إحدى قواعد الأندلس وبلادها الحسان. جامعة بين مرافق البر والبحر. كثيرة الخيرات والفواكه، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ورمانها الياقوتي لا نظير له في الدنيا، وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب. وقال أيضاً: وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها إلى أقاصي البلاد. ومسجدها كبير الساحة، كثير البركة شهيرها وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة.اهـ.

أقول: ويشق المدينة واد يعرف بوادي المدينة(guadalmedina) وبشرقها ربوة مرتفعة تنزل إلى المرسى وتسمى جبل الفار(gibralfaro) وقد بقي من آثار المسلمين بها باب سوقها الحالي (Mercado) لم يزل منقوش عليه علامة ملوك بني نصر وعبارتها«ولا غالب إلا الله» ثم جامعها وقد حوله الإسبان حين استولوا على المدينة (سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م إلى كنيسة جامعة، ثم القصبة (Alcazaba) وهي القلعة العربية القديمة يسكنها الآن زعانف الأوباش والصعاليك.

خصيبة جداً، وفي تينها يقول الشاعر[١].: [من السريع]

مالقةٌ حُييِّتَ يا تينَهَا فالفُلكُ مِنْ أجلكَ يأتينَها
نَهَى طَبيبي عنكَ في علَّتي ما لطبيبي عَنْ حياتي نَهَى

قال ابن السديد: إن بها سوقاً ممتداً لأطباق تعمل من الحوض إلى غير ذلك مما يعمل منه.

ويلي مالقة مدينة (مربلة)[٢] وهي صغيرة كثيرة الفواكه والسمك.

ويليها (اشتبونة) وهي مثلها ساحلية كثيرة الفواكه. ويلي أشتبونة /١٠٩/[٣] (جبل الفتح)[٤] وهو طود شامخ يخرج في بحر الزقاق ستة أميال و(بحر الزقاق) أضيق مكان

(١) أَبُو الحَجَّاج البَلَوي: يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب، المالقي الأندلسي المالكي، ويقال له ابن الشيخ: عالم باللغة والأدب. مولد بمالقة سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م، وتوفي بها سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م. تولى الخطابة بها. وزار الإسكندرية في حجه، ذاهباً وآيباً (سنة ٥٦١ و٥٦٢) قال الحافظ المنذري: كان أحد الزهاد المشهورين، يقال: إنه بنى بمالقة نحو اثني عشر مسجداً بيده، ولم تفته غزوة في البر ولا في البحر. وقال ابن الأبار: «بنى ببلده مالقة خمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله، وعمل فيها بيده، وحفر بيده آباراً عدة أزيد من خمسين بئراً، وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب ومع صلاح الدين بالشام، وكان يلبس الخشن من الثياب». له كتاب «ألف باء ـ ط» مجلدان، سماه الزبيدي: «ألف با للألبا» وكتاب آخر توسع فيه بما أوجز في «ألف باء» من أخبار وأشعار، سماه «تكميل الأبيات وتتميم الحكايات مما اختصر للألباء في كتاب ألف باء».

ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ـ خ: الجزء الحادي والعشرون. وألف باء ١/ ١٨ و٢/ ٢٠، ٣١٧، ٥٤٠ والتكملة لابن الأبار ٧٣٧ وكشف الظنون ٤٧١ وانظر أدباء مالقة ٤٠١ ـ ٤٠٧ رقم ١٧٣، نفح الطيب ١/ ١٥١) والتاج ١/ ٤، الأعلام ٨/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) مربلة(Marbella) بليدة ما بين مالقة وجبل طارق تحف بها بساتين الليمون والنارنج.

(٣) اشتبونة(Estepona) بليدة صغيرة في الجنوب الغربي من مربلة ـ وقد حصل غلط في الصبح (٥/ ٢١٩) حيث سماها(اشبونة) باسم عاصمة البرتغال.

(٤) جبل الفتح هو جبل طارق المشهور(gibraltar) المنسوب إلى القائد طارق بن زياد الإفريقي مولى موسى بن نصير وفاتح الأندلس. وكان نزول طارق بالجيش العربي عليه يوم الاثنين الخامس من رجب سنة ٩٢ في اثني عشر ألف مقاتل. ولم يزل بجبل طارق بقايا قلعة إسلامية كان طارق بن زياد أمر بإنشائها في سنة ٩٤ ويسميها الإنكليز الآن(Moorish Castle) وجبل طارق اليوم مرسى محصن بيد الإنكليز يسكنه ٢٥ ألف نفس منها ستة آلاف حامية. والمدينة مشيدة على طود داخل كالذراع في بحر الزقاق طوله أربعة آلاف كيلو متر في عرض كيلو متر وثلاثمائة متر. وفي هذا الطود يقول أبو الحسن علي بن سعيد الغرناطي:

انظر إلى جبل الفتـ ـح راكباً متن لج
وقد تفتح مثل الأفـ ـان في شكل سرج

=

في البحر الغربي سعته ستة فراسخ، وجرية الماء به قوية، ولايكاد يركد، ويسمى بحر القنطرة، والقنطرة جسر أخضر من (شلش) إلى (آلش) يراه المسافرون إذا سكن البحر، وشلش واللش مابين (طريف)[١] و(الجزيرة)[٢] وقد كان هذا الجبل تملكه الافرنج منذ سنين ثم أعاده الله إلى الإسلام منذ قريب، وعمره السلطان أبو الحسن المريني واتخذه عتاداً لجنده إذا دخلوا الجزيرة لحرب الكفّار، وقد كان أسكنه طائفة من عسكره. وأخذ الجزيرة الخضراء من السلطان يوسف بن الأحمر ـ ملك الأندلس ـ لتكون مستقراً لجيشه، وأعاضه عنها زروعاً تؤدّى إليه ومالاً يؤدّى عنه، هكذا حدثني الثقات من بني مرين، والقاضي الفقيه إبراهيم بن أبي سالم

ثم أخذت الفرنج الجزيرة الخضراء حين قتل أبو مالك بن السلطان المريني وانهزم جيشه بعد النصرة العظمى، وحينئذٍ زادت الهمم المرينية في تشييد هذا الجبل وتحصينه وتعمير ماعمر منه، والله يحيي هذا الملك لإكمال ماشرع فيه من غزو الفرنج واستعادة ضوال الإسلام منهم، وينصره النصر المؤزر ويفتح عليه الفتح المبين.

وهذا الجبل جبل منيع جداً يتمكن من حازه من الجزيرة وسبتة ومابينهما، ويلي الجبل الجزيرة الخضراء ـ المشار إليها ـ وهي مدينة محكمة كثيرة الزرع والماشية، وبها نهر يعرف بوادي العسل عليه بساتين وأرحٍ وغير ذلك، وبها دار صنعة لإنشاء الحراريق، وهي آخر البلاد البحرية الإسلامية بالأندلس وليس بعدها، وهي بيد النصارى ـ أعادها الله وقصمهم ـ.

ومن البلاد الكبار غير البحرية رندة، وهي والجزيرة الخضراء والجبل ومربلة وما والاهم تحت يد صاحب برّ العدوة السلطان أبي الحسن ـ أحسن الله إليه وأعانه.

وبين رندة والجزيرة الخضراء مسيرة ثلاثة أيام، وهي جبلية كثيرة الفواكه والمياه

---

(١) مدينة طريف (Tarifa) منسوبة إلى طريف البربري مولى موسى بن نصير. وهو أول قائد للإسلام طرق بلاد الأندلس بعثه إلها موسى قبل طارق في أربعمائة رجل ومائة فارس فنزل بهذا المكان المسمى به في رمضان سنة ٩١ وبعده بعام دخل طارق.

(٢) هي مدينة الجزيرة الخضراء (Algesiras) المشهورة في تاريخ الأندلس ينسب إليها جماعة من العلماء الأجلاء. امتلكها الإسبان في سنة ٧٤٣ كما أشار إليها العمري هنا ثم افتكها منهم السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله من بني نصر بعد حين في عام (٧٧١هـ / ١٣٦٩م) وهدم أسوارها وقلاعها. وبالرغم من ذلك فقد بقي بها انقاض حصن عربي عظيم يقال أن موسى بن نصير أمر بإنشائه في أول الفتح الإسلامي. ولكن:

أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

والحرث /١١٠/ والماشية، وأهلها موصوفون بالجمال ورقة البشرة واللطافة. ويليها بلدة أشقيرة، ثم أرحضونة، ثم لوشة، وبين المرية وغرناطة مدينة وادي آش، وهي بلدة حسنة بديعة منيعة جداً كثيرة المياه والفواكه والمزارع قريبة من شنيل فلذلك هي شديدة البرد بسبب الثلوج، وهي بلدة مملكة، وأهلها موصوفون بالشِّعر، ويحكم بها الرؤساء، وهم من قرابة السلطان أو من يستقلّ بها السلطان، أو من خلع من سلطان لنفسه والمياه تشقّ أمام أبوابها كغرناطة.

ويليها مشرقاً بسطة وهي كثيرة الزرع واختصَّت بالزعفران، وبها منه مايكفي أهل الملّة الإسلامية بالأندلس على كثيرة مايستعملونه. وبهذه المملكة من البلاد برجة وبيرة واندرش وهي مدينة ظريفة كثيرة الخصب، وتختص بالفخار لجودة دربتها فلايوجد في الدنيا مثل فخارها للطبخ، وحصونها كثيرة جداً فليس بها من بلدٍ إلاّ وحوله حصون كثيرة محفوظة بولاة من السلطان، ورجال تحت أيديهم وببعضها فرسان مرتبون، وجند السلطان معظمهم بغرناطة ثم بمالقة وبيرة وبالثغور البرية.

وأما الثغور البحرية كالمرية فليس لها حاجة بالخيل إلاّ قليلاً وحاجتها إلى الحراريق؛ لأنَّ بلاد البرّ تغزو وتغزى من البر، وبلاد البحر بالعكس. وأخبار الأندلس كثيرة مما سبق عليه الكتّاب، وسلف حديثه في سلف هذه الأبواب مما فيه كفاية، وإليه انتهت الغاية[1] .

* * *

(١) جاء في نهاية النسخة المعتمدة من المسالك ما نصّه:

«آخر الجزء الثاني من كتاب مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار، ويتلوه إن شاء الله
تعالى في الجزء الثالث الباب الخامس عشر
في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً».
وبعده طرّة تحمل عنوان الجزء الذي يليه.

الباب الخامس عشر: في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم

ومضارب أحيائهم ومساكنهم على افتراق فِرقهم، واختلاف طوائفهم، وأشتات قبائلهم، ومنازلهم من أطراف العراق إلى آخر المغرب دون من في اليمن وخراسان، فإنَّه لم يتحرّر لي أمرُهم وإنّما ذكرتُ مَنْ عرفتُ منهم إذ لم يكنْ بدٌّ من ذكرهم. وهم نُزَّالٌ حول الحاضرة، وذوو تَوغُّلٍ في البادية. وهم أَسْوَارُ المدن، وحَفَظَةُ الطرق، ولم يزلْ منهم أئمةٌ للطلائع، وجناحٌ للجيوش. ومنهم بممالكنا ـ مصر والشام ـ حَفَظَةُ الدروب، والقَوَمَةُ بخَيْل البَريد، والحَمَلَةُ للسِياق في غالب المملكة. ولم تزلْ الملوكُ تَهِشّ لوِفَادَتهم، وتَهَبُ لهم جزيلَ الأموال، وتُقْطِعُهم جُلَّ البلاد هذا إلى التنويه بأقدارهم ، والتعويل على أخيارهم، ورفعهم في المجالس. وقد ذكرناهم على ماهم عليه الآن من النسب مع ماحصل من التداخل في الأنساب، والتباين في الأسباب، والتَنقُّل في الديار، والتَبدُّل بالأقطار، واعتمدتُ في أكثر ذلك على ماذكره الأمير الثِقَة بدرُ الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي بن زَمَّاخ المعروف بابن سيف الدولة الحَمْدَانيّ المِهْمَنْدار[1]، وماحدّثني به الشيخُ الدليل النسّابة محمود بن عَرّام من أصحاب قناة بن حارث [2]، وهو من ذوي الثِقَة، والعلم بقبائل العرب وأنسابها، وبلادها، وتَفرُّق فِرَقها [في أغوارها وأنجادها ـ وأبوه عَرّام بن كويب بن خليل بن ماجد بن ثابت][3] بن ربيعة الذي يُنسبُ إليه آل ربيعة قاطبةً ـ إلى ماكنتُ نقلتُه عن

---

(١) يوسف بن سيف الدولة ابن زَمّاخ بن بركة بن ثمامة التغلبي من ذرية سيف الدولة ابن حمدان، بدر الدين ابن مهمندار العرب.
ولد سنة ٦٠٢هـ، وكان متجنداً، وله يد في النظم والتاريخ وله تصانيف في الأنساب والبديع وغير ذلك، كتب عنه أبو حيان وابن سيد الناس وغيرهما توفي على رأس القرن السابع.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ رقم ١٢٥٨، هدية العارفين ٢/ ٥٥٥، والسلوك ١/ ٢/ ٦٣٧.

(٢) راجع عن شجرة نسبه: الإمارة الطائية ١٥٠. أما حارث هذا فهو أخ مهنّا بن عيسى (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م).

(٣) ساقط من الأصل وأتممناه من المصادر الأخرى.

أحمد بن عبد الله الوَاصِليّ وغيره من مشيخة العرب. وقد كان كلٌّ من الأمير فَضْل بن عيسى[١] وموسى /١١٣/ بن مُهنّا[٢] يُحدّثني بُطرَفٍ من أخبار العرب. وكذلك مانقلتُه عن الشريف أبي عبد الله بن عمر بن الإدريسي من أخبار عرب الغرب، وعن الشيخ زكريا المغربي. وقد صَحَّحْتُ ذلك بحسب الجُهْد، وماأُلاَمُ في تقصيرٍ في هذا الباب الذي لم أتأنّس قبلي بداخلٍ منه والطريق الذي لم أجد غيري سالكاً فيه ولامُسْتَخْبِراً، على أنّه يَلْزَمُ مِنْ ذكر العُرْبان الموجودين في زماننا الكلامُ على قبائل العرب البائدة، والعَارِبة، والمُسْتَعْرِبة؛ لأنّ هؤلاء أغصانُ تلك الشجرة، وفروعُ تلك الأصول، فلنتكلّمْ عليهم على مُقْتَضَى ماذكره المؤرّخون ونَسُوقهم إلى أن بَزَغَتْ شمس الإسلام وآن مَوْلد النبيّ ـ ﷺ. وكان الأوْلى أن نذكرَ ذلك في جُملة سكّان الأرض ليلحقَ بَعْضُه ببَعْضٍ، وإنّما أتينا به لمناسبةٍ بَيْنه وبين الأبواب السابقة في ذكر الممالك، إذْ مساكنُ العُرْبان مُتَخَلّلةٌ لأكثر الممالك التي ذكرناها، أو مُجاوِرةٌ لها. وإذا تَقَدَّم شيءٌ عن موضعه لمَعْنًى اقتضاه وأُحيلَ على المتقدِّم في موضعه كان أولى من تأخيره وإلفات النظر إليه.

فنقول:[٣] قسّم المؤرّخون العربَ إلى ثلاثة أقسامٍ: بائدةٌ، وعاربةٌ، ومُسْتَعْرِبةٌ.

أمّا البائدةُ فهم العربُ الأوَلُ الذين ذهبتْ عنّا تفاصيلُ أخبارهم لتَقادُمِ عهدهم، وهم: عَادُ، وثَمُودُ، وجُرْهُمُ الأولى.

وأمّا العربُ العاربة فهم عربُ اليَمَن من ولَد قَحْطان.

وأمّا العربُ المُسْتَعْرِبة فهم من وَلَد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

[العرب البائدة]

فالعرب البائدة[٤]: طَسْمٌ، وجَدِيسٌ، وكانتْ مساكنُ هاتَيْن القبيلتَيْن باليَمامة من جزيرة العرب، وكان المُلْكُ عليهم في طَسْم واستمرّوا على ذلك بُرهَةً من الزمان حتى انتهى المُلْكُ إلى رجلٍ ظَلُومٍ، غَشُومٍ[٥]، قَد جعل /١١٤/ سُنَّتَه أنْ لاتُهْدَى بِكْرٌ من

---

(١) هو فضل بن عيسى بن مهنّا جدّ آل فضل بن عيسى. راجع عن شجرة نسبه الإمارة الطائية ١٥٠.

(٢) هو موسى بن مهنّا بن عيسى بن مهنّا بن عيسى. انظر: الإمارة الطائية ١٥٢.

(٣) أخذ العمري المقدمة هذه عن المختصر لأبي الفداء (١/ ٩٩ ـ ١٠٩) مع بعض الزيادات من مصادر أخرى كالعقد الفريد، ومروج الذهب مثلاً، ومصدر أبي الفداء في ذلك نشوة الطرب لابن سعيد ونشير إلى هذين المصدرين فيما يلي..

(٤) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ٩٩.

(٥) انظر القصة بالتفصيل في مروج الذهب ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٩، ونشوة الطرب ١/ ٥١ ـ ٥٢، والأغاني ١١/ ١٦٤ ـ ١٦٧.

جَدِيسٍ إلى بَعْلها حتى تَدْخُلَ عليه فيَفْترعَها. ولمّا استمرّ ذلك على جَديسٍ أنِفُوا منه واتّفقوا على أن دفنوا سيوفهم في الرَّمْل وعملوا طعاماً للمَلِك ودَعَوه إليه. فلمّا حضر في خواصّه من طَسْم عَمَدَتْ جَدِيسٌ إلى سيوفهم فانتزعوها من الرَّمْل، وقتلوا المَلِكَ وغالبَ طَسْم. فهرب رجلٌ من طَسْم[(١)] وشكا إلى تُبَّع بن حسّان[(٢)] مَلِك اليَمَن[(٣)] فسار مَلِكُ اليَمَن إلى جَديسٍ وأوقع بهم وأفناهم فلم يبق لطَسْم وَجَديسٍ ذكرٌ بعد ذلك.

[العرب العاربة]

والعرب العاربة[(٤)]: بنو قُحْطان بن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَد بن سام[(٥)]. فمنهم بنو جُرْهُم بن قَحْطان[(٦)]، وكانتْ منازلُهم بالحجاز، ولمّا أسكن إبراهيمُ الخليلُ ابنَه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ مكّةَ وكانتْ جُرْهُم نازلين بالقرب من مكّةَ، واتّصلوا بإسماعيل وزوّجوه منهم، وصار من وَلَد إسماعيل العربُ المُستعربة؛ لأنّ أصلَ إسماعيل ولسانَه كان عِبْرانيّاً، فلذلك قيل له ولوَلَده العرب المُستعرِبة[(٧)].

ومن العرب العاربة[(٨)]: بنو سَبَأ، واسمُ سَبَأ عبدُ شَمْسٍ، فلمّا أكثرَ الغَزْوَ والسَّبْيَ سُمِّيَ سَبَأ. وهو ابنُ يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ـ[(٩)] وسيأتي نَسَبُ قَحْطان. وكان لسَبَأ عدّةُ أولادٍ[(١٠)]، فمنهم حِمْيَر، وكَهْلاَن وغيرهم. وجميعُ قبائل اليَمَن وملوكُها المتابعة

---

(١) اسمه رياح بن مرّة الطسمي؛ انظر: مروج الذهب ٢/ ٢٧٠، ونشوة الطرب ١/ ٥١، والطبري ١/ ٧٧٢.

(٢) حسان بن تبع: في الطبري ١/ ٧٧١، ٧٧٥، ومروج الذهب ٢/ ٢٧٠؛ تبّع حسان بن أسعد: في نشوة الطرب ١/ ٥١، ١٥٠؛ وفي المختصر ١/ ٩٩: تبع ملك اليمن وقيل هو حسان بن أسعد.

(٣) انظر: مروج الذهب ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، ونشوة الطرب ١/ ٥١ ـ ٥٣، والمعارف ٦٣٢، والإكليل ٢/ ٩٨، والمحبّر ٣٦٧، والطبري ١/ ٧٧٢ ـ ٧٧٥.

(٤) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ٩٩ ـ ١٠٠.

(٥) قال ابن سعيد في نشوة الطرب ١/ ٨٧: وعُرفت بنو قحطان بالعاربة، لأنهم أعربوا كلامهم وقالوا الأشعار الحسنة بخلاف المبلبلة البائدة. وقال ابن عبد البر (القصد والأمم ١٢ ـ ١٣): أول من تكلم العربية يعرب بن قحطان.

(٦) أورد المسعودي نسب جرهم بمختلف الصور، قارن بمروج الذهب ٦/ ٢٤٠. والعادة عند النسابين نسبته إلى قحطان. راجع عجالة المبتدي ٤٠، والقصد والأمم ١٨، والطبري ١/ ١١٣١ ـ ١١٣٤.

(٧) قال ابن سعيد في نشوة الطرب ١/ ٣٠٧: «العرب المستعربة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم... قيل لهم ذلك لأنهم تعلّموا من أخوالهم جُرْهُم بن قحطان العاربة». وقارن أيضاً بالقصد والأمم ١٨.

(٨) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٠.

(٩) انظر: الاشتقاق ٢١٧، والإكليل ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١٠) انظر: جمهرة ابن حزم ٣٢٩.

من وَلَد سَبَأ المذكور، وجميعُ تبابعة اليَمَن من وَلَد حِمْيَر بن سبأ خلا عمران وأخيه مُزيقيا، فإنّهما ابنا عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. والأزد من ولد كهلان بن سبأ[١]، وفي ذلك خلافٌ فنذكر هنا أخبارَ عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين إلى سبأ المذكور، ونبدأ بذكر بني حِمْيَر بن سبأ، فإذا انتهوا ذكرنا كهلان بن سبأ حتى آخرهم إن شاء الله تعالى.

فمن بني حمير [٢]بن سبأ التبابعة، ومنهم قضاعة، وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ، وقيل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مروة بن زيد بن مالك بن حمير[٣]، / ١١٥/ وكان قضاعة مالكاً لبلاد الشِّحر، وقبر قضاعة في جبل الشحر[٤].

ومن قضاعة كلب[٥] وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان [٦] بن علوان بن الحاف بن قضاعة. وكانت بنو كلب في الجاهلية ينزلون دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشام. ومن مشاهير كلب زهير بن جناب الكلبي وهو القائل[٧]: [من الطويل]

ألا أصبحت أسماءُ في الخَمْر تَعْذُلُ وتَـزْعُـمُ أنّـي بـالـسـفـاهِ مُـوَكَّـلُ
فقلتُ لها كُفّي عِتابَكِ نَصْطَبحْ وإلاّ فـبِـيـنـي فـالـتَـعـزُّبُ أمـثـلُ

ومنهم[٨] حارثة الكلبيُّ، وهو أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وكان قد أصاب ابنه سبيٌ في الجاهلية، فصادر إلى خديجة زوج النبي ﷺ فوهبتهُ للنبيَّ ﷺ وأنشد ابنُ عبد البرّ في كتاب «الصحابة» لحارثة المذكور يبكي ابنه زيداً لمّا فقده[٩]: [من الطويل]

---

(١) انظر: عجالة المبتدي ١٠. (٢) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٠.

(٣) انظر: عن اختلاف نسب قضاعة: الإنباه على قبائل الرواة ٥٩ ـ ٦٤، ونشوة الطرب ١/ ١٧١، والإكليل ١/ ١٣٧ ـ ١٨٥، وجمهرة ابن حزم ٤٤٠، وابن سعد ١/ ١/ ٣٠. والعمري ينقل هنا عن المختصر ١/ ١٠٠.

(٤) نشوة الطرب ١/ ١٧٠ ـ ١٧١ حيث ورد نص كتابة وجدت ـ بزعم صاحب التيجان في ملوك حمير ـ على قبر قضاعة وهي:
هذا قبر قضاعة بن مالك بن حمير
كنا زينةً للناظرين فصرنا عِبْرَةً للزائرين

(٥) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٠ ـ ١٠١.

(٦) في نشوة الطرب ١/ ١٧٢: «ان ثعلبة بن حلوان بن عمران»، بينما ورد اسمه في عجالة المبتدي ١٠٦، وجمهرة ابن حزم ٤٥٥: «ابن تغلب بن حلوان بن عمران».

(٧) البيتان في المختصر ١/ ١٠٠ منسوبين لزهير بن شريك الكلبي.

(٨) من هنا إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٩) الاستيعاب ٢/ ٥٤٤.

بَكَيْتُ على زيدٍ ولم أَدْرِ ما فَعَلْ أحيٌّ يُرَجَّى أم أتى دونه الأَجَلْ
تُذكِّرنيهِ الشمسُ عند طُلوعِها وتَعرِضُ ذِكْراه إذا قارب الطَفَلْ
وإنْ هَبَّت الأرواح هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ فيا طولَ ماحُزْني عليه ويا وَجَلْ

ثم اجتمع حارثة بزَيدٍ ولده عند رسول الله ﷺ فخَيَّره رسولُ الله ﷺ فاختاره على أبيه وأهله.

ومن قُضاعة بَهْراء[1].

ومن[2] قُضاعة جُهَيْنَة، وهي قبيلةٌ عظيمةٌ ينتسب إليها بطونٌ كثيرةٌ، وكانتْ منازلُها بأطراف الحجاز الشماليّ من جهة بحر جُدَّة.

ومن قُضاعة بَليٍّ.

ومن قُضاعة تَنُوخ. وكان بينهم وبين اللَخْمِيين ملوكِ الحِيرَة حُروبُ.

ومن قُضاعة بنو سَلِيح، وكان لهم باديةُ الشام، فغلبهم عليها ملوكُ غَسَّان وأبادوهم.

ومن قُضاعة بنو عُذْرَة، منهم عُرْوَةُ بن حِزامٍ، وجميلٌ صاحب بُثَيْنَة.

ومن قُضاعة بنو نَهْدٍ، منهم الصَقْعَب بن عمرو النَهْديّ، وهو أبو خالد بن الصقعب، وكان رئيساً في الإسلام[3].

ومن بُطون حِمْيَر /١١٦/ شَعبان، ومنهم عامر الشَعْبيّ الفقيه.

انتهى الكلام في بني حِمير.

ومن[4] بني كهلان بن سبأ[5] المذكور أحياءٌ كثيرة، والمشهورُ منها سبعةُ وهي: الأزد، وطيّىء، ومذحِج، وهَمْدان، وكندَة، ومُراد، وأنمار.

أما الأزد فهم من ولد الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان، فمن قبائلهم الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد، ومنهم الأوس والخزرج أهل يثرب، وهم الأنصار رضي الله عنهم. ومن الأزد خُزاعة،

---

(١) انظر: الإنباه على قبائل الرواة ١٢٢، وجمهرة ابن حزم ٤٤٠ ـ ٤٤١.
(٢) مأخوذ عن نشوة الطرب ١٧٥ ـ ١٧٨.
(٣) إلى هنا المنقول من نشوة الطرب.
(٤) مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ١٧٨، عن طريق مختصر أبي الفداء ١/ ١٠١.
(٥) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠١ ـ ١٠٢.

وبارق، ودوس، والعتيك، وغافِق. فهؤلاء بطون الأزد.

أما خُزاعة فإنّها لمّا انخزعت عن غيرها من قبائل اليمن الذين تفرّقوا من سيل العرم وسكنتْ ببطن مرٍّ على قرب من مكّة وحصلتْ لهم سِدانةُ البيت، والرئاسة، ولمّا اصطلح رسول الله ﷺ[1] مع قريش في عام الحُديبية، دخلتْ خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ. وقد اختلفَ في نسب خُزاعة بين المعدّية واليمانيّة، والأكثرُ أنّها يمانيّة[2]. والذي تنتسب إليه خُزاعة هو كَعْبُ بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيقيا بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وقد تقدم ذكر عمرو مُزَيقيا. وما زالتْ[3] سِدانةُ البيت في خُزَاعة حتى انتهتْ إلى رجلٍ منهم يقال له أبو غُبْشان، وكان في زمن قصي بن كلاب، فاجتمع مع قصي بالطائف في شربٍ فأسكرهُ قصيٌّ وخدعه واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه وتسلّم المفاتيح وأرسل ابنه عبد الدار بن قُصيٍّ بها إلى مكة. فلما وصل إليها رفع صوته وقال: يامعشر قريشٍ هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردَّها الله عليكم من غير عارٍ ولاظُلم، فلمّا صحا الخزاعيُّ ندم حيث لاتنفع الندمة. فقيل: أخسرُ من أبي غُبشان[4]. وأكثرت الشعراءُ القول في /١١٧/ ذلك فمنه: [من البسيط]

باعتْ خُزاعة بيتَ الله إذْ سكِرَتْ ... بِزِقِّ خَمْرٍ فبِئستْ صَفْقَةُ البادي

باعتْ سِدانَتَها بالنَزْرِ وانصرفتْ ... عن المقام وظِلِّ البيت والنادي

وجمع قُصَيٌّ أشتاتَ قريشٍ وأخرج خُزاعة من مكَّة.

ومن خُزاعة بنو المُصطلق الذين غزاهم رسول الله ﷺ[5].

وأمّا بارِق[6] فهم من ولد عمرو مُزَيْقِيا الأَزْديّ. نزلوا جبلاً بجانب اليَمَن يقال له

---

(١) إلى هنا ينتهي النص انظر أيضاً: الاختلاف في نسب خزاعة: الإنباه ٩٢ ـ ٩٥، ونشوة الطرب ١/ ٢٠٩، ونسب قريش ٧ ـ ٨.

(٢) مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٠٩، عن طريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠١، سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٣) وما زالت ... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢١٣ ـ ٢١٥، عن طريق مختصر أبي الفداء ١/ ١٠١.

(٤) الدرة الفاخرة في الأمثال ١/ ١٧٤ و١٣٩، ومجمع الأمثال ١/ ١٤٦، والمستقصى ٣٢، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٥) عن غزوة بني المصطلق في العام السادس للهجرة، انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٦.

(٦) وأما بارق... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢١٧، عن طريق المختصر ١/ ١٠٢.

بارِق فَسُمُّوا به[١]. ومنهم مُعَقِّرُ بنُ حِمارٍ البارقيُّ. ذكره صاحب الأغاني[٢]، وهو صاحب القصيدة التي من جملتها البيت المشهور[٣]: [من الطويل]

وألقتْ عصاها واستقرّ بها النَوَى كما قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسافِرُ

وأمّا دَوْس[٤] فهو ابن عُدْثان بن عبد الله بن وهزان بن كَعْب بن الحارث بن كَعْب بن مالك بن نَصْر بن الأزْد. وسكنتْ بنو دَوْس إحدى السَرَوات المُطِلّة على تِهامة، وكانتْ لهم دولةٌ بأطراف العراق. وأوّل مَنْ مَلَكَ منهم مالك بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس[٥]، وقد تقدّم ذكر مالك بن فَهْم ومن تملّك بعده. ومن الدَوْس أبو هُرَيْرة، وقد اختُلِف في اسمه، والصحيحُ عُمَيْرُ بن عامِرٍ[٦].

وأمّا العَتِيك[٧] وغَافِق فقَبيلتان مَشْهُورتان في الإسلام، وهم من وَلَد الأَزْد. ومن الأَزْد بنو الجُلَنْدَى ملوك عُمان. والجُلَنْدَى لَقَبٌ لكلّ مَنْ ملك عُمان منهم. وكان مُلْك عُمان في أيام الإسلام قد انتهى إلى جَبْقَر وعبد ابنَي الجُلَنْدَى، وأسلما مع أهل عُمان على يد عَمْرو بن العاص[٨]. إنتهى الكلام في الأَزْد.

وأمّا طيّىء[٩] فإنّها نزلتْ بعد الخروج من اليَمَن بسبب سَيْل العَرِم بنَجْد الحجاز في جبلَيْ أجَأ وسَلْمَى، فعُرِفَا بجبلَي طيّىء إلى يومنا هذا. وأمّا طيّىء فهو [ابن] أُدَدُ بن زيد بن كَهْلان. فمن بطون طيّىء[١٠] جَدِيلَة، ونَبْهان، وبَوْلان، وسلامان، وهَنيّ،

(١) انظر: الاشتقاق ٤٨٠، ومعجم البلدان ١/ ٤٦٣، ونشوة الطرب ١/ ٢١٧.
(٢) الأغاني ١١/ ١٦٠.
(٣) الأغاني ١١/ ١٦٠ ـ ١٦١.
(٤) أما دوس... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩، عن طريق المختصر ١/ ١٠٢؛ في عجالة المبتدي ٥٨، وجمهرة ابن حزم ٣٧٦.
(٥) انظر عنه تاريخ الطبري ١/ ٧٤٤ وما بعدها، وتاريخ سني ملوك الأرض ٨٣ ـ ٨٤، ومروج الذهب (الفهارس ٧/ ٦٢٧).
(٦) ترجمته في: الاستيعاب ٤/ ١٧٦٨ ـ ١٧٧٦، وابن سعد ٤/ ٣٢٥ ـ ٣٤١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨ ـ ٦٣٢. والرأي القائل إنّ اسمه عمير بن عامر هو لابن الكلبي.
(٧) وأمّا العتيك... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٢١، عن طريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٢.
(٨) في الطبري ١/ ١٦٠٠ ـ ١٦٠١: «وفيها ـ سنة ثمان ـ بعث رسول الله عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني جُلَندي بُعمان...».
(٩) وأما طيىء... زيدِ بن كهلان؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٢٢، عن طريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٢.
(١٠) فمن بطون طيىء... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن العقد الفريد ٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٢.

وسُدُس ـ بضمّ السين. وأمّا سَدُوس التي في قبائل /١١٨/ رَبِيعَة بن نِزار فمفتوحة السين[١]. ومن سَلامان بنو بُحْتُر، ومن هَنِيّ إياسُ بن قَبِيصة[٢] الذي ملك بعد النعمان. ومن طيّىء عَمْرو بن المُسبِّح، وهو من بني ثُعل الطائيّ، وكان عَمْرو أرمى الناس، وفيه يقول امروء القيس[٣]: [من المديد]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ مِنْ سُتَرِهْ

ومن بني ثُعَل الطائيّ زَيْدُ الخَيْل، وسمّاه رسول الله ـ ﷺ ـ زَيْدَ الخَيْر[٤]. ومن طيّىء حاتم طيّىء المشهور بالكَرَم.

وأمّا بنو مَذْحِج[٥]، واسم مَذْحِج مالك بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان، وهم بُطونٌ كثيرة، فمنها خَوْلان وجَنْب، ومنهم معاويةُ الخَيْر الجَنْبيُّ صاحبُ لواء مَذْحِج في حرب بني وائل، وكان مع تغلب. ومن مَذْحِج أود قبيلةُ الأَفْوَه الأوديّ الشاعر[٦]. ومن بني مَذْحِج[٧] بنو سَعْد العَشِيرة، وسُمّي بذلك؛ لأنّه لم يَمُتْ حتى رَكِبَ معه من وَلَده، ووَلَد وَلَده ثلاثمائة رَجُلٍ، وكان إذا سُئِلَ عنهم يقول: هؤلاء عشِيرتي دَفْعاً للعَيْن عنهم، فقيل له سَعْدُ العَشِيرة لذلك[٨]. ومن بُطون سَعْد العَشِيرة جُعْف، وزُبَيْد قبيلةُ عَمْرو بن مَعْدي

---

(١) في مختلف القبائل ٤: «وكلّ سدوس في العرب مفتوح إلا سُدوس بن أصمع... من طيىء». انظر الإيناس علم الأنساب ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦، والطبري ١/١٠٣٨، ونشوة الطرب ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) انظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ٢٨٥، والاشتقاق ٣٨٨.

(٤) انظر: مختار الأغاني ٤/ ١٣٩ ـ ١٥٥، والإصابة ٣/ ٣٤.

(٥) وأما بنو مذحج... الأوديّ الشاعر؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/٢٣٨ ـ ٢٤٢، عن طريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣. انظر عجالة المبتدي ٧٢، وجمهرة ابن حزم ٤٧٦، ونشوة الطرب ١/ ٢٣٨.

(٦) انظر: نشوة الطرب ١/ ٢٤٢، ديوانه في الطرائف الأدبية للميمني.
الأفوه الأودي: صَلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج: شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره. أشهر شعره أبياته التي منها:
«لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا»
توفي نحو ٥٠هـ/ نحو ٥٧٠م.
ترجمته في: معاهد التنصيص ٤/ ١٠٧ والشعر والشعراء ٥٩ وشعراء النصرانية ٧٠ وعنه أخذنا تاريخ وفاته التقريبي، ولعله كان قبل ذلك بزمن. وسمط اللآلي ٣٦٥ وجمهرة الأنساب ٣٨٦ وهو فيه: «صلاءة بن عمرو بن عوف بن منبه بن أود»، الأعلام ٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٧) ومن بني مذحج... إلى آخر الفقرة؛ مأخوذ عن العقد الفريد ٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٨، ونشوة الطرب ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، عن طريق المختصر لأبي الفداء ١٠٢٦١ ـ ١٠٣.

(٨) القصة عن عجالة المبتدي ٧٣. وعن نشوة الطرب ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ أخذها العمري بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٢.

كرب الزُّبَيْديّ[١]. ومن بُطون مَذْحِج النَخَع، ومنهم الأشتر واسمُه مالك بن الحارث صاحبُ رسول الله ﷺ[٢]، ثم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن النخَع سِنانُ بن أَنَسٍ قاتلُ الحسين. ومنهم القاضي شَريك[٣]. ومن مَذْحِج عَنْسٌ بالنون: وهي قبيلةٌ

---

(١) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه.
وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة. له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها:
«إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع»
توفي على مقربة من الريّ سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م. وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية.
جمع هاشم الطعان ما ظفر به من شعره في «ديوان عمرو بن معد يكرب ـ ط» ومثله صنع مطاع الطرابيشي.
ترجمته في: الإصابة/ ت ٥٩٧٢ وسمط اللآلي ٦٣و ٦٤ وابن سعد ٥/ ٣٨٣ ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٤٠ والحور العين ١١٠ وفيه: «كان يقال لكل فارس من العرب: فارس بني فلان، إلا عمراً فيقالُ له فارس العرب جميعاً». وشرح الشواهد ١٤٣ والمرزباني ٢٠٨ والشعور بالعور ـ خ. والشعر والشعراء ١٣٨ وخزانة البغدادي ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ وسرح العيون ٢٤٣ والبلاذري ٣٢٨، لباب الآداب، انظر فهرسته، وفي كتاب الإشراف في منازل الأشراف ـ خ: «حدثني محمد بن عمر، قال: حدثني سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء، قال: شهد صفّين غير واحد، أبناء خمسين ومائة، منهم عمرو بن معدي كرب»؟. الأعلام ٥/ ٨٦.

(٢) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر: أمير، من كبار الشجعان. كان رئيس قومه. أدرك الجاهلية. وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة «عمر» في الجابية. وسكن الكوفة، وكان له نسل فيها. وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وكان ممن ألّب على «عثمان» وحضر حصره في المدينة. وشهد يوم الجمل، وأيام صفّين مع علي. وولاه عليّ «مصر» فقصدها، فمات في الطريق سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، فقال علي: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله. وله شعر جيد. ويعدّ من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء. ولمحمد تقي الحكيم «مالك الأشتر ـ ط».
ترجمته في: الإصابة/ ت ٨٣٤٣ وتهذيب ١٠/ ١١ والولاة والقضاة ٢٣ ـ ٢٦ وسمط اللآلي ٢٧٧ والمؤتلف والمختلف ٢٨ والمرزباني ٣٦٢ والتبريزي ١/ ٧٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢١٠ والمغرب في حلى المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ٦٨ والمحبر ٢٣٣ في باب «من كان يركب الفرس الجسام، فتخط إبهاماه في الأرض». ووفاته في الإصابة: سنة ٣٨هـ، الأعلام ٥/ ٢٥٩.

(٣) شريك بن عبد الله بن الحارث بن أوس النخعي الكوفي، أبو عبد الله: عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته. استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي. وكان عادلاً في قضائه. مولده في بخارى سنة ٩٥هـ/

=

الأسود الكذّاب العَنْسيّ. وعَنْسٌ أيضاً رهطُ عَمّار بن ياسرٍ صاحب رسول الله ﷺ.

وأمّا هَمْدان(١) فهم من ولد ربيعة بن حَيَّان بن مالك بن زَيْد بن كهلان، ولهم صيتُ في الجاهلية والإسلام.

وأمّا كِنْدَة(٢) فهم بنو ثَوْر، وثَوْر هو كِنْدَة بن عفير بن الحارث، من ولد زيد بن كهلان، وسمي كندة؛ لأنّه كند أباه اي كفر نعمته(٣). وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت، وقد تقدم ذكرُ / ١١٩/ ملوكهم. ومن كندة حجر بن عديّ(٤) صاحب عليّ بن أبي طالب، قتله معاوية صبراً. ومنهم شُرَيحٌ القاضي(٥). ومن بُطون كندة(٦) السكاسك، والسكُون بنو أشرس بن كندة. فمن السكون معاوية بن خديج قاتل محمد بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ ومنهم حصين بن نمير السكوني، الذي صار صاحب جيش

= ٧١٣م. ووفاته بالكوفة سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٤م.

ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٤ ووفيات الأعيان ١/ ٢٢٥ ،الوافي ١٦/ ١٤٧ ـ ١٥٠. والبداية والنهاية ١٠/ ١٧١ وميزان الاعتدال ١/ ٤٤٤ وتاريخ بغداد ٩/ ٢٧٩، الأعلام ٣/ ١٦٣.

(١) وأما همدان... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٤٣.

(٢) وأما كندة... إلى شريح القاضي مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٤٤، والعقد الفريد ٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٣ بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣.

(٣) قال ابن دريد: «وكندة من قولهم: كند نعمة الله عزّ وجلّ أي كفرها» (الاشتقاق ٣٦٢) .

(٤) حجر بن عدي بن جبلة الكندي، ويسمى حجر الخير: صحابي شجاع، من المقدمين. وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية. ثم كان من أصحاب عليّ وشهد معه وقعتي الجمل وصفين. وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبي سفيان والياً عليها فدعا به زياد، فجاءه، فحذره زياد من الخروج على بني أمية، فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال في السرّ بالقيام عليهم، فجيء به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فقتل في مرج عذراء(من قرى دمشق) مع أصحاب له سنة ٥١هـ/ ٦٧١م. وخبره طويل.

ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٣/ ١٨٧ والطبري ٦/ ١٤١ وذخيرة الدارين ٢٤ وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥١، الأعلام ٢/ ١٦٩.

(٥) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧هـ. وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمر طويلاً، ومات بالكوفة سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م

ترجمته في: الاشتقاق ٣٦٣، الوافي ١٦/ ١٤٠ ـ ١٤٢ والشذرات ١/ ٨٥ وطبقات ابن سعد٦/ ٩٠ ـ ١٠٠ ووفيات الأعيان ١/ ٢٢٤ وحلية الأولياء ٤/ ١٣٢، الأعلام ٣/ ١٦١.

(٦) ومن بطون كندة... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ٣/ ٣٩٢ بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣.

يزيد بن معاوية بعد مسلم بن عقبة نوبة الحرة بظاهر مدينة الرسول ﷺ.

وأما مُراد[١] فبلادُهم إلى جانب زبيد من جبال اليمن، وإليه ينتسب كلّ مُراديّ من عرب اليمن.

وأما أنمار[٢] ففرعان، وهما بجيلة، وخثعم. وبجيلة رهط جرير بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ[٣] وكان يقال لهذا جرير يوسف الأمّة لحُسْنه. وفيه قيل: [من الرجز]

لولا جريرٌ هلكتْ بَجِيلَهْ

نِعْمَ الفَتَى وبئست القَبِيلَهْ

وأمّا القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ[٤]، فمنهم لخم بن عديّ بن عمرو بن سبأ[٥]. ومن لخم بنو الدار، رهط تميم الداري[٦]. ومن لخم المناذِرَة ملوك الحيرة، وهم بنو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وكانت دولتهم من أعظم دول العرب، وقد ذكرناهم. ومنهم [جُذام بن عمرو بن] سَبَأ، وهو أخو لَخْم. وجميع جُذام من ابنيه حَرام وحِشْم. وكان في بني حَرام الشَرَف. ومن بطون حِشم بن جُذام عتيب بن أسلم.

وأمّا بنو الأشعر بن سبأ، فهم الأشْعَريون، وهم رهط أبي موسى، واسمُه عبدُ

---

(١) وأما مراد... إلى آخر الفقرة مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٦٥ بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣.

(٢) وأما أنمار... إلى نصر اللخمي؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٩.

(٣) قارن بجمهرة ابن حزم ٣٨٧ وما بعدها. وانظر عن جرير ابن سعد ٦/ ٢٢، والاستيعاب ١/ ٣٣٧، وسير أعلام ٢/ ٥٣٠.

(٤) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٥) هكذا نقله العمري عن نشوة الطرب ١/ ٢٦٩، بطريق المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٣. ومصدر ابن سعيد في هذا المعارف لابن قتيبة ١٠١ ـ بينما تُنْسَب لخم عند جمهور النسابة إلى كهلان بن سبأ قارن عن ذلك الإنباه ١٠٤ ـ ١٠٥، وعجالة المبتدي ٣٨ ـ ٣٩.

(٦) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، نسبته إلى الدار بن هانىء، من لخم. أسلم سنة ٩هـ، وأقطعه الأندلسي، أبو غالب، ابن التياني: النبي ﷺ قرية حبرون (الخليل ـ بفلسطين) وكان يسكن المدينة. ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان. فنزل بيت المقدس. هو أول من أسرج السراج بالمسجد. وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً. وللمقريزي فيه كتاب سماه «ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري». مات في فلسطين سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م.

ترجمته في: ابن سعد ٧/ ٤٠٨، والاستيعاب ٢/ ٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٢، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٣٤٤ وكشف النقاب ـ خ ـ، وصفة الصفوة ١/ ٣١٠، الأعلام ٢/ ٨٧.

الله بن قيس[(١)].

وأمّا بنو عامِلة بن سبأ فمن القبائل اليمانيّة التي خرجت إلى الشام زمن سيل العرم ونزلوا قرب دمشق في جبل عامِلة. فمن عامِلة عَديُّ بن الرقاع الشاعر[(٢)].

[العرب المستعربة]

وأما العربُ المُسْتَعربة[(٣)] فهم ولد إسماعيل، وقيل لهم المستعربة؛ لأنّ إسماعيل لم تكن لغتُه عربيّةً بل عبرانيّةً /١٢٠/ ودخل في العربيّة فلذلك سُمّي ولده المستعربة.

سببُ سُكْنى إسماعيل وأُمّه مكّة[(٤)]، وأنّ ذلك كان بسبب سارة ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى الأشعري، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما عليّ ومعاوية بعد حرب صفين.
ولد في زبيد (باليمن) سنة ٢١ق هـ/ ٦٠٢م وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ، فافتتح أصبهان والأهواز. ولما ولي عثمان أقره عليها. ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقره عليّ. ثم كانت وقعة الجمل وأرسل عليّ يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبو موسى بالقعود في الفتنة، فعزله عليّ، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فارتد أبو موسى إلى الكوفة، فتوفي فيها سنة ٤٤هـ/ ٦٦٥م. وكان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة، خفيف الجسم، قصيراً. وفي الحديث: سيد الفوارس أبو موسى. له ٣٥٥ حديثاً.
ترجمته في: طبقات ابن سعد ١/ ٧٩، والإصابة. ت ٤٨٨٩ وغاية النهاية ١/ ٤٤٢ وصفة الصفوة ١/ ٢٢٥ وحلية الأولياء ١/ ٢٥٦ والمناوي ١/ ٤٨، الأعلام ٤/ ١١٤.

(٢) عديّ بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق توفي نحو ٩٥هـ/ ٧١٤م. وهو صاحب البيت المشهور:

«تزجي أغنَّ كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها»

له «ديوان شعر ـ خ» مما جمعه ثعلب، مهيأ للنشر في بغداد، كما في «مذكرات الميمني ـ خ».
ترجمته في: الأغاني ٨/ ١٧٢ـ ١٧٧ وشرح الشواهد ١٦٨ والمرزباني ٢٥٣ والمؤتلف والمختلف ١١٦ ومجلة المجمع العلمي العربي ١٥/ ٢٤٥ و٣٤٠ و٤٥٠ ورغبة الآمل ٥/ ٢١٢ ثم ٧/ ٢٩ و٤٨ الأعلام ٤/ ٢٢١.

(٣) النص مأخوذ عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٤ـ ١٠٩.

(٤) انظر عن نزول هاجر وإسماعيل مكّة: الطبري ١/ ٢٧٤ وما بعدها، و٣٥١ وما بعدها، وصحيح البخاري ٤/ ١٧٢.

وأنّ الله تعالى أمر إبراهيمَ أنْ يُطيعَ سارة، وأن يُخرجَ إسماعيلَ عنها. فخرج إبراهيمُ من الشام ومعه إسماعيل، وقدم بهما مكّة، وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[1] فأنزلهما إبراهيمُ هناك وعاد إلى الشام، وكان عمر إسماعيل أربع عشرة سنة، وذلك لمُضيّ مائة سنةٍ من عُمر إبراهيم. فمن[2] سكنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ مكّة إلى الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنةً، وكان هناك قبائل جرهم فتزوّج إسماعيل منهم امرأةً، وولدت له اثني عشر ولداً ذكراً، فمنهم قيدار. وماتت هاجر، ودُفِنَتْ بالحِجْر، ومات إسماعيل ودُفِنَ معها. وقد اختلف[3] المؤرخون اختلافاً كثيراً في أمر ملك جرهم على الحجازيين وبني إسماعيل، فمن قائل: الملك على الحجازيين في جرهم ومفتاح الكعبة في ولد إسماعيل، ومن قائل: إنّ قيدار توَّجته أخواله وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز. وأمّا سِدانةُ البيت ومفاتيحه فكانت مع بني إسماعيل بغير خلافٍ حتّى انتهى ذلك إلى نابتٍ من بني إسماعيل، فصارت السِّدانةُ بعدهُ لجُرْهُم، ويدلّ على ذلك قولُ عامر بن الحارث الجرهمي من قصيدته[4]، منها: [من الطويل]

وكنّا ولاةَ البيتِ مِنْ بعدِ نابتٍ ... نَطوف بذاك البيتِ والأمرُ ظاهرُ
كأنْ لم يكنْ بين الحَجُونِ إلى الصَفَا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرُ
بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا ... صُروفُ الليالي والجُدودُ العَواثِرُ

ثم ولد لقيدار ابنه حمل، ثم ولد لحمل نبت، ويقال نابت، وقيل هو ابن قيدار، وقيل: ابن إسماعيل، وفي ذلك خلاف. ثم ولد لنبت سلامان، ثم ولد لسلامان الهميسع، ثم ولد للهميسع اليسع، ثم ولد / ١٢١/ لليسع أدد، ثم ولد لأدد أد، ثم ولد لأدّ ابنه عدنان، ثم ولد لعدنان ولدان وهما عك ـ ومنه بنو عك ـ ومعدّ. ثم ولد لمعدّ قُضاعة، ومنه بنو قُضاعة ونِزار.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٢) من هنا إلى آخر الفقرة عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٤ـ ١٠٥.
(٣) وقد اختلف... إلى بالحجاز؛ قارن بنشوة الطرب ١/ ٣٠٧.
(٤) تختلف المصادر في اسم شاعر القصيدة بين الحارث بن مضاض (التيجان ٢١١، ٢١٣، ونشوة الطرب ١/ ١٩٥، ٣٠٩)، وبكر بن غالب بن عمرو بن الحارث بن مُضاض (المنمّق ٣٥٥)، وعمرو بن الحارث بن مُضاض (الروض الأنف ٢/ ١١، وأنساب الأشراف ١/ ٨ـ ٩)، ومضاض بن عمرو بن الحارث الجُرْهُمي (أخبار مكّة ١/ ٩٦، والأغاني ١٥/ ١١، ومعجم البلدان) وعمرو بن مضاض (الممتع ٤٩٧). وقارن بنشوة الطرب ١/ ٢٩٥ ح١١٤. وقد نقل العمريّ الخبر والشعر عن المختصر لأبي الفداء ١/ ١٠٤ـ ١٠٥.

ثم ولد لنزار أربعة فمنهم مضر على عمود النسب النبوي، وثلاثة خارجون عن النسب، أولهم إياد[١]، وكان أكبر من مضر، وإليه يرجع كل إياديّ[٢] من بني معد. وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق. فمن بني إياد كعب بن مامة الإيادي، وكان يضرب بجوده المثل. والثاني ربيعة[٣]، ويُعرف بربيعة الفرس؛ لأنّه ورث الخيل من أبيه، وولد لربيعة أسد وضبيعة. فولد لأسد جديلة، وغيره، ومن جديلة وائل. ومن وائلٍ بكر، وتغلب، فمن تغلب كليب، ملك بني وائل، وقتله جساس[٤]. ومن بكر بن وائلٍ بنو شيبان، ومن رجالهم مُرَّة، وابنُه جسّاس[٥] قاتلُ كُلَيْبٍ، وطرفة بن العبد الشاعر. ومن بكر المُرقِّشان، الأكبرُ والأصغرُ. ومن بكر بنو حنيفة، ومنهم مُسَيلمة الكذّاب[٦]. وأما عنزة بن أسد بن ربيعة فمنه بنو عنزة، وهم أهل خيبر. ومن بني عنزة القارِظان[٧]. وأما ضبيعة بن ربيعة، فمن ولد المتلمس الضبعي الشاعر. ومن قبائل ربيعة النمر، ولجيم، والعجل، وبنو عبد القيس وهم من ولد أسد بن ربيعة. ومن ولد ربيعة سدوس ـ بفتح السين واللهازم. والثالث أنمار. ومضى أنمار إلى اليمن، فتناسل بنوه بتلك الجهات وحُسِبوا من اليمن.

لما حضرت نزار الوفاة[٨] دعا إياداً وعنده جارية شمطاء، وقال: هذه الجارية الشمطاء وماأشبهها لك. ودعا أنماراً، وهو في مجلس له، وقال: هذه البدرة، والمجلس وماأشبههما لك. ودعا ربيعة فأعطاه حبالاً سوداً من شعر، وقال: هذا وماأشبهه لك. وأعطى مضر قبة حمراء، وقال: هذه وماأشبهها لك، ثم قال: وإن أشكل عليكم شيء، فأتوا الأفعى /١٢٢/ ابن الأفعى الجرهمي ـ وكان ملك نجران.

فلما مات نزار ركبوا رواحلهم آمين الأفعى. فلما كانوا من نجران على يوم، إذا

---

(١) انظر نشوة الطرب ٢/ ٦٦٥ وما بعدها.
(٢) انظر نشوة الطرب ٢/ ٦٦٥.
(٣) انظر نشوة الطرب ٢/ ٦٠١ـ ٦٠٣.
(٤) انظر عن مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب ابني وائل: العقد الفريد ٥/ ٢١٣ـ ٢٢٣، ونشوة الطرب ٢/ ٦٤٠ـ ٦٤١، والكامل في التاريخ ١/ ٥٢٣ـ ٥٣٩.
(٥) انظر: نشوة الطرب ٢/ ٦٠٦ـ ٦٠٧.
(٦) انظر: نشوة الطرب ٢/ ٦٣٠ـ ٦٣٢.
(٧) انظر عن القارظين: فصل المقال ٤٧٣، ونشوة الطرب ٢/ ٦٥٥ـ ٦٥٦.
(٨) انظر القصة في: أنساب الأشراف ١/ ٢٩ـ ٣٠، والكامل في التاريخ ٢/ ٣٠ـ ٣٢، والطبري ١/ ١١٠٨ـ ١١١٠، والتيجان في ملوك حمير ٢١٣ـ ٢١٩، والعقد الفريد ٣/ ٣٣٨، باختصار، ونشوة الطرب ١/ ٣١٥ـ ٣١٧، ومروج الذهب ٢/ ٢٣٨ـ ٢٤٣. وقد أخذ العمريّ القصة عن المسعودي.

هم بأثر بعير. فقال إياد: بعير أعور! فقال أنمار: وإنه لأبتر! فقال ربيعة: وإنّه لأزور! وقال مضر: شارد لايستقرُّ! فلم ينشبوا أن وقع لهم راكب. فلمّا غشيهم قال: هل رأيتم من بعيرٍ ضالٍّ؟ فوصفوه له فقال: إن هذه لصفته عيناً، فأين بعيري؟ قالوا: مارأيناه! قال: أنتم أصحابُ بعيري، ماأخطأتم من نعته شيئاً! فلما أناخوا بباب الأفعى واستأذنوه، وأذن لهم، صالح الرجل بالباب، فدعا به الأفعى، وقال: ماتقول؟ قال: أيها الملك، ذهب هؤلاء ببعيري! فسألهم الأفعى عن شأنه، فأخبروه. فقال لإياد: مايُدريك أنّه أعورُ؟ قال: رأيته قد لحس الكلأ من شق والشق الآخر وافر. وقال أنمار: رأيته يرمي بعره مجتمعاً ولو كان أهلب لمصع به، فعلمت أنه أبتر. وقال ربيعة: أثر إحدى يديه ثابت، وأما الآخر فاسد، فعلمت أنه أزور. وقال مضر: رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم يتعدّاها فيمرّ بالكلأ الغضّ فلاينهش منه شيئاً، فعلمت أنه شرود. فقال الأفعى: صدقتم! وليسوا بأصحابك فالتمس بعيرك. ثم سألهم الأفعى عن نسبهم، فأعلموه، فرحب بهم وحياهم، ثم قصوا عليه قصة أبيهم فقال لهم: كيف تحتاجون إلي وأنتم على ماأرى؟ قالوا: أمرنا بذلك ابونا. فأمر خدم دار ضيافته أن يحسن إليهم، ويكرم مثواهم. وأمر وصيفاً له أن يلزمهم ويتفقد كلامهم، فأتاهم القهرمان بشهدٍ فأكلوه، وقالوا: مارأينا شهداً أعذب، ولاأحسن منه. فقال إياد: صدقتم لولا أن نحله في هامة جبار. ثم جاءهم بشاةٍ مشويةٍ فأكلوها، واستطابوها، فقال أنمار: /١٢٣/ صدقتم لولا أنها غُذيت بلبن كلبة. ثم جاءهم بالشراب فاستحسنوه، فقال ربيعة: صدقتم لولا أن كرمته نبتت على قبر. ثم قالوا: مارأينا منزلاً أكرم قرى ولاأخصب رحلاً من هذا الملك! فقال مضر: صدقتم لولا أنه لغير أبيه. فذهب الغلام إلى الأفعى فأخبره. فدخل الأفعى على أمه فقال: أقسمت عليك إلاّ ماأخبرتيني من أبي. قالت: أنت الأفعى ابن الملك الأكبر. قال: حقاً لتصدقيني! فلمّا ألحّ عليها قالت: أي بني، إن الأفعى كان شيخاً قد أثقل، فخشيت أن يخرج هذا الأمر عنا أهل البيت، وكان عندنا شاب من أبناء الملوك اشتملت عليك منه. ثم بعث إلى القهرمان فقال: أخبرني عن الشهد الذي قدمته إلى هؤلاء النفر ماخطبه؟ قال: أجتزنا بدبر في كهف فيه عظام نخرة، وإذا النحل قد عسلت في جمجمةٍ من تلك العِظام، فأمرت باشتياره، فأتوا بعسلٍ لم ير مثلهُ قط، فقدمته إليهم لجودته. ثم بعث إلى صاحب مائدته، فقال: ماهذه الشاة التي أطعمتها هؤلاء النفر؟ قال: إني بعثت إلى الراعي أن يبعث لي أسمن ماعنده، فبعث بها. فسألته عنها فقال: إنها أول ماولدت من غنمي، فماتت أمها، وأنست السخلة بجراء الكلبة ترضع معهم فلم أجد في غنمي مثلها، فبعثت بها إليك. ثم بعث إلى صاحب الشراب

وسأله عن شأن الخمر، فقال: هي كرمة غرستها على قبر أبيك، فليس في بلاد العرب مثل شرابها. فعجب الأفعى من القوم وقال: ماهم إلاّ شياطين! ثم أحضرهم وسألهم عن وصيّة أبيهم، فقال إيادُ: جعل لي خادماً شمطاء وماأشبهها. فقال الأفعى: إنه ترك غنماً برشاء فهي لك ورعاؤها مع الخادم. وقال أنمار: جعل لي بدرة ومجلسه، وماأشبههما. فقال: لك ماترك من الرقة، والأرض. وقال ربيعة: جعل لي حبالاً سوداً /١٢٤/ وماأشبهها. فقال: ترك أبوك خيلاً دهماء وسلاحاً فذلك لك ومافيها من عبيد، فقيل ربيعة الفرس. وقال مضر: جعل لي قبة حمراء وماأشبهها. قال: إن أباك ترك إبلاً حمراً، فهي لك، فقيل مضر الحمراء. فكانوا كذلك حيناً من الدهر إلى أن أصابتهم سنة، فهلكت الشاءُ، وعامةُ الإبل، وذهبت بالرقة، والمتاع، وكان ربيعة يغزو على خيله ويغير ويعول إخوته، وكان سبب تحوّل أنمار إلى اليمن أنه تعرق عظماً في جنح الليل، ثم دحا به وهو لايُبصر، ففقأ عين مضر، فصاح مضر، وتشاغل به إخوته، فاعرورى أنمار بعيراً من إبله فلحق بأرض اليمن.

ثم ولد لمُضَر المقدَّم ذكره إلياس، على عمود النسب، ووُلد له خارجاً عن عمود النسب، قيس عيلان بن مضر[(١)] ـ بالعين ـ وقيل: إن عيلان فرسة (وقيل كلبه) وقيل: عيلان أخو قيس، وهو الياس بن مضر[(٢)]. وقد جعل الله تعالى من الكثرة لقيس أمراً عظيماً. فمن ولده قبائل هوازن[(٣)]، ومن هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن، الذين كان فيهم رسول الله ﷺ ـ رضيعاً[(٤)]. ومن قبائل قيس بنو كلاب، وصار منهم أصحاب حلب، وكان أولهم صالح بن مرداس، ومن قبل قبائل عقيل الذين كان منهم ملوك الموصل، المقلد، وقرواش، وغيرهما[(٥)]. ومن ولد قيس بنو عامر بن صعصعة، وخفاجة. ومازالت لخفاجة إمرةُ العراق من قديم، وإلى الآن[(٦)]. ومن هوازن أيضاً بنو

---

(١) هناك اختلاف في نسب قيس واسمه كما يلي:
١ـ قيس بن عيلان بن مضر (معظم النسابة) انظر نسب قريش ٧، والطبري ١/١٠٠٨، والعقد الفريد ٣/ ٣٥٠، وعجالة المبتدي ١٠٥، والاشتقاق ٢٦٥.
٢ـ قيس (= عيلان) بن مضر (جمهرة ابن حزم ٢٤٣، ونشوة الطرب ٥٠٠).
٣ـ الناس (= قيس) بن مضر (انظر: بعجالة المبتدي ١٠٥). وقد أتبع العمري الرواية الأولى تارةً والرواية الثانية تارةً أخرى.

(٢) انظر: عجالة المبتدي ١٠٥، والطبري ١/١١٠٨.

(٣) انظر: العقد الفريد ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥، وجمهرة ابن حزم ٢٦٤ ـ ٢٧٣، ونشوة الطرب ٢/ ٥٠٠.

(٤) العقد الفريد ٣/ ٣٥٣، وجمهرة ابن حزم ٢٦٥.

(٥) نشوة الطرب ٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

(٦) ابن بطوطة ٢/ ٩٣ ـ ٩٦، ١٤٨، ٤/ ٣١٢، ونشوة الطرب ٢/ ٥٠٤.

ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. ومن هوازن أيضاً جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومن جُشم دريد بن الصمة. ومن قيس أيضاً بكر وبنو هلال، وثقيف، واسمُ ثقيف عمرو بن منبهٍ بن هوازن. وقد قيل: / ١٢٥/ إنّ ثقيفاً من إياد، وقيل: من بقايا ثَمُود، وهم أهلُ الطائف[١]. ومن قيس عيلان أيضاً بنو نُمَيْر، وباهلة، ومازن، وغطفان، وهو ابن سعد بن قيس عيلان. ومن قيس أيضاً بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. وكان بين عبس، وذبيان حروب داحس[٢] المقدم ذكرها. ومن بني عبس عنترة العبسيّ، وادعاهُ أبوه شداد بعد أن كبر. ومن قيس أشجع، وهم أيضاً من ولد غطفان. ومن قيس قبائل سليم، ومن قيس بنو ذبيان بن بغيض، ومن بني ذبيان المذكورين، بنو فزارة، فمنهم حصن بن حذيفة بن بدر[٣] الذي يمدحه زهير بقوله[٤]: [من الطويل]

تَـراهُ إذا مـاجـئـتَـهُ مُـتـهـلّـلاً ... كـأنّـك تُـعْـطِـيهِ الـذي أنـتَ سَـائـلُـهْ

وأسلم حصن ثم نافق[٥]. وكان بين بني ذبيان وبين عبس إحن وحروب معروفة. ومن بني ذبيان النابغة الذبياني[٦]. ومن قيس عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وكانوا ينتزلون

---

(١) عن ثقيف واختلاف نسبها، انظر: الإنباه ٨٩ ـ ٩٢، وعجالة المبتدى ٣٤ ـ ٣٥، ونشوة الطرب ٢/ ٥١١، ٥١٩.

(٢) عن أيام داحس والغبراء، انظر: العقد الفريد ٥/ ١٠٥ ـ ١٥٣، والكامل في التاريخ ١/ ٥٦٦ ـ ٥٨٣، ونشوة الطرب ٢/ ٥٢٩ وما بعدها.

(٣) الاشتقاق ٢٨٥، ونشوة الطرب ٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣.

(٤) ديوانه ١٤٢ .

(٥) الذي أسلم ثم نافق هو عيينة بن حصن؛ قارن بالاشتقاق ٢٨٤.

(٦) النَّابغة الذُّبْيَاني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجازكانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة.

وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية.

وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في «ديوان ـ ط» صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً توفي نحو ١٨ق هـ/ نحو ٦٠٤م، ومما كتب في سيرته «النابغة الذبياني ـ ط» لجميل سلطان، ومثله لسليم الجندي، ولعمر الدسوقي، ولحنّا نمر؛ وكلها مطبوعة.

=

الطائف قبل ثقيف. ومنهم ذو الإصبع العدوانيّ[١] الشاعر. انتهى الكلام على قيس[٢].

وولد لإلياس، مُدرِكة، على عمود النسب[٣]، وولد له خارجاً عن العمود طابخة، وبعضهم ينسب مدركة، وطابخة إلى أمهما خندف، واسمُها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وجميع أولاد إلياس من خندف، وإليها ينسبون دون أبيهم فيقولون بني خندف، ولايذكرون إلياس وصار من طابخة الخارج عن العمود قبائل[٤]، فمنهم بنو تميم بن طابخة والرباب، وبنو ضبة، وبنو مزينة، وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة، نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة.

ثم ولد لمُدرِكة بن إلياس خزيمة على عمود النسب[٥]، وولد له خارجاً عن العمود هذيل، وغالب، وسعد، وقيس، المنسوب إليهم أبناؤهم. ومن هذيل /١٢٦/ جيمع قبائل الهذليين[٦]. فمنهم عبد الله بن مسعود[٧] صاحب رسول الله ﷺ، وأبو

= **ترجمته في**: شرح شواهد المغني ٢٩ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٣٣ والأغاني طبعة الدار ٣/١١ وجمهرة ٢٦ و٥٢ ونهاية الأرب ٣/ ٥٩ وسماه «زياد بن عمرو. وقيل: زياد بن معاوية». والشعر والشعراء ٣٨ وخزانة البغدادي ١/ ٢٨٧ و٤٢٧، ٤/ ٩٦، الأعلام ٣/ ٥٤ ـ ٥٥.

(١) ذو الإصبع العدواني: حُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان ينتهي نسبة إلى مضر: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلاً حتى عدَّ من المعمرين توفي نحو ٢٢ ق هـ/ نحو ٦٠٠ م. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول في أولها:

«أأسيد إن مالاً ملكت فسر به سيراً جميلا»

ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٣/ ٨٩ وسمط اللآلي ٢٨٩ والآمدي ١١٨ وشرح الشواهد ١٤٨ والشعر والشعراء ٢٧٠ وهو فيه «حرثان بن عمرو» وأمالي المرتضى ١/ ١٧٦ وهو فيه «حرثان بن محرث» وكذا في خزانة البغدادي ٢/ ٤٠٨. الأعلام ٢/ ١٧٣، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٣ .

(٢) انظر عن قبائل قيس عيلان: جمهرة النسب ١/ ٧٥، والعقد الفريد ٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥٦، وجمهرة ابن حزم ٢٤٣ ـ ٢٩٢.

(٣) انظر ابن سعد ١/ ١/ ٢٨، ونسب قريش ٧ـ ٨، والطبري ١/ ١١٠٧ ـ ١١٠٨.

(٤) انظر: عن فروع طابخة: العقد الفريد ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤، وجمهرة ابن حزم ١٩٨ ـ ٢٠٧، ونشوة الطرب ١/ ٤١٥ ـ ٤٧١.

(٥) انظر: ابن سعد ١/ ١/ ٢٨، ونسب قريش ٨، والطبري ١/ ١١٠٦ ـ ١١٠٧، وجمهرة ابن حزم ١١، والسيرة لابن هشام ١/ ٩٥ .

(٦) انظر: عن هذيل: نشوة الطرب ١/ ٤٠٨ ـ ٤١٢.

(٧) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلاً =

ذؤيب الهذلي[١] الشاعر، وغيره.

ثم ولد لخزيمة المذكور كنانة على عمود النسب[٢]، وولد له خارجاً عن العمود الهون، وأسد ابنا خزيمة. فمن الهون عضل، وهي قبيلةُ أبوهم عضل بن الهون بن خزيمة، ومنه أيضاً الديش بن الهون، وهو أخو عضل. ويقال لهاتين القبيلتين، وهما عضل وديش: القارة[٣]. وأمّا أسد بن خزيمة فمنه الكاهلية ودُودان وغيرهما. وإليه يرجع كل أسديّ.

= وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء مليء علماً. وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها سنة ٣٢هـ/ ٦٥٣م عن نحو ستين عاماً. وكان قصيراً جداً، يكاد الجلوس يوارونه. وكان يحب الإكثار من التطيب، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له ٨٤٨ حديثاً. وأورد الجاحظ (في البيان والتبيين) خطبة له ومختارات من كلامه.

ترجمته في:

الإصابة. ت ٤٩٥٥ وغاية النهاية ١/ ٤٥٨ والبدء والتاريخ ٥/ ٩٧ وصفة الصفوة ١/ ١٥٤ وحلية الأولياء ١/ ١٢٤ وفيه بعض خطبه. وتاريخ الخميس ٢/ ٢٥٧ والبيان والتبيين. تحقيق هارون. ٢/ ٥٦ وانظر فهرسته. وفي المحبر ١٦١ أن عبد الله بن مسعود كان أحد الذين بعثهم النبي ﷺ للرد على «المقتسمين» وكان مع كل رجل من المشركين رجل من المسلمين. يكذب المشركين بما يقولون. الأعلام ٤/ ١٣٧.

(١) أبو ذُؤيب الهُذلي: خويلد بن خالد بن محرِّث، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. سكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرىٰ الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها نحو سنة ٢٧هـ/ نحو ٦٤٨م. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها:

«أمِن المنون وريبه تتوجع»

قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على رسول النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. له «ديوان أبي ذؤيب ـ ط» الجزء الأول منه.

ترجمته في: شواهد المغني للسيوطي ١٠ والأغاني ٦/ ٥٦ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٦٥ والآمدي ١١٩ والتبريزي ٢/ ١٤٣ والشعر والشعراء ٢٥٢ وخزانة البغدادي ١/ ٢٠٣ وفيه: هلك أبو ذؤيب في زمن عثمان في طريق مصر ودفنه ابن الزبير، وقيل مات في طريق إفريقية. وفي الخزانة أيضاً ٢/ ٣٢٠ ثم ٣/ ٥٩٧ و٦٤٧ بعض أخباره. وفي الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥ قتل أبو ذؤيب بإفريقيا ودفن هناك، الأعلام ٢/ ٣٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) انظر: ابن سعد ١/ ١/ ٢٨، ونسب قريش ٨ ـ ٩، وجمهرة ابن حزم ١١، والطبري ١/ ١١٠٦ والسيرة لابن هشام ١/ ٩٥.

(٣) هناك اختلاف في ولد الهون ومن هي القارة، وما نقله العمري موافقٌ لما في فصل المقال ١٧٢.

=

ثم ولد لكنانة المذكور النضر بن كنانة على عمود النسب[(١)]، وكان للنضر عدّةُ إخوة ليسوا على العمود[(٢)]، وهم ملكان، وعبدُ مناة، وعمرو، وعامر، ومالك، أولاد كنانة. فصار من ملكان بنو ملكان، وصار من عبد مناة عدّة بطونٍ، وهم بنو غفار ـ رهط أبي ذر، وبنو بكر، ومن بني بكر الدُّئِل ـ رهط أبي الأسود الدُّئليّ. ومن بطون عبد مناة بنو ليث، وبنو الحارث، وبنو مدلج، وبنو ضمرة. وصار من عمرو بن كنانة العمريون، ومن أخيه عامر العامريون. ومن مالك بن كنانة بنو فراس. ومن بطون كنانة الأحابيش، وليسوا من الحبشة، بل هم من عرب كنانة، فهؤلاء إخوة النضر، وولدهم. وأمّا النضر فقيل: إنّه قريش[(٣)]، والصحيح أن قريشاً هم بنو فهر.

وولد للنضر مالك على عمود النسب، والصلت، ويخلد[(٤)].

وولد لمالك فهر على عمود النسب[(٥)]، وفهر هو قريش، وكل من كان من ولد فهر فهو قرشي، وسمي قريشاً لشدّته تشبيهاً له بدابةٍ من دواب البحر يقال لها القرش. وقيل: إنّ قصياً لما استوى على البيت وجمع أشتات بني فهر حول الحرم سموا قريشاً؛ لأنه قرشهم أي جمعهم، كذا نقل ابن سعيد المغربي[(٦)]. فعلى هذا تكون لفظة قريش اسماً لبني فهر لاأله. ولم يولد لمالك /١٢٧/ غير فهرٍ على عمود النسب.

وولد لفهر غالب على عمود النسب[(٧)]. وولد له خارجاً عن العمود ولدان:

= وفي نسب قريش: فأمّا الهون بن خزيمة فهم عضل، وديش، والقارة بنو ييثع بن الهون؛ وفي العقد الفريد: الهون منهم القارة، وهم عائذة وييثع بنو الهون، وفي جمهرة ابن حزم: والديش، وهم القارة. وقارن أيضاً بنشوة الطرب ١/ ٤٠٦.

(١) انظر: ابن هشام ١/٩٥ ـ ٩٧، وأنساب الأشراف ١/ ٣٧ ـ ٣٨، ونسب قريش ١٠، والطبري ١/ ١١٠٥ ـ ١١٠٦.

(٢) انظر: عن ولد كنانة وبطونها نسب قريش ١٠، والعقد الفريد ٣/ ٣٣٩ ، ٣٤٠، وجمهرة ابن حزم ١١، ١٨٠ ـ ١٨٩، ٤٦٥، وجمهرة النسب ١/ ٧٨.

(٣) هذا رأي ابن هشام ١/ ٩٦، وابن حزم (جمهرة ٤٦٥)، وابن عبد ربّه (العقد الفريد ٣/ ٣٣٩)، وابن سعيد (نشوة الطرب ١/ ٣٢٢)، والحازمي ١٠٣، وابن دريد ٢٧. ويذهب ابن الكلبي، ومصعب الزبيري إلى أن فهراً هو قريش (قارن بجمهرة النسب ١/ ٨٥، والطبري ١/ ١١٠٢، ونسب قريش ١٢).

(٤) انظر: ابن هشام ١/ ٩٧، وأنساب الأشراف ١/ ٣٨، ونسب قريش ١١ ـ ١٢، والطبري ١/ ١١٠٣ ـ ١١٠٥.

(٥) انظر: ابن هشام ١/ ٩٨، وأنساب الأشراف ١/ ٣٩، ونسب قريش ١٢، والطبري ١/ ١١٠٢ ـ ١١٠٣.

(٦) نشوة الطرب ٣٢٢ ـ ٣٢٣. انظر عن معنى قريش الطبري ١/ ١١٠٣ ـ ١١٠٥.

(٧) انظر: عن ولد فهر وبطونهم: ابن هشام ١/ ٩٨، وأنساب الأشراف ١/ ٣٩ ـ ٤٠، ونسب قريش =

محارب، والحارث. فمن محارب بنو محارب ـ وهم شيبان، ومن الحارث بنو الخلج. ومنهم أبو عبيدة بن الجراح[(١)]، أحد العشرة ـ رضي الله عنهم.

ثم ولد لغالب لؤي على عمود النسب[(٢)]، وولد له خارجاً عن العمود تيم الأدرم ـ والأدرم الناقص الذقن[(٣)]. ومن تيم بنو الأدرم. وكان لؤيّ سيد قومه، فاق شجاعة، وكرماً، وحلماً، وخطابةً، وكان ذا مالٍ وإبلٍ كثيرةٍ. وحكي أنّه ندَّ له بعير فخرج يردّه فاستصعب، فتناول حجراً، فضربه به في جبهته فأنفذه من الجانب الآخر، فعجب لذلك، ثم أخذ الحجر فوجده حديداً أخضر فأتى به قيناً من يهود، فقال له: اطبع هذا سيوفاً. ثم أتاه يتقاضاه نجازها، وكانت قد نجزت، فأخذ القين سيفاً منها وهزّه بيده ثم قال: [من الطويل]

سيوفٌ حِدادٌ يا لُؤَيّ بن غالبٍ حِدادٌ ولكنْ أين بالسيف ضارب

فتناوله لؤي بيده وضرب به عنقه.

ثم ولد للؤي أولاد[(٤)]: كعب على عمود النسب، وإخوته خارجون عن العمود، وهم: سعد، وخزيمة، والحارث، وجُشم، وعوف، وعمرو، وعامر، وسامة أولاد لؤي بن غالب. ولكل منهم ولد ينتسبون إليه خلا الحارث. ومن ولد عامر[(٥)] بن لؤي عمرو بن عبدود، فارس العرب، قتله علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.

ثم ولد لكعب مُرَّة على عمود النسب[(٦)]، وولد له خارجاً عن العمود هصيص[(٧)]،

= ١٢ ـ ١٣، والطبري ١/ ١١٠٢، وابن حزم ١٧٨، ١٧٢، والعقد الفريد ٣/ ٣١٩، وجمهرة النسب ١/ ٨٠ ـ ٨١.

(١) انظر عنه: طبقات ابن سعد ٣/ ١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٤، والاستيعاب ٤/ ٢٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١/ رقم٥.

(٢) ابن هشام ١/ ٩٨، وأنساب الأشراف ١/ ٤٠ ـ ٤١، ونسب قريش ١٣، والطبري ١/ ١١٠١ ـ ١١٠٢، وجمهرة ابن حزم ١٢.

(٣) انظر: أنساب الأشراف ١/ ٤٠. ولابن دريد رأي آخر في معنى هذا اللقب (الاشتقاق ١٠٦، ٢٣٤).

(٤) انظر: ابن هشام ١/ ٩٩ ـ ١٠٦، وأنساب الأشراف ١/ ٤١ ـ ٤٧، ونسب قريش ١٣، والطبري ١/ ١١٠٠ ـ ١١٠١، وجمهرة ابن حزم ١٢ ـ ١٣.

(٥) ومن ولد عامر... إلى آخر الفقرة؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ عن طريق أبي الفداء ١/ ١٠٨.

(٦) انظر: ابن هشام ١/ ١٠٨، وأنساب الأشراف ١/ ٤٨، ونسب قريش ١٣، والطبري ١/ ١١٠٠، وجمهرة ابن حزم ١٣.

(٧) فمن هصيص... إلى آخر الفقرة؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٣ عن طريق =

وعدي ابنا كعب. فمن هصيص بنو جمح. ومن مشاهيرهم أُمَيَّةُ بن خلف، عدوّ النبي ﷺ. وأخوه أُبَيّ بن خلفٍ، وكان مثله في العداوة. ومن هصيص أيضاً بنو سهم. ومن بني سهم عمرو بن العاص السهمي. ومن عديّ بن كعب بنو عدي، ومنهم عمر بن الخطاب /١٢٨/، وسعيد بن زيد من العشرة[(١)] ـ رضي الله عنهم.

ثم ولد لمُرة على عمود النسب ابنه كلاب[(٢)]، وولد له خارجاً عن العمود تيم، ويقظة. فمن تيم[(٣)] بنو تيم، ومنهم أبو بكر الصدّيق، وطلحة من العشرة ـ رضي الله عنهم. ومن يقظة بنو مخزوم. منهم خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه، وأبو جهل بن هشام، واسمه عمرو المخزومي.

ثم ولد لكلاب قصيٌّ على عمود النسب[(٤)]، وولد له خارجاً عن العمود زهرة، ومنه بنو زهرة، ومن بني زهرة سعد بن أبي وقاص أحد العشرة، ونسب آمنة أمّ رسول الله ﷺ، ونسبُ عبد الرحمان بن عوف[(٥)] ـ رضي الله عنهم. وقصي كان عظيماً في قريش، وهو الذي استعاد سدانة البيت من خُزاعة، وجمع قُرَيشاً، وأثّل مجدهم. وجاء الإسلام وهو على ذلك في التعظيم لشأنه، وكانوا لايبرمون أمراً إلاّ بدار الندوة؛ لأنها كانت داره. وبه اجتمعت قبائل قريش في الحرم. وفي ذلك يقول الشاعر[(٦)]: [من الطويل]

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدعَى مُجمِّعاً ... به جَمَّعَ الله القبائلَ من فِهْرِ

ثم ولد لقصي عبد منافٍ، واسمه المُغِيرة، على عمود النسب[(٧)]. وولد له خارجاً

= أبي الفداء ١/١٠٨.

(١) انظر عنه: طبقات ابن سعد ٣/ ١/ ٢٧٥، والاستيعاب ٢/ ١١٨٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: ابن هشام ١/١٠٨ ـ ١٠٩، وأنساب الأشراف ١/ ٤٧، ونسب قريش ١٣ ـ ١٤، والعقد الفريد ٣/٣١٧ ـ ٣١٨، والطبري ١/ ١١٠٠، وجمهرة ابن حزم ١٣ .

(٣) فمن تيم... إلى آخر الفقرة؛ مأخوذ عن نشوة الطرب ١/ ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٠ عن طريق أبي الفداء ١/١٠٨.

(٤) انظر: ابن سعد ١/٣٦ ـ ٤٣، وابن هشام ١/١٠٩ ـ ١١٠، وأنساب الأشراف ١/٤٧ ـ ٥٢، ونسب قريش ١٤، والطبري ١/ ١٠٩٢ ـ ١١٠٠، وجمهرة ابن حزم ١٤، ونشوة الطرب ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥.

(٥) انظر: نشوة الطرب ١/٣٦٦، والعقد الفريد ٣/ ٣١٩، وجمهرة ابن حزم ١٢٨ ـ ١٣٥.

(٦) تختلف المصادر في نسبة هذا البيت إلى حذافة بن غانم العدوي (ابن سعد ١/ ٤٠، وأنساب الأشراف ١/ ٥٠)، أو مطرود بن كعب الخزاعي (الطبري ١/ ١٠٩٥). وانظر أيضاً: نشوة الطرب ١/ ٣٢٣.

(٧) انظر: ابن سعد ١/ ٤٢ ـ ٤٣، وابن هشام ١/ ١١٠ ـ ١١١، وأنساب الأشراف ١/ ٥٢ ـ ٦١؛ =

عن العمود عبدُ الدار، وعبدُ العُزّى ابنا قصيّ. فمن بني عبد الدار بنو شيبة الحجبة[١]، ومن ولد عبد الدار النضر بن الحارث، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وقتله رسول الله ﷺ يوم بدرٍ صبراً[٢]. ومن بني عبد العُزّى خديجة بنتُ خويلد، زوجُ النبيّ ﷺ. ومن بني عبد العزى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى[٣]. ولبني عبد منافٍ في قريشٍ النسبُ الصميم، والحسبُ الكريمُ، وإلى هذا أشار أبو طالب عمُّ النبيِّ ﷺ بقوله[٤]: [من الطويل]

إذا افتخرتْ يوماً قُرَيْشٌ بِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنَافٍ أصلُها وصَميمُها

/ ١٢٩/ وولد عبد مناف أربعة أبناء[٥]، وهم نوفل، وعبدُ شمس، والمطلب، وهاشمٌ ويقال[٦]: إن عبد شمس، وهاشماً ولدا لبطن، وجلداهما معتلقان، فلما فرقا سال بينهما الدم قالوا: إنه سيكون بينهما، وهكذا كان، وقد تظارف من قال[٧]: [من الخفيف]

عبدُ شَمْسٍ قد اوقدتْ لبني ها شمَ ناراً يشيبُ منها الوليدُ
فابنُ حَرْبٍ للمصطفى وابنُ هندٍ لعليٍّ وللحسينِ يزيدُ

وكان عبد شمسٍ ونوفل متآلفين بينهما، منافرين لهاشم والمطلب، وكذلك كان هاشم والمطلب متآلفين بينهما منافرين لنوفل وعبد شمس مذْ كانوا، ولم يفترق هاشمُ والمطلبُ في جاهلية ولاإسلامٍ، وإلى هذا أشار النبيُّ ﷺ بقوله[٨]، ولهذا حرمت الصدقة على بني هاشمٍ مع بني المطلب ولم تحرم على نوفل وعبد شمس، وكلهم لأبٍ.

= ونسب قريش ١٤، والطبري ١/ ١٠٩١، وجمهرة ابن حزم ١٤، ونشوة الطرب ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(١) انظر: نشوة الطرب ١/ ٣٤٩، وابن هشام ١/ ١٣٦ ـ ١٤٠، وأنساب الأشراف ١/ ٥٣؛ وجمهرة ابن حزم ١٢٧.

(٢) انظر: نشوة الطرب ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، وابن هشام ١/ ١٣٦ ـ ١٤٠، وأنساب الأشراف ١/ ٥٣؛ وجمهرة ابن حزم ١٢٧.

(٣) انظر: نشوة الطرب ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، والعقد الفريد ٣/ ٣١٧.

(٤) ديوانه ١٢٦.

(٥) انظر: ابن سعد ١/ ٤٢ ـ ٤٣، وابن هشام ١/ ١١١، وأنساب الأشراف ١/ ٦١ ـ ٦٣، والطبري ١/ ١٠٩١ ـ ١٠٩٢، ونسب قريش ١٤ ـ ١٥، ونشوة الطرب ١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٦) انظر: القصة في: النزاع والتخاصم للمقريزي ١٨، ونشوة الطرب ١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٧) انظر: الأبيات في النزاع والتخاصم للمقريزي ٣٣ ـ ٣٤.

(٨) إشارة إلى قول النبي: «إنهم ـ أي بنو المطلب ـ لم يفارقوني في جاهليةٍ ولا إسلامٍ وإنما هم بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحدٌ ـ ثم شبك بين أصابعه» (مسند أحمد ٤/ ٨١).

فأمّا عبد شمسٍ[١] فهو أبو أمية المنسوبُ إليه كلُّ أُمَويٍّ، ومنه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ومنه معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، ومنه مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية. وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ ذكر معاوية، ومروان وأبنائهما فيما بعد لمكانهما، هما وأولادهما من الخلافة في موضعه. ومن ولد المطلب الإمامُ الشافعيّ محمّد بن إدريس بن العبّاس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب.

وأمّا الابنُ الرابعُ من بني عبد منافٍ، الذي علا قدره بأبنائه، فهو هاشمُ، وعليه عمود النسب[٢]، فإليه انتهت سيادةُ قومه، وكانتْ إليه الرفادة والسقاية[٣]. وكان رجلاً موسراً، وكان إذا حضر الحج قام في قريشٍ فقال[٤]: يامعشر قريش! إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وإنّه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله، وحجاج / ١٣٠/ بيته وهم ضيوفُ الله، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لابدّ لهم من الإقامة بها. فوالله لو كان مالي يسع ذلك ماكلّفتكموه، فتخرجون لذلك خرجاً من أموالكم، كلُّ امرئٍ بقدر ماعنده، فيصنع به للحاجّ طعاماً حتى يصدروا منها. وكان هاشمٌ أولَ من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد بمكة. وإنما كان اسمه عمراً فسمّي هاشماً لهشمه الثريد بمكّة، فقال بعض العرب[٥]: [من الكامل]

فعمرو الذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ   قوم بمكّة مُسنتينَ عِجافُ
كانتْ إليهِ الرحلتانِ كلاهما   سَفَرُ الشتاءِ ورحلةُ المُصطاف

وقبرُ هاشم بغزّة من الشام. ولد ولدين[٦]، أحدُهما أَسَد، أبو فاطمةَ أمّ أمير

---

(١) انظر: المعارف ٧٢ ـ ٧٣، والعقد الفريد ٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧، وجمهرة ابن حزم ٧٨ ـ ٨٩.
(٢) انظر: ابن سعد ١/ ٤٣ ـ ٤٧، وأنساب الأشراف ١/ ٦٣، ونسب قريش ١٤، والطبري ١/ ١٠٨٨ ـ ١٠٩١، وجمهرة ابن حزم ١٤، ونشوة الطرب ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠.
(٣) الرواية في النزاع والتخاصم للمقريزي ١٨ ـ ١٩.
(٤) الرواية في ابن سعد ١/ ٤٥، وقلائد الجمان ١٥٣.
(٥) نسب ابن سعد ١/ ٤٣ البيتين إلى عبد الله بن الزِبَعْرَى، وفي الطبري ١/ ١٠٨٨ أنهما لمطرود بن كعب الخزاعي. وذكر ابن الكلبي البيت الأول دون نسبة (جمهرة النسب ١/ ٩١ ـ ٩٢).
(٦) في ابن سعد ١/ ٤٦ (عن ابن الكلبي): وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة، وانظر أيضاً: بنسب قريش ١٥ ـ ١٦، وجمهرة ابن حزم ١٤.

المؤمنين عليّ ـ عليه السلام، وعبد المطلب، وعليه عمود النسب[١]، وهو الذي حفر بئر زمزم لرؤيا رآها ـ وكانت قد تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع، وأذهبت العظم، فرأت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم في منامها هاتفاً يقول[٢]: يامعشر قريش! إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه فحي هلا بالخصب! فانظروا رجلاً منكم وسيطاً ـ ووصف صفة عبد المطلب ـ فليخلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطنٍ رجل فليشنوا من الماء، وليمسوا من الطيب، واستلموا الركن، ثم ارتقوا أبا قبيس، وليستسق الرجلُ، وليؤمن القوم، فغثتم ماشئتم! فأصحبت رقيقة مذعوراً وقصت رؤياها فقيل: هو شيبة الحمد، عبد المطلب. ففعل، ومعه رسول الله ﷺ وهو غلامُ قد أيفع أو كرب. قال: اللهم ساد الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلم غير معلم، ومسئول غير مبخل، وهذه عِبدَّاؤك وإماؤك بعذرات حرمك، يشكون إليك سنتهم، أذهبت الخف / ١٣١/ والظلف. اللهم فأمطر غيثاً مغدقاً ضريعاً. قالت رقيقة: فورب الكعبة! ماراحوا حتى تفجّرت السماء بمائها، واكتظ الوادي بثجيجه، فسمعتُ سادات قريشٍ يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء. وقال رقيقة[٣]: [من البسيط]

بشَيْبَةِ الحَمدِ أَسقَى اللهُ بلْدَتَنا ... لمّا فقدْنا الحَيَا واجلَوَّذَ المَطَرُ
فجاد بالماءِ جَوْنيٌّ له سَبَلٌ ... سَحّاً فعاشتْ به الأنعامُ والشجرُ
مُباركُ الأمْر يُسْتَسْقَى الغمامُ به ... مافي الأنامِ له عِدْلٌ ولاخَطَرُ

وولد عبد المطلب عشرة أولاد[٤]، الذين أعقب منهم ستة[٥]: حمزة، والعباسُ

(١) انظر: ابن سعد ١/ ٤٨ ـ ٥٧، وأنساب الأشراف ١/ ٦٤ ـ ٧٩، والطبري ١/ ١٠٨٢ ـ ١٠٨٨، وجمهرة ابن حزم ١٤ ـ ١٥، ونشوة الطرب ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣. والكامل في التاريخ ١/ ١٠ وما بعدها.

(٢) الرواية في منال الطالب في شرح طوال الغرائب ٢٥٨ ـ ٢٥٩، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥، وابن سعد ١/ ٥٤ (عن ابن الكلبي).

(٣) انظر: ابن سعد ١/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) هذه رواية السيرة لابن هشام ١/ ١١٣، ورواية ابن قتيبة في المعارف ٧٢ وانظر (وقارن أيضاً: بنشوة الطرب ١/ ٣٣٣) بينما يذكر الزبيري في نسب قريش ١٧ ـ ١٨ أولاداً آخرين (وانظر أيضاً: أنساب الأشراف ١/ ٨٧ ـ ٨٩، وجمهرة ابن حزم ١٤ ـ ١٥، ونشوة الطرب ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤). ويبدو أن الرواية هذه ترجع إلى قصة نذر عبد المطلب لأحد أولاده إن رزق بعشرة نفر (ابن سعد ١/ ٥٣، والطبري ١/ ١٠٧٤ ـ ١٠٧٥).

(٥) يقول صاحب الجمهرة (ص١٥): ولم يعقب أحدٌ منهم عقباً باقياً إلاّ أربعة؛ العباس، وأبو =

رضي الله عنهما، وأبو طالبٍ، وأبو لهبٍ، والحارثُ، وعبد الله. فأمّا حمزةُ فانقرض عقبه. وأمّا العباسُ ـ رضي الله عنه ـ فكانت إليه السقايةُ والرفادة بعد أبيه عبد المطلب. وفي سقيا الحجيج، والفخر بزمزم يقول القائل[1].: [من الهزج]

ورِثْنا المجد من آبا ئِنا فسَما بنا صُعُدا
ألم نَسْقِ الحجيجَ ونـ حَرَ الدلاَّفةَ الرُّفدا
فإنْ نَهْلِكْ ولم نُمْلَكْ ومَنْ ذا خالدٌ خَلَدا
فزَمْزَم في أرُومَتِنا ونفقأُ عينَ مَنْ حَسَدا

وهو أبو الخلفاء ـ قدس الله أرواحهم ـ وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى في مكانه. وأمّا أبو لهب، والحارثُ فلهما عَقِبٌ باقٍ. وأمّا أبو طالبٍ فقد كثّر الله ببركات البضعة الطاهرة النبوية أبناءه، ووصل نسَبَه وحَسَبَهُ.

وكان عمر رضي الله عنه ـ خَطَبَ أمّ كلثوم إلى عليٍ[2] ـ رضي الله عنه ـ فقال علي: إنها صغيرة!

فقال عمر: زوجنيها ياأبا الحسن! فإني أرصدُ من كرامتها مالايرصده أحد!

فقال له علي: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها! فبعثها إليه ببردٍ، وقال لها: قولي له: هذا البُرْد الذي قلت لك! فقالت ذلك لعُمر.

فقال: قولي له: قد رضيتُهُ! رضي الله عنكِ! ووضع يدهُ على ساقِها فكشفها / ١٣٢/ فقالتْ له: أتفعلُ هذا! لولا أنّك أميرُ المؤمنين لكسرتُ أنفكَ! ثم خرجت حتى جاءت أباها وأخبرتهُ الخبرَ وقالتْ: بعثني إلى شيخٍ سوء!

فقال: مهلاً يابنيَّة فإنّه زوجُكِ!

فجاء عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى مجلس المهاجرون في الروضة كان يجلس فيه المهاجرون الأوّلون، فجلس إليهم وقال: رَفِّئوني!

= طالب، والحارث، وأبو لهب..

(١) نسب ابن هشام في السيرة ١/ ١٥٨، هذه الأبيات إلى مسافر بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

(٢) الرواية في الاستيعاب ٤/ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥، والروضة الفيحاء في تواريخ النساء ١٦٣ ـ ١٦٤ وغيرها.
للتفصيل في هذا الموضوع، يراجع:
بحث (تزويج أم كلثوم بنت علي..) مجلة تراثنا (مؤسسة آل البيت ـ بيروت)، العدد ١و٢/ السنة ٨/ ١٤١٣هـ/ ص٣٧٨ـ ٤٣٣ .

فقالوا: بماذا ياأميرَ المؤمنين؟

فقال: تزوَّجتُ أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب! سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: كل نسبٍ وسببٍ وصهرٍ منقطعٌ يوم القيامة إلاّ نسبي وسببي وصهري.

فكان لي بهﷺ النسب والسبب، وأردتُ أن أجمع إليه الصهر فرفؤوه.

وولد أبو طالب أبناء ثلاثة[١]، وهم: عقيل، وجعفر الطيّار، وأمير المؤمنين وابن عمّ سيدّ المرسلين الواجب الحبّ أبو الحسن عليّ ـ عليه وعليهما السلام ـ ولكلٍّ من عقيل وجعفر وعليٍّ أبناء. وسنذكر المشاهير من أبناء عليّ ـ رضي الله عنه ـ إن شاء الله، فعليهم عمود النسب المتّصل بالنبيّ ﷺ.

وأمّا عبد الله فعليه عمود نسب النبيّ ـ هو أبو سيّدنا، ونبيّنا، وشفيعنا محمّد خاتم الأنبياء ـ ﷺ. انتهى الكلام على طوائف العرب البائدة، والعاربة، والمُسْتَعْرِبة بتوفيق الله تعالى سبحانه.

وأما طوائف العرب الموجودين في زمانا فهم:

عرب الشام

ثعلبة الشام [مما] يلي مصر إلى الخروبة، وَهْم من درما آل غياث الجواهرة، ومن الحنابلة، ومن بني وهم من الصبيحيين. ومن أحلافهم فرقة من النعيميين ومن العار والجمان.

ثم جرم[٢] وهي بلاد غزة والداروم، ممّا يلي الساحل إلى الجبل، وبلد الخليل ـ عليه السلام. وفي العروب جروم كثيرة[٣]: جرم قضاعة[٤]، ومنهم بنو جشم[٥]، وبنو قدامة، وبنو عوف /١٣٣/، وجرم بجيلة، وجرم عاملة، وجرم طيىء ـ ومنها هؤلاء الذين نحن في ذكرهم.

---

(١) هم بنو ثعلبة بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيىء من القحطانية. وثعلبة الشام بطنان هما: دَرما وزُرَيق، انحدرت منهما أفخاذ كثيرة يعدّ لنا العمريّ بعضها. قارن عن ثعلبة وبطونها وأفخاذها: صبح الأعشى ١/ ٣٢٢، ٤/ ٢١٢، وقلائد الجمان ٨٥ ـ ٨٦، ونهاية الأرب ١٩٤ ـ ١٩٥، والبيان والإعراب ٣ ـ ٤.

(٢) أخذ هذا النص إلى آخر الفقرة حيث يقول (وأما بنو صخر) القلقشندي في صبح الأعشى ٤/ ٢١١ انظر: صبح الأعشى ١/ ٣٢٢، ٤/ ٢١١، ونهاية الأرب ٢٠٩ ـ ٢١٠، والبيان والإعراب ٤ ـ ٧.

(٣) انظر: مختلف القبائل ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) نظر: جمهرة ابن حزم ٤٥١، و. wustenfeld 2\16

(٥) هم غير معروفين عند النسابة. قال القلقشندي (نهاية الأرب ٢١٤): ذكرهم الحمدانّي لم يرفع في نسبهم.

قال الحمدانيّ: واسمه ثعلبة[١]، واسمُ أمّه جرم، فحضنته فسمي بها، وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيىء، وهم شمجى، وقمران، وحيان قال: وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام يداً مع الإفرنج على المسلمين، فلمّا فتح السلطان صلاح الدين البلاد جاءت ثعلبة وطائفة من جرم مصر، وبقيت بقايا جرم مكانها. قال: والمشهور من جرم هذه الآن جذيمة. ويقال: إن لهم نسباً في قريش. وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم. وقال آخرون: بل من جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر[٢]. قال: وجذيمة هذه آل عوسجة، وآل أحمد، وآل محمود، وكلُّهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بنيه. وكان لسنان أخوان فيهما سُؤدد، وهما غانم وخضر. ومن هؤلاء جذمة جمائع الرائدين، جماعة منصور بن جابر، وجماعة عامر بن سلامة.

ومنهم بنو أسلم. قال: وهذه أسلم من جذام لا من جذيمة، لكنّها اختلطت مع جذيمة.

ومنهم شبل ورضيعة جرم، ونيفور والقدرة، جماعة عليم بن رميح، والأحامدة، والرفثة وكور من رجم، جماعة جابر بن سعيد وموقع، وكان كبيرهم مالك الموقعيّ، وكان مقدماً عند السلطان صلاح الدين وأخيه العادل.

ومنهم بنو عوف، قال: ويقال: إنهم من جرم بن جرمز من سنبس[٣]، ومن هؤلاء العاجلة، والضمان، والعبادلة، وبنو تمام، وبنو جميل. ومن بني جميل بنو مقدام. ومن بني عوف أيضاً آل نادر، وبنو غورث، وبنو بهيّ، وبنو خولة، وبنو هرماس، وبنو عيسى، وبنو سهيل، وارضُهم الداروم. وكانوا سفراء بين الملوك. وجاورهم قوم من زبيد تعرف ببني فهيد، ثم اختلطوا بهم.

قال الحمدانيّ: فهذه جرم الشام / ١٣٤/ وحلفاؤهم ومن جاورهم ولاذ بهم. وبنو جابر بدرمى من غزة، وتُعرف بالحريث، جماعة فهد بن بدران.

وأمّا بنو صخر[٤] وهم الدعيجيون، والعطويون، والصويتيون، وبلادهم ماحول الكرك ـ ومنهم طائفة بمصر. وبنو خصيب، وهم أشتات بمصر والشام. وبنو هوبر،

---

(١) انظر: جمهرة ابن حزم ٤٠٠، ٤٠٣.
(٢) نظر: جمهرة ابن حزم ١٧٠.
(٣) انظر: جمهرة ابن حزم ٤٠٢.
(٤) هنا يبدأ العمريّ بعدّ بطون جذام (جمهرة ابن حزام ٤٢٠ ـ ٤٢١، Wustenfeld 5\14) بالشام. قال صاحب القلائد: جذام الموجودون الآن أحد وعشرون بطناً، ويعدّها فيما بعد (ص٥٧ ـ ٦٨).

ووفدت منهم طائفة على المعز أيبك بمصر، وبقيتهم بالشام. وبنو مُرة خفراء القدس. وبنو فيض. وبنو شجاع بالقدس أيضاً، والعناترة ببلد الخليل ـ عليه السلام، وبنو أيّوب بجينين. وبنو نمير بن قيس خفراء غور الكفرين ونمرين. وبنو وهران بجبل عوف. وبنو عمرو عرب الصلت، ومرجعها إلى جذام. بنو طريف من جذام، ومنهم مسهر، وعجرمة ومهدي.

وبنو مهدي[١] منهم المشاطبة، ومنهم أولاد ابن عسكر. ومن الأدعياء جماعة نعيم. ومن بني مهدي أيضاً العناترة، جماعة أولاد راشد، والسرات، واليعاقبة، والمطارنة، والعفير، والرويم، والقطاربة، وأولاد الطابية، وبنو دوس، وآل سيار، والمخابرة، والسماعة، والعجارمة من بني طريف، وكان شيخهم مسعود بن جرير ذا مكانةٍ عند ولاة الأمور. وبنو خالد والسلمان، والفرانسيّة، والدرالات، والحمالات، والمساهرة، والمغاورة، وبنو عطا، وبنو مياد، وآل شبل، وآل رويم، وهم غير الرويم (المتقدم ذكرهم) والمحارقة، وبنو غياض، وهؤلاء ديارهم البلقاء إلى باير إلى الصوان إلى علم أعفر. وهؤلاء بالبلقاء طائفة من حارثة، ولهم نسب بقرى بني عقبة.

ومن بني مهدي أيضاً بنو داود، وجماعة فضل بن عليم من المشاطبة، وجماعة زائد بن بشير من العناترة، وجماعة قرسة بن حربان من السماعة وجماعة غضبان بن عمرو بن جرير من العجابرة، وجماعة سلمان العبادي من بني عباد، وجماعة / ١٣٥/ عساكر بن حياش ـ وهؤلاء ديارهم حول الكرك. وبنو جوشن خفراء المُوجب. وبنو بعجة من هلبا خفراء الزويرة. وبنو عجرمة خفراء الرقطانة، والحسبة من بني عقبة ـ وعقبة من جذام[٢]، وديارهم من الشوبك إلى حسمى إلى تبوك إلى تيماء إلى برد ورؤاف[٣] إلى الحديدا وهو شرقي الحجر. وآخر أمرائهم كان شطّيّ بن عبية، وكان سلطاننا الملك الناصر قد أقبل عليه إقبالاً أحله فوق السماكين، وألحقه بأمراء آل فَضْل وآل مرا، واقطعه الإقطاعات الجليلة، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحباء، وعمر له ولأهله البيت والخباء.

وبنو زهير عرب الشوبك ايضاً. والحريث ـ وهم بالساحل الغزّاوي وغزوا عسقلان أيام الملك الصالح مع بيبرس الكنجي، فأقطعهم هناك.

وبنو سعيد عرب صرخد ـ وهم من سعد جذام[٤].

---

(١) هذا النص في الصبح ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣، وانظر أيضاً: القلائد ٦٦.

(٢) هذا النص في القلائد ٦٥.

(٣) ياقوت ١/ ٥٥٥.

(٤) هنا تنتهي بطون جذام.

وزبيد[١] فرق شتى بصرخد منهم، وبغوطة دمشق، وببلاد سنجار، وبالحجاز، وباليمن. والذين بصرخد منهم آل مياس، وآل صيفي، وآل برة، وآل محسن، وآل جحش، وآل رجاء. وبغوطة دمشق آل رحال، وآل بدال، والدوس، والحريث ـ وهم جماعة نوفل الزبيدي.

وأما آل ربيعة ـ وهم ملوك البر، وأمراء الشام والعراق والحجاز. فهم آل فضل، وآل مرا. وآل علي من آل فضل.

قال الحمداني[٢]: وربيعة رجل من سلسلة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نور الدين ـ رحمهما الله ـ ونبغ بين العرب. قال: ويقال، إنّ أباه رجل من علقى. قال: وتقول بنو ربيعة الآن: إنّه من ولد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك. قال: وهذا ليس بصحيح.

قلت: وأصلهم إذا نسبوا إليه أشرف لهم؛ لأنهم من سلسلة بن عنين بن سلامان، من طيىء. وهم كرام العرب، وأهل الباس، والنجدة فيهم. والبرامكة، /١٣٦/ وإن كانوا قوماً كراماً فإنهم قوم عجم، وشتان بين العجم والعرب! وقد شرف الله العرب إذ بعث فيهم محمداً ﷺ نبيه، وأنزل فيهم كتابه، وجعل فيهم الخلافة والملك، وابتزّ بهم ملك فارس والروم، وقرع بأسنتهم تاج كسرى وقيصر. وكفى بهذا شرفاً لايطاول، وفخراً لايقاول.

قال المهمندار الحمداني: وزعموا أنهم من ولد جعفر من أخت الرشيد التي عقد له عليها ـ كما قالوا ـ لتخرج عليه على أنه لايطؤها، فوطئها على حين غرة، فحبلت بغلام كان هذا ربيعة من بنيه. قال: وهذا الخبر ليس بصحيح! وإن كان صحيحاً فقد دفنت المرأة وولدها كما قيل في تمام الحكاية، ولم يعلم لهما أثر. قالوا: وكانت نكبة البرامكة بهذا السبب، ومما يدل على بطلان هذه الدعوى مانقل من ثقات أن مسروراً الخادم سئل عن سبب الإيقاع بالبرامكة فقال: كأنك تظن حديث المرأة صحيح؟ وأنّ الإيقاع بهم كان بسببه! فقلتُ: نعم! فقال: مالهذا الخبر صحة، وإنما حسد موالينا

---

(١) انظر النص في: الصبح ٤/ ٢١٤. وزبيد هم بنو زُبيد بن سعد العشيرة من مذحج (جمهرة ابن حزم ٤١١، Wustenfeld 7\14). قال الحازمي (عجالة المتبدي ٦٨): «وأكثرهم بالشام». وذكر القلقشندي في الصبح ٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤، و١/ ٣٢١، وفي النهاية ٢٦٩ بطناً آخر بهذا الاسم مرجعه إلى معن بن عمرو (اقرأ عتود) بن عنين بن سلامان بن ثعل من طيىء، وأخذ على العمريّ لعدم تشخيصه النسب المقصود. لكن زبيد هذه غير زبيد مذحج وليست بمعروفة عند النسابة.

(٢) بعض النص في الصبح ١/ ٣٢٤، ٣٢٥، والقلائد ٧٣.

وملكهم! قلت: ولايبعد ذلك من ملك الملوك ولاسيّما البرامكة كان قد علا صِيتُهم، وانتشر ذكُرهم، وكثرت فيهم المدائح، وقصدتهم الشعراء، ووفدت عليهم الوفود حتى تضاءلت الخلافة بهم.

قال الحمداني[١]: والأصح في نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السكن بن رفيع بن علقى بن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء. فهذا ماذكره الحمدانيّ.

وأما نسب ربيعة إلى برمك فقالوا[٢]: ربيعة /١٣٧/ بن سالم بن شبيب بن حازم بن علي بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك.

قال الحمدانيّ[٣]: ولد ربيعة أربعة، وهم: فضل، ومرا، وثابت، ودغفل، وسنذكرهم على ماهم في وقتنا، على ماذكره لي محمود بن عرام من بني ثابت بن ربيعة. قال: فضل منهم آل عيسى، وقد صاروا بيوتاً[٤]، بيت مهنا بن عيسى، وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مهنا. وبيت فضل بن عيسى، وأميرهم سيف بن فضل. وبيت حارث بن عيسى، وأميرهم قناة بن حارث. وأما أولاد محمد بن عيسى وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى فأتباع. وهذا البيت أسعد بيت في العرب في وقتنا الذي أشرقت فيه طوالع سعودهم، وأينع فيهم مخضر عودهم. وأما بقية بيوت آل فضل[٥] فمنهم آل فرج، والأمير فيهم زيد بن طاهر، وغنّام بن وهيبة. وآل سميط، والإمرة فيهم في صافية بن حجير بن الصميد. وآل مسلم، والإمرة فيهم في طامي بن عباس. وآل عامر، والإمرة فيهم في بني عامر بن دراج.

وأما آل علي فهم[٦] وإن كانوا من ضئضىء آل فضل فقد انفردوا منهم واعتزلوا عنهم حتى صاروا طائفةً أخرى وسيأتي ذكرهم. فهؤلاء آل فضل.

وأما[٧] من ينضاف إليهم ويدخل فيهم فمن يذكر وهم: زغب[٨]، والحريث وبنو

---

(١) النص في الصبح ١/ ٣٢٤، والقلائد ٧٣، والنهاية ١٠٠.
(٢) النص في الصبح ١/ ٣٢٤، والقلائد ٧٣، والنهاية ١٠١.
(٣) النص في القلائد ٧٤، والصبح ١/ ٣٢٥.
(٤) النص في الصبح ٤/ ٢٠٨، والقلائد ٧٧، والنهاية ١٠٨.
(٥) النص في الصبح ٤/ ٢٠٥.
(٦) النص في القلائد ٨١، والنهاية ١٠٧.
(٧) النص في النهاية ١١٠.
(٨) زغب: بضم الزاي وكسرها بطن من سُليم. قارن بجمهرة ابن حزم ٢٦١، والبيان ٦٨.

كلب، وبعض بني كلاب، وآل بشار ـ وهم مَوالٍ، وخالد حمص[١]، وطائفة من سنبس، وسعيدة، وطائفة من فرير، وبنو خالد الحجاز[٢]، وبنو عقيل من كرز[٣]، وبنو رميم، وبنو حي[٤] وقمران، والسراحين. ويأتيهم من عرب البرية من يذكر. فمن غزية[٥]: غالب، وآل أجود، والبطنين، وساعدة. ومن بني خالد آل جناح، والصبيات من مياس، والجبور، والدغم، والقرسة، وآل منيخر، وآل بيوت، والمعامرة، والعلجات، وهؤلاء من خالدٍ، وفرقة /١٣٨/ من عائذ[٦]، وهم آل يزيد، وشيخهم ابن مغامس. والمزايدة، وشيخهم كُليب بن أبي محمد. وبنو سعيد، وشيخهم محمد العليمي. والدواسر، وشيخهم رواء بن بدران. هؤلاء غير من يحالفهم في بعض الأحايين، على أنني لاأعرف في وقتنا من لايؤثر صحبتهم، ويظهر محبتهم. وأمير القوم ـ كما تقدم ـ أحمد بن مهنا، وهذا نسبه إلى ربيعة. [أبوه مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة][٧]. وديارهم[٨] من حمص إلى قلعة جعبر إلى رحبة آخذين على شقي الفرات، وأطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق إلى الوشم، وآخذين يساراً إلى البصرة. ولهم مياهٌ كثيرةٌ ومناهلُ موروودة: [من الخفيف]

ولها منهلٌ على كلِّ ماءٍ وعلى كلِّ دِمْنَةٍ آثارُ

قلت: وكان من خبر هذا البيت الذي رفعت عمده، وشد بطنب الجوزاء وتده، يد سلفت لعيسى بن مهنا عند الظاهر بيبرس حال تشريده، وتطريده احتاج فيها إلى فرس يركبه، فبالغ في إكرامه، وأركبه خير خيله، فلمّا ملك قلّده الإمرة، ورقاه، وأنهله ري الأمل ورواه. ثم لم يزل يزداد سمواً، ويترقى علواً حتى مات. وقلد في الأيام المنصورية مهنا ولده الإمرة، وعظم بنفسه وبأبيه، وعرف بعلو الهمم، وبلغ المرجو من رعاية الذمم، وعف عن الفواحش إلاّ اللمم، فزاد قدره ارتفاعاً وصدره اتسعاً.

---

(١) هم يدعون مرجعهم إلى خالد بن الوليد من بني مخزوم من العدنانية. انظر عنهم: النهاية ٢٤٢.

(٢) لم ينسبهم العمري. وينسبهم القلقشندي تارةً في بني مخزوم (القلائد ١٤٥) وتارةً أخرى في طيّء (النهاية ٢٤٢) أو لا ينسبهم (النهاية ٩٩ آل جناح).

(٣) لعلهم من كرز بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن سليم بن منصور، يعني من سليم. انظر: جمهرة ابن حزم ٢٦١.

(٤) قال القلقشندي في النهاية ٢٦٥، ٢٤١: ذكرهم الحمداني في حلفاء آل فضل ولم ينسبهم في قبيلة.

(٥) بطن من طيّء يتكلم عنهم العمريّ بالتفصيل فيما بعد.

(٦) يعني بني عائذ الله بن سعد العشيرة من القحطانية يتكلّم عنهم العمري بالتفصيل أكثر فيما بعد.

(٧) ساقط من الأصل.

(٨) بعض النص في النهاية ١١٠ـ ١١١، والصبح ٤/ ٢٠٥، والقلائد ٧٧.

قلت[١]: هذا البيت أوله رجل من طيىء من بني سلسلة بن عنين بن سلامان. نشأ هذا الرجل في أيام أتابك زنكي، وأيام ولده نور الدين الشهيد كما تقدم وفد عليه فأكرمه، وشاد بذكره. وإلى هذا عنين ينتسب كلُّ عرب عنين[٢] من كان من ولده أو من حلفائه، أو من استخدمه الأمراءُ الذين من ولده. وجدُّ مُهنا هذا ابو أحمد الأمير الآن هو الأمير مانع بن حديثة بن فضل بن ربيعة الطائي /١٣٩/ الشامي التدمري، وكان أمير عرب الشام في دولة طغتكين صاحب دمشق، ولم يصرّح لأحدٍ من هذا البيت بإمرةٍ على العرب بتقليدٍ من السلطان إلاّ من أيام العادل أبي بكرٍ أخي السلطان صلاح الدين أَمَّرَ منهم حديثة. ثم إن ابنه الكامل قسم الإمرة نصفين، نصفاً لمانع بن حديثة، ونصفاً لغنّام أبي طاهر بن غنام. ثم إنّ الإمرة انتقلتْ إلى أبي بكر [بن] علي بن حديثة، وعلا فيها قدره، وبعد صيته. فلما كان من البحرية ماكان ساقت تصاريف الدهر الملك الظاهر بيبرس إلى بيوتهم وهو طريد مشرد، ولم يكن قد بقي معه سوى فرس واحدٍ يعول عليه، فسأل علي بن حديثة فرساً يركبه، فلم يعطه شيئاً. وكان ذلك بمحضر من عيسى بن مهنا، فأخذه عيسى، وضمّه إليه وآواه، وأكرمه، وقراه، وخيره في رباط خيله، فاختار منها فرساً، فأعطاه ذلك الفرس، وزوّده، وبالغ في الإحسان إليه، فعرفها له الظاهر. فلمّا تملّك انتزع الإمرة من أبي بكر بن علي وجعلها لعيسى بن مُهنَّا، وأتاه محمد بن طاهر بن غنَّام، وساله أن يشركه في الأمرة، فأرضاه أن يعطيه أمرةً ببوق وعلم. وبقي أبو بكر بن علي شريداً طريداً، تارةً بنجدٍ وتارةً بأطراف الشام إلى أن مات. وآمنه الملك الظاهر غير مرة، وحلف له، فما وثق به، ولااطمأنّ. ثم إن درجة عيسى بن مهنا علت عند الملك الظاهر ولم يزل معظماً إلى أن مات. ثم إن الإمرة صارت لولده الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى في أيام الملك المنصور قلاوون، وعلت مكانته في أيام المنصور أكثر من مكانة أبيه.

حكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود[٣]. قال: حضرت طرنطاي

(١) قارن عن هذا الفصل المقدمة ص ٢٧. بعض النص باختلاف في الصبح ٢٠٣/٤، ٢٠٥ـ ٢٠٦.

(٢) انظر: الاشتقاق ٣٨٧.

(٣) محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي، العلامة شمس الدين، أبو الثناء الاصبهاني، ينتسب إلى علاء الدولة الهمذاني، ولد باصبهان في شعبان سنة ٦٧٤هـ واشتغل في بلاده ومهر وتقدم في الفنون وقرأ على والده وعلى جمال الدين ابن أبي الرجاء وغيرهما. ثم حج في سنة ٧٢٤ وقدم دمشق بعد زيارة القدس في صفر سنة ٧٢٥ ولازم الجامع الأموي ليلا ونهاراً مكباً على التلاوة وشغل الطلبة ودرس بعد الزملكاني بالرواحية وفي يوم الاجلاس بالغ الفضلاء =

المنصوري وهو مخيم بالخربة، وقد حضره أحمدُ بن حجي أمير آل مرا يدعي بألف بعيرٍ أخذتها آل فضل لعربه، ومهنا /١٤٠/ حاضرٌ، وكلٌّ منهما جالسٌ إلى جانب من طرنطاي. فألحّ أحمد بن حجي في المطالبة، واحتد وارتفع صوته، ومهنا ساكت لايتكلم. فلما طال تمادي أحمد في الضجيج وتمادي مهنا في السكوت أقبل طرنطاي على مهنا وقال: ماتقول ياملك العرب؟ فقال: وماأقول!؟ نعطيهم ماطلبوا، هم أولاد عمنا، وإن كانت لهم عندنا هذه البعيرات أعطيناهم حقهم، وإن كان مالهم شيء فما هو كثير إذا أعطينا بني عمنا من مالنا! فقال له أحمد: لا! ألا قل! اتكلم! وزاد في هذا ومثله ومهنا ساكت. فلما زاد رفع مهنا رأسه إليه وقال: ياأحمد! إن كان كلامك عليك هيناً فكلامي علي ماهو هين! وهذه الأباعر اقل من أن يحصل فيها كلام! وأنا معطيك إياها. ثم قام! فقال طرنطاي: هكذا ـ والله ـ يكونُ الأمير! ودام مهنا على هذا حتى جاءت الدولة الأشرفية. ولما خرج الأشرف لفتح قلعة الروم مرت العساكر بسرمين إقطاع مهنا، فأكلت زروعها وآذت أهلها فشكوا إلى مهنا اذية العساكر فشكا إلى الأشرف، فعز عليه واستنقص همته، وقال: كم جهد ماآذوا حتى تواجهني بالشكوى، وماكان يغتفر هذا الفعل لهذا الجيش العظيم الخارج لأجل إذلال العدو وقص جناح الكفر!؟ وأسمعه من هذا ومثله.

ثم لما كان الفتح ركب الأشرف في الفرات في خواصه ومعه جلساؤه من بني مهدي، وكانوا يضحكونه، فجاء مهنا بن عيسى فأمر بمد الإسقالة له ليدخل. فلما دخل عليها غمز عليه فحركت الإسقالة فوقع في الماء، وتلوث بالطين، فهزئت به بنو مهدي،

= في الثناء عليه ثم طلب على البريد إلى القاهرة في ربيع الآخر سنة ٧٣٢ بسفارة الشيخ مجد الدين الاقصرائي شيخ خانقاه سرياقوس فنزل عنده وعمل له سماع وبنى له قوصون الخانقاه ورتبه شيخاً بها.

له: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح المطالع للارموي، وتجريد النصير الطوسي، وشرح قصيدة الساوي في العروض، وناظر العين في المنطق وشرحه، وشرح مقدمة ابن الحاجب، وشرح البديع لابن الساعاتي، وطوالع البيضاوي، ومنهاجه، وعمل تفسيراً وكان بعض أصحابه يحكي أنه كان يمتنع كثيراً من الاكل ليلاً لأنه يحتاج إلى الشرب فيحتاج إلى دخول الخلاء فيضيع عليه الزمان، وكان خطه قوياً وقلمه سريعاً.

قال الصفدي: رأيته يكتب في تفسيره من خاطره من غير مراجعة وانتفع الناس به كثيراً وأذن لجماعة في الافتاء بمصر والشام وكانت تعتريه فترة من شغل باله بالتفكر ومسائل العلم، توفي في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ بالطاعون العام.

ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧ـ ٣٢٨ رقم ٨٩١.

وضحك الأشرف ومن حوله. وطوى مهنا جوانحه على ألمها ثم إنه استأذن في الانصراف إلى بيوته فأذن له وقال: إلى لعنة الله! فأسرها مهنا في نفسه ولم يبدها. وركب من وقته وتوجه إلى أهله، وأقام عندهم على حذر. ثم /١٤١/ عاد الأشرف، ونزل بحماة، فبعث إليه مهنا بالخيل والجمال، فقبلها، وخلع على رسوله وبعث إليه خلعة سنية ليطمنه ثم يكبسه. فلما جاءت لبسها إظهاراً للطاعة وارتحل لوقته ضارباً في وجه البر. فلم يتم للأشرف ماأراده منه وعاد إلى مصر وفي نفسه من إمساك مهنا وبنيه وإخوته. وظن مهنا أن لاحقد عنده. فلم يلبث الأشرف أن خرج إلى الكرك، وخرج إلى دمشق، وخرج منها على أنه يصيد كباش الجبل.

ثم إن مهنا عمل له ضيافة عظيمة، فحضرها الأشرف وأكل منها. ولما فرغ ذلك أمسك مهنا ومعه جماعة، وجهزهم إلى مصر، وحبسهم ببرج في القلعة، وضيق عليهم إلا في الراتب لهم. وكان مهنا في الحبس لايأكل إلا بعد المدة. وإذا أكل أكل مايقيم رمقه، ويصلي الصبح، ويدير وجهه للحائط، ويصمت ولايكلم أحداً حتى تطلع الشمس. ثم يقوم بعجلة وسرعة، ويأخذ كفاً من حصى وتراب كان هناك، ثم يُزمجر ويرمي به إلى الحائط كالأسد الصائل. فلما خرج الأشرف إلى الصيد ترك ذلك الفعل فقيل له في ذلك فقال: قضي الأمر! ولم ير متبسطاً إلا في ذلك الحين.

قال: وحدثني مظفر الدين موسى، ولد مهنا قال: لما كنا بالاعتقال كان عمي محمد بن عيسى مغرى بدخول المرتفق والتطويل فيه، وكان المرتفق قريباً لدور حريم السلطان ولبعض الأمراء، فقلت له في ذلك فقال: ياولد مُهنا! لعلي أسمع خبراً من النسوان فإنهن يتحدثن بما لايتحدث به الرجال. فبينا نحن ذات يوم وإذا بمحمد قد خرج وقال: بشراكم! قد سمعت صائحة النساء تقول: واسلطاناه! فقلنا له: دعنا مما تقول! فقال: ماأقول لكم حق! وكان لنا صاحب من العرب تنكر وأقام بمصر فكان يقف قبالة مرمى البرج [الذي نحن فيه]، ويوميء إليه ونوميء إليه غير أنه /١٤٢/ لايسمعنا ولانسمعه، فلما كنا في تلك الساعة، ومحمد يحدثنا وإذا بصاحبنا قد جاء وأومأ، ثم مد يده إلى التراب وصنع فيه هيأة قبر، ونصب عليه عوداً عليه خرقة صفراء كأنها صنجق السلطان ثم نكسها وقعد كأنه يبكي، ثم وقف قائماً ورقص. فتأكد الأمر عندنا بموت الأشرف. فلما فتح علينا من الغد سألنا الفتاح والسجانين فأنكرونا ثم اعترف لنا بعضهم، وكان ذلك أعظم سرور دخل على قلوبنا.

ولمّا خرجوا من السجن شكوا احتياجهم إلى النساء فأطلق لهم جماعة من [الجواري] الأشرفيات، ولم يكن مرادهم بذلك إلاّ التشفي. وأعيد الجماعة إلى أهلهم

إلا مهنا فإنه أخر مدة ثم جهز. فلما خرج من دمشق لحقه البريد إلى ثنيّة العقاب[١] بأن يعود، فامتنع، وتوجه إلى أهله، وكانوا قد ندموا على إطلاقه. ثم إنه قدم مصر بعد ذلك مرات، وهو كالطائر الحذر الذي نصب له الشرك في كل مكان. وآخر مدة قدمها في آخر الدولة الناصرية الأخيرة سنة عشر وسبعمائة، وكان برلغي [الكبير] مملوك مهنا، وهو الذي قدمه، فلما وجده قد أمسك تحدث فيه مع السلطان وقال: هذا مملوكي وقدمته ليعطى إقطاعاً في الحلقة[٢] أعطيتموه فوق حقه حتى صار ملكاً من الملوك وأنا أريد أن تأخذ ماله كله ومماليكه وتعطيني إياه برقبته ليكون عندي إلى أن يموت! فوعد بذلك. ثم إن برلغى مات في ذلك الوقت فقيل له: قد مات! فعزّ ذلك عليه عدم قبول شفاعته مع ماكان يمت به من سوابق الخدم.

ولما كان السلطان في الكرك فخرج مهنا، وقد طار خوفاً ورعباً. ولما اجتمع بقراسنقر، وكانت بينهما صداقة قديمة مؤكدة، وكل منهما مستوحش، فجددا الأيمان والعهود على المضافرة وأن لايُسلِم أحدٌ /١٤٣/ منهما صاحبه. فلما توجه قراسُنْقر إلى حلب زاره مهنا، فخلا به مهنا فأقرأه قراسنقر كتاباً من السلطان فيه إعمال الحيلة على إمساك مهنا، فقال له مهنا: ماأنت صانعٌ؟ فقال: أنا أطيعه فيك وأجاهره، وهو يجعلني دأبه ووكدهُ فمن يحميني منه إذا قصدني؟ فقال له مهنا: تجيء إلينا! فتحالفا على ذلك. ثم إن مهنا وفى لقراسنقر لما توجه إليه على ماهو معروف في موضعه حتى أن زوجة مهنا عائشة بنت عساف بالغت في خدمة قراسنقر، وكانت تقول لمهنا: يامهنا! ذكر الدهر لاتدعه! وكذلك محمد بن عيسى بن عليّ إلا فضل بن عيسى، أخو مهنا، فما كان رأيه إلاّ التقرب بإمساك قراسنقر والجماعة إلى السلطان! فكانت عائشة تقول: تعساً لأم ولدت الفضل بعد مهنا وعيسى!.

وكتب مهنا إلى السلطان يستعطفه ويقول: هؤلاء مماليكك ومماليك أبيك وكبار بيتكم، وقد هربوا من الموت وسألوا أن تكف عنهم وتجعل البيرة لقراسنقر، والرحبة للأفرم[٣]، وبهنسا[٤] للزردكاش. وإذا حضر مهم جامع للإسلام حضروا إليه وجاهدوا

---

(١) ثنيّة مشرفة على غوطة دمشق بينها وحمص «معجم البلدان ١/ ٩٣٦».

(٢) الحلقة: منظّمة عسكرية مملوكية تتضمّن أرباب السيوف غير المماليك مثل أبناء المماليك و ـ كما يتبين من هنا ـ أمراء قبائل العرب أيضاً.

(٣) هو آقش الأفرم الجركسي من مماليك قلاوون، وكان نائباً في الشام (الدرر الكامنة ١/ ٤٢٤ـ ٤٢٦).

(٤) معجم البلدان ١/ ٧٧٠.

بين يديك. فأجابهم بإطابة القلب وأنّه قد جعل الصُّبية لقراسنقر، وعجلون للأفرم، والصلت للزردكاش أو إمريّة كما كان. فما اطمأنّوا لذلك وزادهم نفوراً. فجهّزهم إلى خربندا وقال له: متّى حميت هؤلاء كنت أنا في طاعتك معهم، وأخفر الركب العراقي. وسيرهم مع ابنه سليمان، وبعث معهم من جهته لخربندا ومن حوله خيولاً مسومة، فقوبلوا بالإكرام، والرعاية، وخلع على سليمان وأطلق له أموالاً جمةً. وجهزت لمهنا خلع وإنعامات ويرالغ بالبصرة له ولأهله، ومعها الحلةُ، والكوفة، وسائر البلاد الفُراتية.

واشتدّت الوحشةُ بينه وبين السلطان الملك الناصر وتأكّدت، فأعطى الإمرة لأخيه / ١٤٤/ فضل. وتظاهر مهنا بالمنافرة، والمباينة، والوحشة. وحضر إلى عند خربندا، فأكرمه غاية الإكرام، وأجله نهاية الإجلال، وقرر أمر الركب العراقي، وأعطى عصاهُ خفارةً لهم وتأميناً. وضاع الزمان، وامتدّت الأيام والليالي في المراوغة من مهنا وهو يعد السلطان أنّه يحضر إليه ويمنيِّه، ويسوف به من وقتٍ إلى وقتٍ، والبريدُ يروحُ ويجيء والرسل تتردد. وجهز إليه أرسلان الدوادار[(١)] وألطنبغا الحاجب[(٢)] الذي عمل نيابة حلب، والشيخ صدر الدين ابن الوكيل، ولاألوى ولاعاج. ثم كان أولاده وإخوته يتناوبون الحضور غلى السلطان وهو ينعم عليهم بمئين ألوف، والإقطاعات العظيمة والأملاك. وهم يمنونه حضوره ويعدونه بقدومه، ومهنا لايزداد إلاّ حذراً، والسلطان لا يزداد إلا طمعاً. وإذا حضرت للمسلمين نصيحة أو مصلحة كان مهنا ينبه عليها ويشير بها، وكان السلطان يقبل نصحه ويعرف ديانته.

ثم لما كانت سنة أربع وثلاثين توجّه مهنا بنفسه إلى السلطان ودخل إلى مصر فأكرمه غاية الإكرام، وأنعم عليه إنعامات كثيرة إلى الغاية، وعاد منها راجعاً إلى بلاده. ولم يزل إلى أن توفي في ذي القعدة سنة خمسٍ وثلاثين وسبعمائة بقرب سلمية، وأقاموا عليه المآتم، ولبسوا السواد. وعاش نيفاً وثمانين سنة. وكان وقوراً، متواضعاً، لايحتفل بملبسٍ.

تتميم[(٣)]:

وهؤلاء آل عيسى هم في وقتنا ملوك البر مابعد واقترب، وساداتُ الناس،

---

(١) هو أرسلان بن عبد الله الدوادار بهاء الدين (الدرر الكامنة ١/ ٣٧٢).

(٢) هو الطنبغا الحاجب الناصري، وكان نائباً بحلب (الدرر الكامنة ١/ ٤٣٦ـ ٤٣٧).

(٣) أورد بعض النص التالي القلقشندي في القلائد ٧٨ـ ٧٩، وفي النهاية ١٠٨ـ ١٠٩.

و«لاتصلح إلا عليهم العرب»[١]. قد ضربوا على الأرض نطاقاً، وتفرقوا فجاجها حجازاً وشاماً وعراقاً. أنّى نزلوا خلت الأرض قد رمت أفلاذها، أو السماء قد مرت رذاذها، ترتج بخيولها صهيلاً، وتحتجّ /١٤٥/ بسيوفها على الرقاب صليلاً. تجمع قنابل، وتلمع مناصل، وتنبت قناً، وتميت فتناً. قد نصبوا بمدرجة الطريق خيامهم، وأوقروا في عالم الأسماع أعلامهم، أنّ الكرم أعلامهم. وتقارعوا في قِرى الضيفان[٢]، وسارعوا إلى تقريب الجفان. قد داروا على البلاد أسواراً حصينة، وسواراً على معصم كل نهر، وعقداً في جيد كل مدينة، وأحاطوا بالبرّ من جميع أقطاره، وحالوا بين الطير المحلق وبين مطاره، وحفظوه من كل جهاته، وحرسوه من سائر مواضعه وآفاته، وصانُوهُ من كل طارقٍ يتطرّقْ، وسارقٍ يتسلل أو يتسرق. فلاتبصر إلا مرسى خيام، ومسرى هيام، ومورد كرام، وموقد ضرام، ومقعد همام، ومعقد ذمام، ومجال غمام، وآجال رزقٍ أو حمامٍ، ومعهد أيادٍ جِسامٍ، ومشهد يوم يرعف به أنف قناةٍ أو حسامٍ، وتكبير وتكثير صلاتٍ، ومكان مفزع، وأمان من يجزع. وملجأ خائفٍ، وملجم حائفٍ، وسجايا ملكية، وعطايا برمكية، ومواهب طائية، ومذاهب حاتمية، وبوادر ربيعية، ونوادر مرعية. وصوارم تنحس بذيلها الرقاب، ومكارم تتحسس على آثارها السحاب. لايطرق لهم غاب، ولايطرق لهم بذل رغاب. ولايطرح لهم بيت مضيف، ولايطيح إلاّ إليهم تابع مشتى، ومصيف لايخلو ناديهم عن سيدٍ مسودٍ، وكريم مقدمٍ، وشجاعٍ بطلٍ، وجوادٍ كريم، وحليم وقورٍ، ووافدٍ آملٍ، وقاصدٍ بنائلٍ، وصارخٍ ملهوفٍ، وهاربٍ مستجيرٍ. لاتنفكُّ لهم نارٌ قرًى وقِراع، ومنار منًى ومناع، يسرح عدد الرمل لهم إبلُ وشاء، ومددَ البحر مايريد المريدُ منهم ويشاء. تطلُّ منهم على بيوتٍ قد بُنيَتْ بأعلى الربى وبلغت السحاب وعقدت عليهم الحبى. قد اتخذت من الشعر الأسود، وبطنت /١٤٦/ بالديباج والحرير والوشي المرقوم، وفرشت بالمفارش الرومية، والقطائف الكرجيَّة، ونُضِّدت بها الوسائد، وقامت حولها الولائد. وشُدَّت بوتِدِ السماء أطنابُها، وأُعِدَّتْ لطوالع النجوم قِبابُها، وأرخيت سجفها، وشرعت أبوابها إلى الهواء، واستصرخت واستغيث بها لدفع اللأواء، ورفعت عمدها، ووضعت

---

(١) عَجُزُ بيت لعبد الله بن قيس الرقيات، البيت هو:

وأمهم مَعْدِن الملوك فلا ... تَصلح إلاّ عليهم العربُ

«ديوانه ٤».

(٢) حلّ قول الشاعر:

نصبوا بمدرجة الطريق خيامهم ... يتقارعون على قرى الضيفانِ

حجلاتها، وقرر في الأرض وتدها، وطلعت البدور في أكلتها، ورتعت الظباء في مشارق أهلتها. وحولهم خيول تحمي حجبها، وترمي إزاء البيوت سحبها، وتعرف بين العرب الأتراب عربها، وتعرض في الشهب الحسان نخبها من كرائم الخيل المبخورة، وعظائم السيل معنًى وصورة. قد تمايلت ألواناً، وتقابلتْ في مناسب الخيل إخواناً، وتنوعت شياتها فبرزت بستاناً. وتسرعت أعوجياتها السوابق فقصر مدى لاحق، وتقدمت قدامه ميداناً. وتفرعت من أصول العرب في ربيعة ومضر، وتبرعت بمالايلزمها فمنها ماانتظر ماخلفه، ومنها مافات النظر. وتقدمت وامهلت وراءها الرياح، وأقدمت وأنهلت ظمأها مورد الصباح. ومرّ كل طِرفٍ منها وَطرَفُ البرق حائر، ومد وجوار المجرة مافيها طريق لسائر. وحفت والطيرُ في كناتها لم تبرح. ووفت والوحوش في مكان بياتها لم تسرح. تمت كأنها كثبان، وهمت كأنها عقبان. قد صلدت حوافرها كأنها قعب حالب، وصلدت مشاعرها كأنها وجه عاتب. واتسع منخرها كأنّه وجار ثعالب. وارتفع مؤخرها كأنه ربوة مراقب. وطال غرتها كأنه انتظار غائب. ومالت نواصيها كأنّها عقودُ ترائب. ودق منخرها كأنه طرف قاضب. ورق أديمها كأنّه حديث حبائب. واتسع ذيلها كأنه ذيل راهب. وتلبد /١٤٧/ مغرزها كأنه إقعاء أرانب. وقصر عجب ذنبها كأنه بقاءُ ذاهب ونهد موضع لببها كأنه نهدُ كاعب. ونتأ صدرها كأنه نهضة واثبٍ. وولولت آذانها كأنّها أقلام كاتب. ولانت شعرتها كأنما عليها لوف سليط ذائب. ولانت عريكتها كأنّها للتأديب لعبة لاعب. ونظرت نظر حاذرٍ، وتلفتت التفات ربائب. وأشبهت الوحش والطير فطوراً تحلق وطوراً تواثب. وقد برزت شهباً ودُهماً وحمراً وشقراً وصفراً وخضراً ومابين هذه الألوان، ومابين صنوانٍ وغيرِ صنوان. قد رتعت كالظبا، ورفعت كالخبا، وطلعت كالكواكب، وتطلعت كالرقبا. وجالت أمام بيوت الحي تهز ثندوة عطفه، وخطوة فارسه المعلم في موقف صفه. فكم ترى من سابق وسابقة توافقا فلم تر أيهما سليلة سابقين تناحلاها، ولابأيهما تعقد الظبية الأدماء طلاها، ولاأيهما بلغ السما واغتصب النجوم حلاها. ولاأيّهما الموصوف في كرائم الخيل. ولاأيّهما ابترد برداء النهار أو أطاح رداء الليل. من حصون كالحصون الشوامخ تتحصن على صهواتها، ويتحصل الظفر ولاتروى فواغر لهواتها. قد اشتدت مبانيها الوثيقة. وتشيَّدت فكانت حصوناً لاحصناً على الحقيقة. ومن حجر كالحجر بل شيء أشد من الحجارة، وأشدُّ من السهم في مهاجمة الغارة. قد تبرجت تبرج الحسان، وتخرجت تخرج الكاعب وبرزت للفرسان. وأقبلت في ميدانها تتمطر. وجالت وعنانها لايزيد على أن يتخطّر. كلاهما محفوظ النسب، ملحوظُ الحسب، محظوظ البخث لاعن غير سبب. فمن قرطاسية بيض

ذاب على أعطافها اللجين. وبقي عليها أثر الفضة وذهب العين. أقبلت كأنّها البيض الكواعب، واستقبلت كأنها أيام وصل الحبائب. كأنما جللت بالنهار، أو حولت / ١٤٨/ إلى مطالع الأقمار. أو خولت مما تلبس الشمس من حلل الأنوار. وجاءت قرطاسية لما قرطست سهامها، قرّبت مواعيد الظفر أيامها. ومن دهم لم ترض بالليل ردَّ ردائها، ولابلَمَم الشبيبة شبيبة ظلمائها، ولابالأهلة إلا تحت مواطىء حوافِرها، ولابالصباح إلا لما بين وظيفها ومشاعرها. فأمّا ماسال أو استدار من الغرر الصباح، فإنّه مما قر أو تموج بين عينيها من لوامع الأسنة لامن طلائع الصباح. ومن حمر أوقد الشفق عليها جمره، وبدد الشقيق على كاسها خمره. منها معصم بسوادٍ كأنما ذر المسك على وردها، أو أمسك الليل فحمته على وقدها. ومنها كميت يميل براكبه ميل الكميت بشاربها، ويستطيل باقي ظلماته في شفق الصباح على ذاهبها. ومنها ورد كأنه أباة قد قطف أو رباة إذا شبه بخد غانية أو وصف. وفيها صامت وأعزّ منها ماطلع كواكب الصبح بمحلّقه. ومنها ماهاب خوض الدماء فتغطى بسجاف أفقه. فأما الحجول فمنها ماأدار عليه جباها، ومنها ماقال هذه حيلة لنقيصة فأباها. وبدت تعرف الأنفة في مناخيرها الشم، وتعوض الجبال إذا أقبلت شوامخها الصم. ومن شقر قدح الفرق فيها فما أفاد، وقرح الذهب عينه حتى لبست منه جيداً من جساد. واصطدمت جيادُ الخيل فطار منها شرارة من زناد، واقتحمت حلبة السباق فجاءت سابقة عليها آثار الخلوق دون بقية الجياد. ومنها رافلةُ في أعلام الشيات. ومنها عاطلة من أعلامها، هذه قد تجلت بالغرر والحجول، وتلك جعلتها حلية لأيامها. ومن صفر هي في العصر الأصائل، وفي الفجر آخر مابقي من شعاعه السائل. شاقت اللجب وهو الطائر والطائل. وفاقت الذهب وهو الحائز والحائل. وراقت فهي الشمول، ورقت / ١٤٩/ فهي الشمائل. وتاقت إليها لمع البرق فحال دونها حائل. وضاقت بها الحزم واتسعت مصبغات الغلائل. وساقت إليها الشمس وأوقعتها من خيط سوادها الممتد في الحبائل. ونوهت بالحبش لما قيل إنها حبشية، وأفاضت عليهم النائل، من فواضل حللها الموشية. وسعد بها هذا الجنس لما نسبت إليه، وحمد لما كان النسب يصح أن يطلق عليها وعليه. وفخر كل حبشي لكونها تعد منه وهو من أعدادها. وتطاول حتى موه عليها بالشبه وأخذ في وجهه محاسن التخطيط من خط سوادها. فكأنها نارُ ترفع في الليلة الظلماء لها لهب فتوقدت شعلها إلا ماعتلق به الليل من العرف والناصية والذنب. ومن حصير مامنها إلاّ من بيت العرب. ومافيها إلا مايهتدي إلاّ إلى الهرب. كأنها عليه ظلٌّ دائب، أو علاها رحيق سحائب. أو ألقي عليها زبرجد أو أبقي منها أثر شعاعة مهند. قد أفادتها الجباه نضرتها، والشفاه من

كثرة التقبيل خضرتها. وبدت ولا هي بيض ولاجون. وغدت تنتشي وماقطعت بها عناقد النواصي ولاعصرت من أعطافها ابنة الزرجون. ومن بلق كرام ماقعدت بها هجنة. ولابعدت عن شبهين أخذت من كل منهما حسنه. لا كما يقال إن الطبيعة قصرت في إنضاجها. ولا إن حسنها كله ذهب في ديباجها، بل كل منهما علم على صاحبه يعرف به إذا ركبه. ويحلف أنه اقتاد الروض وتوقل منكبه. منها مايقابل بين صباحٍ وظلامٍ. ومنها ماماثل بين البياضِ والحُمْرةِ خدَّ غُلامٍ. فأما الأول فقد طلع منظراً حسنًا، وجمع بين ضدين لمّا اجتمعا حسنا[١]. كأنه توليع السحب، وترضيع السخب. أو قطع ليلٍ يهزّ بالشهب، أو نقع /١٥٠/ حرب ظهر في وجوه لمعان القضب. في كل منهما ماأظلم وماأنار. وماأظل جانبي الأرض ففي وقت واحد في هذا ليل وفي هذا نهار. وأما الثاني وكأنه اختلاط ماء وراح، واختلاف مجاري شفقٍ على صباح. لايقاس بها البرق وهو أحقر، ولايشبه به إلا كان هو (إلى) التشبيه بها أفقر. ولايبالغ واصفه إلا قال كظهر الحصان الأنبط البطن يكشف الجُلَّ واللون أشقر[٢]. ومما سوى ذلك جميعه من ألوان الخيل مما يمزج من أحمر يقق، وأصفر أصيل، وأخضر سحر، وأشهب نهارٍ، وأدهم ليلٍ. ومنه كل ديزج، ذلك بفيروزج. كأنما لون من ماء يتموج، أو كون من سماء صدره بصداد على سناه ينسج. وأصدأ لايقدر جون الغمام لمعارضته يتصدّى. وأكهبُ لاهو كالأحمر أو كالأشهب. وهي فتية [ومافيها إلاّ عتيق، وكثيرة] ومافيها إلا ماهو قليل كالصديق[٣]. ماستنكرها إلا من تجرب، ولااستكبرها إلا من جاء بنقعها في وجه المساء يترب. وكأنما عنيتها في قصيدةٍ كنت في وصف الخيل بنيتها، وهي: [من الخفيف]

أقبلتْ في ميدانِها تتجارى ... هي والريحُ في المَدى تتَبارى
ودعتْ سائقَ الغَمائم للسَبْـ ... ـقِ فأضحى بذيلِها يتوارى

---

(١) صدر بيت لدوقلة المنبجي، نصّه الكامل:
ضدّان لمّا استجمعا حَسُنَا ... والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَه الضدُّ
«القصيدة اليتيمة ٣٠».

(٢) من قول الشاعر:
كلون الحصان الأنبط البطن قائماً ... تكشف عنه الجلّ واللونُ أَشقرُ

(٣) من قول المتنبي:
وما الخيل إلاّ كالصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب
«ديوانه بشرح العكبري ١/ ١٨٠».

سابقاتٌ ماقصر البرقُ لما ... أدركَ البرقُ بعدَها الآثارا
سابقاتٌ مافاتتِ الطَّرْفَ حتى ... خَلَّتِ الشهبَ في الظلامِ حيارى
وأرتْنا يومَ الرهانِ أناسـ ... ـي سُكارى وماهمُ بسكارى[1]
منْ جيادٍ منسوبةٍ في بيوتٍ ... ليسَ تَرضى من غيرها الإضمارا
كلُّ حِجْرٍ كأنّها الحَجَرُ الصلـ ... ـدُ لهذا تفَجِّرُ الأنهارا
وحصانٌ كأنّهُ شِعْبُ رَضْوى ... رابطَ الجأشِ لايخافُ وَقارا
نُخْبةُ الخيلِ منْ خيولٍ كرام ... ردَّدَتْ في اختيارها الاختبارا
/١٥١/ وأتتْ بالجيادِ منْ كلّ فَجٍّ ... واستجادتْ منها الخيارَ خيارا
علمتْها في حربها كلَّ شيءٍ ... في مجالٍ للموتِ إلاّ الفِرارا
مشرقاتٌ كأنّها روضةُ الحَزْ ... نِ بَلِ الحَزْمِ أينعتْ أزهارا
أبيضُ جاءَ مثلَ يومِ وِصالٍ ... قدْ تعالى ضِياؤُهُ واستنارا
مُلفتاً جيدَهُ إلى ذاتِ حُسْنٍ ... مثلِهِ قدْ بَدَتْ نهَاراً جَهارا
لايباري الشهباءَ شيءٌ سِواها ... ليسَ مثلُ الشهباءِ مما يُبارى
وكذا أخضرٌ هوَ الآسُ غضّاً ... أشبهَ المُرْدَ سالِفاً وعِذارا
وأتانا مابينَ لونيهِ يَحْكي ... مذ تَبَدَّى مَساءَةً واعتذارا
مَعَهُ من شَرْواهُ خضراءُ تجري ... حيثُ تَجري زُمُرُّداً مُنْهارا
وأَغَرٌّ كأنّهُ الليلُ إلاّ ... مابدا بينَ مُقْلَتَيْهِ نَهارا
أَدْهَمٌ رَقَّ جِلْدُهُ فحَسِبْنا ... منهُ مارقّ في الدُجَى إسحارا
وشَبيةٌ بجنْسهِ بنتُ دهما ... ءَ ببهماءَ لاتخاف القِفارا
وكميتٌ لو قابلَ (الخمرَ) في الكأ ... سِ شَرِبْنا ممّا كَساها العُقارا
ثُمّ وَرْدٌ يَطيبُ منهُ شَميمٌ ... قد قطفنا منْ غُصْنِهِ أَنوارا
بهما منْ لَوْنَيْهما كُلّ عَذْرا ... ءَ عليها يبدو حياءُ العَذارى
وكذا أَشْقَرٌ كريمٌ مُفَدَّى ... جاءَ كالبرقِ يستطيرُ شَرارا
ثم شقراءُ كم تَوَلَّعَ صَبٌّ ... بهواها وباتَ يشكو النارا
وكذا أصفرٌ تراهُ أصيلاً ... سار نَجْمٌ منه وسالَ نُضارا
ثم صفراءُ ماتشرّب طرفٌ ... خَمْرَها الحِلَّ ثم خافَ الخُمارا

---

(١) إشارةُ إلى الآية القرآنية ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحج: الآية ٢].

ثُـمّ وافـى عَـقـيـبَـهـا الأَبْـلَـقُ الـفَـرْ دُ يَـضُـمُّ الـظَّـلامَ والأَقْـمـارا
مـعـهُ مِـثْـلُـهُ مـنَ الـبُـلْـقِ لاثـتْ فـوقَ ثـوبِ الـدُّجى عـلـيـهـا الإزارا
فهي تحكي بيضاً مظلومة الجشم فـبـعـض دجـى وبـعـض أنـارا
وكـذا أبـلـق بـأحـمـر قَـان فـك عـمـداً عـن جـبـيـنـه الأزرارا
/ ١٥٢/ ثم بَلْقاءُ أقبلَتْ تُخْجِلُ الخدَّ بـيـاضـاً مـنْ لـونـهـا واحـمـرارا
تـتـهـادى فـي مَـشْـيـهـا كـعَـروسٍ أَفْـرَغـوا فـوقَـهـا الـجُـيـوبَ نِـثـارا
مـاكـفـاهُـمْ أنْ نـقَّـطـوهـا إلـى أنْ نَـقَّـطـوا كـلَّ دِرْهـم دينـارا
ثُـمّ فـي الـخـيـلِ دَيْـزَجٌ مـاج بَـحْـراً أو سـمـاءً وصـارمـاً بـتّـارا
ثُـمّ حِـجـرٌ تَـلُـزُّهُ فـرأيـنـا جَـدْولاً مـنـه صـادفَ الـتـيّـارا
ثُـمّ مـن سـائـر الـجـيـاد كِـرامٌ أرسـلَ الـرَكـضُ نَـوْءَهـا مِـدْرارا
وتـذكَّـرْ مـع الـسـوابـق أصـدا مـثـل مـاتَـصْـدَأُ الـسـيـوفُ مِـرارا
ثـمّ صـديـاءُ لاتُـضـاهـى غَـمـامٌ مُـكْـفَـهِـرٌّ مـن سَـيْـلِـهـا الأمـطـارا
بـعـدهـا أكـهـبٌ تـحـيَّـرَ لَـوْنـاً لاشـقـيـقـاً حَـكَـى ولانَـوّارا
لا ولـكـنْ بـحُـكْـمِـهـا فـي امـتـزاج قـد تـردَّى لـذا وهـذا شِـعـارا
ثُـمّ يَـتْـلـوهُ فـي الـمـحـاسـنِ حِـجـرٌ مِـثْـلُـهُ لايـمـيـلُ عـنـه ازوِرارا
صـافـنـاتٌ زادتْ عـلـى الـخـيـرِ حُـسـنـاً فـي مَـداهـا وزانـتِ الأخـيـارا
وأتـتْ فـي فِـعـالـهـا وحُـلاهـا بـصـفـاتٍ تُـعَـجِّـبُ الـنُّـظّـارا
مَـلَـكَـتْ حُـكْـمَ مـالِـكـيـهـا الأمـانـي وحَـوَتْ لـلّـذي حَـواهـا الـفـخـارا
سُـبَّـقُ تـجـعـلُ الأنـامَ جـمـيـعـاً مـن رعـايـاهُ والـبـسـيـطـةَ دارا

فأما هؤلاء العرب إذا ركبوا الهِياج أو وثبوا إلى معاركة الفجاج، سدت الأفق قتاما، والطرف إبلاً كراما. قد تقلدوا سيوفاً تغرق الأرواح في لججها، وتقصر مناظرات الرقاب لحججها. كأنّما طبعت فيها حمر المنايا أو طبقت عليها سود الرزايا. ترصعت النجوم، وانتعلت بالهلال، وتقطعت من الغيوم، وضربت مرهفات النصال. لايحشى ورق حديدها الأخضر، ولايجتلى وجه فرندها الصقيل، ولاينظر. قيل لها: صوارم؛ لأنها صرمت الأعمار، وقواضب، لأنها تقتضب الأجل وتعجل الدمار، ومشرفيات؛ لأنها أشرفت على الرؤوس، ومهندات/ ١٥٣/ لأنها ترى رأي الهند في إحراق النفوس، ومناصل؛ لأنّها تتنصلُ لامما جنت، وقواطعُ؛ لأنّها تقطع بالأمر أساءت أو أحسنت. كأنّما تأكلت فيها النار أو تشكلت فيها الأنهار. ماعلى ضجيعها أين بات ولاقريعها عار لعدم الثبات، ولاعلى حاملها الجازر إن كثرت لديه النحائر، أو كبرت

عليه من حيث الأعداء الجرائر. كأنما رضعت زرق اليواقيت، أو علت قرى نمل أو قرى رمل لها فيها آثار مخافيت، وقد اعتقلوا من عوالي الرماح كل ردينيّة سمراءَ ماماس مثلها قدّ، ولامال أهيف ولعب مثلها دست يد. عواسل قصبها المران، عوامل شهبها تعمل في أطرافها النيران. تطاولت لتثقب در الكواكب أو لتنقب سد السحائب. ثم رأت أنه لاتروى بغير الدماء حوائم أسنتها العطاش، ولايقوم بكفايتها إلا ورود الوريد لا من المطر الرشاش. فرمت على لبات الرجال عنقها، وبلت صداها ونقعت غليلها، وماروت من دماء أعدائها، مادارت دوائرها على عدو إلا وخاف أن يصعد على أسوارها أو يتسور، ولا صبحت بصاعها ذا عنق إلا تطاير بها وتشاءم بكعبها المدور. ورأيت من الرجال في تلك البيد صقوراً تحمي محارمها، وسيولاً تطم فجاجها ليوثاً ضراغم، وعقباناً كواسِرَ، وأبطالاً لاتعبأ بمن لاقت، ورجالاً لاتُبالي أين نزلت. تدخل على عزيز قوم بلاده، وتحمي عليه أرضه، وترد دونه ماءه وتمنعه شربه. وترد عليه قوله، وتصد عنه قومه. وتأخذ ماله إذا شاءت غصباً وتقسمه اقتساماً لانهباً، لاتحوش في ليلٍ ولاتجتمعُ في نهارٍ. كفتها المهابةُ أن تخاف، والمنعة أن تتوقى. فإذا سارت قلت الشهب سارت، والسحب سالت، والجبالُ مادت، والرمالُ/ ١٥٤/ مالت. تركب النجب، وتجنب الجياد فتختال الأرض في حلية السماء ببدور أخفاف المطي وأهلة حوافر الخيل، ونجوم أسنة الخرصان. توطأ لهم الرواحل، وتطوى بهم المراحل. وتبدو ركائبهم كأنها قلل جبال أو حلل نزال، يتسع مجال الرياح بين فروجها، وترتفع طوال الرماح فوق بروجها، تمد أعناقها طلباً لقرب المنزل، وتجد أشواقها إلى أرض وتصبح [عنها] بمعزل. كأنها لتمام الخلق بنيان، [أو لإكام الأرض تبيان]. لايقر بعينها الزئبق المتدحرج، ولا في بينها سيرها المتلجلج. يتثنى راكبها كأنه شارب ثمل، ولايستقرُّ كأنه بارق عمل، ركب من الإبل السحاب وهو محتفل، ووثب وكأنه لتمايلها يتخبط تخبط الظبي في أشراك محتبل، من امتطاها وركبها أضرم نشاطه، ومن استبطأها فضرها ظلمها وظلم بالضرب لها سياطه. والأكوار تتراءى عليها كأنّها أهلة على غمام، والمجرة البِطان، والجوزاء الزمام. وأمامهم الظعائنُ تجري بها في الآل السفائن وقد شد كل هودجٍ على كور راحلته الثريا، وسعد بسعدى وطاب بريا. فسايرتها نظرات الأحداق، وعادت ولم تحرج، وعاجت وماوقف لها سائق الركب ولاعاجت ربة الهودج[1]. فما فازت إلا من بعيدٍ بنظرة، ولافاءت إلاّ وبين الجوانح حسرة. وتعرض

---

(١) معنًى مأخوذٌ من بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان المعروف بالعرجي:

عُـوجـي عـلـيـنـا ربّـةَ الـهـوْدَجِ ... أنّـكِ إنْ لا تـفـعـلـي تَـحْـرَجـي

«الأغاني ١/ ٤٠٦».

لها فلم تفعل ولم تخرج، وتعرف بها فما زاد على أن فقد قلبه وعاد وهو محرج. حتى إذا نزلوا بليلٍ ونزحوا غدير النهار وجاء الظلام بسيل، أوقدوا ناراً يشب بالمندل الرطب وقودها، ويشدُّ بعنان السماء عمودها. رقص بها الليل في قميص أرجوان، وتنقص ظلامته بأدنى ضوئها. وهو وإن تشعشعت كالسُّلاف، وتورعت إلاّ عمّا هو إرثُ عن الآباء والأسلاف. نارُ كرميّةٌ ترمي بكل شرارةٍ كطراف / ١٥٥/ ضرميّة تُشَبُّ بالعراق وضوؤها يغشى نائل وإساف، تهتدي الضِّيفان بها لابصوت النابح، وترتدي بشعاع دماء القرى من كل بازل كوماء، وطرف سابح[١].

وأما آل علي[٢] فأميرهم رملة بن جماز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة. وقد كان جدهُ أميراً ثم أبوه. وقلّد الملكُ الأشرفُ جدَّهُ محمّد بن أبي بكر إمرَة آل فَضْلٍ حين أمسك مُهَنَّا بن عيسى. ثم تقلَّدها من الملك الناصر أخيه حين بعث قجليس[٣] في طرد مُهنا وسائر إخوته وأهله. ولما أُمِّرَ رملة كان حديث السن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر فقدموا على السلطان بتقادمهم، وتراموا على الخواصّ وسائر الأمراء وذوي الوظائف. فلم يحضرهم السلطان لديه ولاأدنى أحداً منهم إليه. فرجعوا بعد معاينة الحَين، بخُفَّي حُنين، ثم لم يزل يتربصون به الدوائر، وينصبون له الحبائل، ويقيه الله سيئات مامكروا، ويدفع عنه بالسلطان ماقصدوا. وها هو اليوم سيد قومه وفرقد دهره، والمسود في عشيرته، المبيض لوجوه الأيام بسيرته. وله إخوةٌ ميامين كبراء أمراءُ فضلٍ ومِرا، وهم أهل بيتٍ عظيم الشأن، مشهور السادات إلى أموالٍ جمةٍ ونعمٍ ضخمةٍ، ومكانةٍ في الدول عالية. وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين إخوتهم آل فضلٍ وبين أعمامهم آل مِرا، ومنتهاهم إلى الجوف والحيانية إلى الشبكة إلى تيماء إلى البراذع[٤].

وأمّا آل مرا[٥] فبيتُ الإمرة فيهم آل أحمد بن حجّي. وبقيتُهم آلُ مُنيخر وأميرهم

---

(١) معنًى مأخوذُ من شعر لزياد الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلّب:

فإذا مررتَ بقبره فاعقرْ به كُومَ الهجان وكلّ طِرفٍ سابح

«ديوانه ٥٣ـ٥٤».

(٢) النص في الصبح ٤/ ٢١٠، والقلائد ٨١، والنهاية ١٠٧، وانظر أيضاً بالحياري(الإمارة ١٥١) «ديوانه ٥٣ـ٥٤».

(٣) هو قجليس الناصري السلاح دار (الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨».

(٤) الجوف، والحّانيّة، وتَيماء معروفة؛ والشبكة قرب سميراء حسبما يقول ياقوت (معجم ٣/ ٢٥٥).

(٥) انظر النص في: الصبح ٤/٢٠٨ـ٢١٠، والقلائد ٧٩ـ٨١، والنهاية ١١١ـ ١١٢، وانظر أيضاً: الحياري (الإمارة ١٤٩).

سعد بن محمد. وآل نُمَيّ، وأميرُهم برجس بن سكال، وآل بقرة وأميرهم علوان بن أبي غراء، وآل شماء وأميرهم عمرو بن واصل. ثم صارت الإمرةُ في بيتين، في آل أحمد،/١٥٦/ فمن بيت نجاد بن أحمد قناة بن نجاد. ومن بيت سليمان بن أحمد شطي بن عمرو بن توبة بن سليمان. وأحمد هذا هو ابن حجّي بن يزيد بن نبل بن مرا بن ربيعة. والإمرةُ مقسومةٌ بين هذين الأميرين نصفين. ويدخل في إمرتهم من يذكر ـ وهم: حارثة، والحاصّ، ولام، وسعيدة، ومدلج، وفرير، وبنو صخر، وزُبيد حوران، وهم زبيد صرخد ـ وقد تقدم ذكرهم. وبنو غني، وبنو غزّ. ويأتيهم من عرب البرية آل طفير، والمفارجة، وآل سلطان، وآل غزي، وآل برجس، والخرسان، وآل المغيرة، وآل أبي فضيل، والرزّاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطير، وخثعم، وعدوان، وعنزة. وآل مرا أبطال مناجيد، ورجال صناديد وأقيال: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[1]. لا يعد معهم عنترة العبسي[2]، ولا عرابة الأوسي[3]، إلاّ أنّ الحظّ لحظ بني عمهم أتم مما

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥٠.

(٢) عَنْتَرة العَبْسي: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. وكان مغرماً بابنة عمه «عبلة»، فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرىء القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبَّار بن عمرو الطائي نحو ٢٢ ق هـ/ نحو ٦٠٠م. ينسب إليه «ديوان شعر ـ ط» أكثر ما فيه مصنوع. و« قصة عنترة ـ ط» خيالية يعدها الإفرنج من بدائع آداب العرب، وقد ترجموها إلى الألمانية والفرنسية، ولم يعرف واضعها. وللمستشرق الألماني توربكي (Thorbecke) كتاب عن «عنترة» طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨م، ولمحمد فريد أبي حديد «أبو الفوارس عنتر بن شداد ـ ط» ولفؤادالبستاني «عنتر بن شداد ـ ط».
ترجمته في: الأغاني، طبعة دار الكتب ٨/ ٢٣٧ وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٦٢ وفيه: «مات عنترة في البادية في طريقه إلى غطفان، وتدَّعي طيِّى قتله وتزعم أن قاتلة الأسد الرهيص» وفيه أيضاً٢/ ٢١٧«جبار بن عمرو الطائي قاتل عنترة»، الشواهد ١٦٤ وآداب اللغة ١/ ١١٧ والشعر والشعراء ٥٧ وصحيح الأخبار ١/ ١٠و ٢١٤ وفي «الآداب العربية من نشأتها» ص٦١ ما مجمله: «اختلف في واضع قصة عنترة، فزعمت جماعة أنه الأصمعي، ولكن ما وصل إلينا منها لا يمكن أن يكون من كلام لغوي كبير كالأصمعي، وذهب بعضهم إلى أن واضعها رجل يقال له المؤيد بن الصائغ من أهل القرن وقيل: بل واضعها شيخ اسمه يوسف، أو علي، كان مطلعاً على أخبار العرب وأشعارها، أوعز إليه العزيز بالله، الفاطمي، بوضعها ليشغل بها الناس» وانظر: Gtegoire وجمهرة أشعار العرب ٩٣، الموسوعة الموجزة ١٨/ ٢٣٢، الأعلام٥/ ٩٢، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٠٧ـ١٠٨.

(٣) عَرَابة الأَوْسي: عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الحارثي الأنصاري: من سادات المدينة الأجواد =

لحظهم. ولم تزل بينهم نوب الحرب، ولهم في أكثرها الغلب. وقد كانت لهم بأحمد بن حجي الأنفة الشماء والرتبة التي لاتتطاول إليها السماء. ثم قتلت بينهم القتلى، وأنزف قوة بأسهم سفك الدماء، وتشتتت كلمتهم بقسمة الإمرة على أنه لو لم تقسم لظل بينهم كل يوم قتيل وأخذ بجريرته قبيل لإباء نفوسهم، وعدم انقياد نظيرٍ منهم لنظير. وديارهم[١] من بلاد الجيدور والجولان إلى الزرقاء والضليل إلى بصرى. ومشرقاً إلى الحرة المعروفة بحرة كشب قريبة مكة المعظمة إلى شعباء إلى نير ابن مزيد إلى الهضب المعروفة بهضب الراقي. وربما طاب لهم البر وامتد بهم المرعى أوان خصب الشتاء فتوسعوا في الأرض، وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مكة المعظمة وراء ظهورهم، ويكاد سهيل يصير شامهم، ويصلون مستقبلين بوجوههم الشام.

وأما زبيد الغوطة والمرج وقد /١٥٧/ تقدّمت الإشارةُ إليهم. وإمرتهم في بني نوفل وهم والمشارقة جيران. وليس للمشارقة إمرة. ولكن لهم شيوخ منهم. وأمر هؤلاء وهؤلاء إلى نواب الشام ليس لأحدٍ من أمراء العرب عليهم إمرة. وديارهم جميعاً المرج والغوطة بدمشق إلى لاهة إلى أم أوعال إلى الرويشدات[٢]، وعليهم الدرك وحفظ الأطراف. وبهم تم ذكر بني ربيعة.

قال الحمداني[٣] وقد ذكر أعيانهم: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان لهم مكانة وأبهة. فأول من رأيت منهم مانع بن حديثة وغنام ابو الظاهر على أيام الملك الكامل. ثم حضر الكل في هذه الأيام إلى أبواب السلاطين من دولة المعز أيبك وإلى أيام المنصور قلاوون، وهم: زامل بن عليّ بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن علي، وأحمد بن حجي وأولاده وإخوته، وعيسى بن مهنا وأولاده وأخوه ـ وهم رؤساء أكابرُ وساداتُ العرب ووجوهها. ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيتٌ عظيم إلى رونقٍ في بيوتهم

= المشهورين. أدرك حياة النبيّ ﷺ وأسلم صغيراً. وفد الشام في أيام معاوية، وله أخبار معه. وتوفي بالمدينة نحو ٦٠هـ/ نحو ٦٨٠م وهو الذي يقول فيه الشماخ المري:

إذا ما رايةُ رُفعت لمجدٍ ... تلقّاها عرابةُ باليمين

ترجمته في: بلوغ الأرب ٢/ ١٨٧، ١٨٨ والإصابة/ ت ٥٥٠٠ وذيل المذيل ٢٩ وأمل الآمل ٢/ ٩٤ وخزانة البغدادي ١/ ٤٥٥، مختار الأغاني ٤/ ٣١٧، الأعلام ٤/ ٢٢٢.

(١) انظر عن الجيدور، والزرقاء، وحرة كشب، وشعباء: معجم البلدان ٢/ ١٧٣، ٢/ ٤٢٤، ٢/ ٣٩٦، ٣/ ٢٩٣.

(٢) قارن عن أم أوعال والرويشدات معجم البلدان ١/ ٣٥٦، وأم أوعال هضبة تقع في ٣١/ ٤٥ شمالاً و٣٨/ ٤٥ شرقاً على التقريب، والرويشدات هي وادٍ شمالي أم أوعال.

(٣) قارن بالنص في الصبح ٤/ ٢٠٣ـ ٢٠٤.

ومنازلهم[(١)]: [من البسيط]

[من تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيّدَهم مثلُ النجوم التي يسري بها الساري][(٢)]

قال الحمدانيّ: إلاّ أنّهم مع بُعد صيتهم قليلٌ عددَهم.

قلتُ[(٣)]: [من الطويل]

تُعَيِّرُناً أنا قليلٌ عَديدُنا فقلتُ لها: إنّ الكرامَ قليلُ

وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عَزيزٌ وجارُ الأكْثَرين ذليلُ

قال المهمندار الحمدانيّ: وقد وفد فرجُ بن حية على المعز، وأنزلناه بدار الضيافة وقعد أياماً، فجاء مقدارُ ماوصل إليه من عينٍ وقماشٍ وإقامةٍ ـ له ولمن معه ـ ستة وثلاثين ألف دينار. واجتمع أيام الظاهر جماعة من آل ربيعة وغيرهم، وحصل لهم من الضيافة خاصة في المدّة اليسيرة أكثر من هذا المقدار. وكل ذلك على يدي /١٥٨/ قال: ومايعلم ماخرج على يدي من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصةً إلاّ الله تعالى ممّا لايحصر إلاّ بالجهد، فسبحان من سخّر لهم وقسم.

قلت[(٤)]: قد قال الحمداني هذا واستكثره وأطال في هذا واستعظمهُ واستكبرهُ فكيف لو عمر إلى زماننا ورأى إليهم إحسان سلطاننا، ورأى العطايا كيف كانت تفيضُ فيهم فيضاً من الذهب العين، والدراهم بمئين ألوف، والخِلَع والأطلس بالأطرزة الزركش، وأنواع القماش الذي يفصل لملبوسهم بالسمور والوشق والسنجاب، والبرطاسي، والأطرزة المزركشة، والملمع والباهي، والساذج، والعتابي من الإسكندريّ وفاخر المقترح والمصبوغات المجوهرة، والذهب، وأنواع الزركش لنسائهم، والسكر المكرر، والأشربة المختلفة بالقناطير المقنطرة، وأحمال الجمال المقطرة إلى ماينعم به على أعيانهم من الجواري الترك والخيل للنتاج، والفحول للمهائر ـ مع مايطلق لهم من الأموال الجمة بالشام، ويقطع باسمهم من المدن والبلاد، ويملك لهم من القرى والضياع ويعطى غلمانهم، ويجرى من الإقطاعات لهم وللآئذين بهم، وللمتوجهين بجاههم، مع المكانة العلية، والشفاعات المقبولة في استخدام

---

(١) بيت من قصيدة تنسب إلى عبيد بن العرندس الكلابي، انظر: الكامل للمبرد ١/ ٧٨ـ ٧٩، ومعجم ما استعجم. ٨٦٢ـ ٨٦٣.

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من الأصل وأتممناه من الصبح ٤/ ٢٠٣ـ٢٠٤.

(٣) بيتان من قصيدة للسموأل في الحماسة لأبي تمام ٨٠.

(٤) قارن النص في القلائد ٧٥ـ ٧٦، والنهاية ١٠٢ـ١٠٣.

الوظائف[١]، وترتيب الرواتب، وإقطاع الجند، والإطلاق من السجون، والرعاية في الغيبة والحضور إلى غير ذلك من تجاوز أمثال الكفاية في الإنزال والمضيف لهم ولأتباعهم، منذ خرجوهم من بيوتهم وإلى حين عودهم إليها، مع مؤاكلة السلطان مدة إقامتهم بحضرته غداءً وعشاءً، والدخول عليه في المحافل والخلوات، ومُلازمته أكثر الأوقات. وإن وجدت لساناً قائلاً فقل! وهم إلى الآن يقلعون بتلك الريح، /١٥٩/ ويستضيئون بتلك المصابيح.

قال الحمدانيّ: ولقد رأيتهم في الوقائع مع من غلب إلاّ نوبة حمص، يعني الكائنة أيام المنصور قلاوون[٢]. فإنّهم أثّروا أثراً حسناً، وعملوا في التتار عملاً جيداً، وقاتلوا قتالاً شديداً. وربّما تقدَّموا الجيش في اللقاء، فكانوا سبب الكرة، يعني المؤدّية إلى النصرة.

قلت[٣]: وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود أنّه رأى آل مرا حين جاءوا تلك الكرة قال: كنت جالساً على [سطح] باب الإسطبل السلطاني بدمشق وقد اقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المُسوَّمة، والجياد المُطَهَّمة، وعليهم الكزغندات الحمر من الأطلس المعدنيّ، والديباج الروميّ، وعلى رؤوسهم البيضُ، مقليدين بالسيوف، بأيديهم الرماح كأنّهم صقور على صقور، وأمامهم العبيد تميل على الركائب، ويرقصون بتراقص المهاري، وبأيديهم الجنائب التي ظلت إليهم عيون الملوك صوراً، ووراءهم الظعائنُ والحمول، قال: وكانت معهم مغنيةٌ لهم تعرف بالحضرمية، وكانت لها سمعة طائرة في زمانها، ورأيتها سافرةً من الهودج وهي تغني[٤]: [من الطويل]

وكنا حَسِبنا كلَّ بيضاءَ شحمةً ... ليالي لاقينا جُذاماً وحِميرا
ولمّا لقينا عُصْبةً تغلَبيّةً ... يقودون جُرداً للمنيَّةِ ضُمَّرا

---

(١) مثل أبي الفداء المؤرخ المعروف الذي حصل على إمارة حماة بشفاعة ابن مهنّا.

(٢) انظر عن وقعة حمص: زبدة الفكرة (وقائع سنة ٦٨٠) يقول بيبرس المنصوري مؤلف الزبدة الذي اشترك في الواقعة بنفسه في الفصل عن «الميمنة المنصورة المنصورية»: «... وفي رأس الميمنة شرف الدين عيسى بن مهنّاوآل فضل وآل مرى وعربان البلاد الشامية ومن انضمّ إليهم... فالتقى الجمعان في الساعة الرابعة من يوم الخميس الرابع عشر من شهر رجب... بالقرب من مشهد خالد بن الوليد».

(٣) الرواية في السلوك ١/ ٣ص ٦٩٠ـ ٦٩١، والصبح ٤/ ٢٠٩ـ ٢١٠.

(٤) ديوان النابغة الجعدي ٧١.

فلمّا قرَعَنا النبعَ بالنبعِ بعضَهُ ببعضٍ أبتْ عِيدَانُهُ أن تَكسَّرا
سَقَيناهُمُ كأساً سَقَوْنا بمثِلها ولكنهم كانوا على الموتِ أصْبَرا

فقال رجلٌ كان إلى جانبي: هكذا يكون وربّ الكعبة! فكان الأمرُ كما قال. فإنّ الكسرة كانت أولاً على المسلمين، ثم كانت النصرة لهم، واستحرّ القتل بالتتار. فسبحان منطق الألسنة، ومصرف الأقدار، فهو الفاعل / ١٦٠/ لما يشاء ـ الفاعل المختار.

وإذ قد انتهينا من ذكر آل ربيعة، فلنذكر ماحضرنا من بقيّة العرب وديارهم فنقول:

بنو خالد: عرب حمص[١] يدعون النسبَ إلى خالد [بن الوليد]. وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه. ولعلهم من ذوي قرابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فخراً أن يكونوا من قريش.

وبنو كلاب: عرب أطراف حلب والروم. ولهم غزوات معلومة، وغارات لاتعد، ولاتزال تباع بنات الروم وأبناؤهم من سباياهم. وهم يتكلّمون بالتركية ويركبون الأكاديش، وهم عرب غزّ، رجال حروب، وأبطال جيوش. ولإفراط نكاياتهم في الروم صنفت السيرة المعروفة بدلهمة والبطال منسوبة إليهم بما فيها من ملح الحديث، ولمح الأباطيل، والكذب فيها يغلب الصحيح. وقد رأيت لعبد الوهاب ذكراً في سواها، فقيل: عبد الوهاب بن نوبخت. وذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر البطال وسمّاه عبد الله الأنطاكي[٢] وذكر أنّه كان ايّام بني مروان، وفيها هلك[٣]، ومصنف هذه السيرة قد

---

(١) انظر: النهاية ٢٤٢.

(٢) أَبُو مُحَمَّد البَطَّال: عبد الله الأنطاكي، أبو محمد: قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية. قيل: اسم أبيه عمرو، واسم جده علقمة. كان مقره بأنطاكية. وكان على طلائع مسلمة بن عبد الملك بن مروان في غزواته. قال له أبوه عبد الملك: صيّر على طلائعك البطال ومره فليعسّ بالليل، فانه أمير شجاع مقدام. وعقد له مسلمة على عشرة آلاف. قال ابن تغري بردي: «شهد عدة حروب وأوطأ الروم خوفاً وذلة» وللعامة حكايات ترويها عنه، من مخترعات القصاصين.
قال الذهبي: كذب عليه جهلة القصّاص وحكوا عنه من الخرافات ما لا يليق. واستشهد في معركة الروم سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م
ترجمته في: النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٢ الوافي ١٧/ ٦٩٦ رقم ٥٨٧، وسير النبلاء ـ خ. المجلد الرابع، وابن الأثير ٥/ ٩١والمسعودي ٢/ ٣٥٣ وفيه أن رومياً أخبره بأن الروم صورت في بعض كنائسها عشرة أنفس من أهل البأس والمكايد في النصرانية، منهم عبد الله البطال، وسمى الآخرين، ودول الإسلام١/ ٥٩ واسمه فيه «عبد الملك» ووفاته سنة ١١٣ واقرأ مقالا عنه لإحسان صدقي العمد، في مجلة الوعي الإسلامي/ شعبان ١٣٩٥ ص ٥٢، الأعلام ٤/ ٧٤.

(٣) في الوافي: وتوفي سنة ١١٣، وقيل ١٢٢.

جعله أيّام بني العبّاس. وذلك حديث خرافة. ولم أقف لدلهمة على ذكر البتة فيما يوثق به. وقد نبهت على هذا ليعرف. قلت: وذكر لي رجال من بني مروان أنّهم ينتسبون إلى عبد الوهّاب هذا.

قال المهمندار الحمداني مامعناه: فأمّا بنو كلاب عرب الروم فقد كانوا ظهروا على آل ربيعة؛ لأن الملك الكامل كان طلب من مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر جمالاً يحمل عليها غلالاً إلى خلاط يقوِّيها بها، فاعتذر بأن الجمال عَزَبَت في البرية، وكان بعض بني كلاب حضوراً لديه، فتكفَّل له بحاجته من الجمال، ووفى بقوله، فحقدها الكامل على مانع بن حُديثة وغنام بن الظاهر، واستوحشا منه، ثم أتياهُ عند أخذهِ آمِدَ فوبخهما /١٦١/ وقال: والله لولا أنكما عربيان لأفعلن بكما الواجب! فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع التقادم وتقربا إليه بالخدمة. قال: وكانت بنو كلابٍ تخدم الملك الأشرف موسى[1] وتصحبه لمتاخمته لبلاد الروم، وكانوا مترصِّدين لِخدَمه، ومعدودين من خدَمَه.

قلت: وكان سلطاننا لايزال متلفتاً إلى تألُّف بني كلابٍ. وكان أحمد بن نصير المعروف بالتتري قد عاث في البلاد والأطراف، واشتدّ في قطع الطريق فأمنهُ، وخلع عليه وأقطعه فانقادت بنو كلاب.

وحكى لي الأمير علاء الدين ألطنبغا أيّام نيابته بالشام أنّ بني كلابٍ أشدُّ العرب بأساً، وأكثرُهم ناساً، ولكنّهم لايدينون لامرىءٍ منهم يجمع كلمتهم. قال: ولو انقادوا

---

(١) المَلِك الأَشْرَف: موسى بن محمد العادل ابن أبي بكر محمد بن أيوب، مظفر الدين، أبو الفتح: من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام.
كان أول ما ملكه مدينة الرها، سيره إليها والده من مصر (سنة ٥٩٨هـ) ثم أضيفت إليه حران.وملك نصيبين الشرق (سنة ٦٠٦) وأخذ سنجار والخابور (سنة ٦٠٧) واتسع ملكه بعد موت أخيه «الملك الأوحد» أيوب، فاستولى على خلاط وميافارقين وما حولهما (سنة ٦٠٩) وجعل إقامته بالرقة، ومع ابن عمه الملك الأفضل صاحب سميساط، وقائع. ثم نزل للكامل عن بعض مملكته، وأخذ منه دمشق (سنة ٦٢٦) وسكنها. مولده بالقاهرة سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م (وقيل: بقلعة الكرك) ووفاته في دمشق سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م. كان شجاعاً حازماً كريماً موفقاً في حروبه وسياسته. من آثاره دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون.
ترجمته في: تاريخ الصالحية ١/ ٩٥ ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٨ وذيل الروضتين ١٦٥ والسلوك للمقريزي ١/ ٢٥٦ والشرفنامه ٩٧ والحوادث الجامعة ١٠٥ والدارس ٢/ ٢٩٢ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/٢١٣ والتكملة لوفيات النقلة ـ خ. ومرآة الزمان ٨/ ٧١١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٠ وانظر فهرسته. وفي مولده رواية ثانية: سنة ٥٧٦، الأعلام ٧ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

لأمير واحدٍ لم يبق لأحدٍ من العرب بهم قبل ولاطاقةٌ. ولما توجه إلى حلب لإمساك طشتمر[١] أتاهُ مشاهيرُ بني كلاب مثل أحمد بن نصير وندي بن ضحاك وغيرهم، فكانوا أعوانه وظهراءه. ولم يزالوا معه حتى حقت عليه النوبة ففارقوه من المعيصرة وكان ذلك بمباطنةٍ من سليمان بن مهنا لهم. وكانوا قد صاروا أحلافاً له، وكان الملكُ الناصرُ قد أمّرَهُ على عرب بني كلابٍ، وجعل عليه حفظ جعبر وماجاورها.

وآل بشار[٢] ديارهم الجزيرةُ والأخصُّ[٣] ببلاد حلب. والأحلافُ منهم حالهم في عدم الانقياد لأميرٍ واحدٍ حال بني كلاب، ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم. وهم على تفرق كلمتهم، وتشتُّت جماعتهم لايزالُ آل فضلٍ منهم على وجلٍ. وطالما باتوا وقلوبُهم منهم ملأى من الحذر، وعيونُهم وسنى من السهر، وبينهم دماءٌ. وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران. وديارهم من سنجار ومايُدانيها إلى البازار قريب الجزيرة العمريّة إلى أطراف بغداد.

غَزِيَّة[٤]، **قال الحمدانيّ**: وهم بطونٌ وأفخاذٌ ولهم مشايخُ، منهم من وفد على السلاطين في زماننا. وهم متفرّقون في الشام / ١٦٢/ والحجاز وبغداد، وفيما بين العراق والحجاز. وأمّا شيوخ غزيَّة الذين في طريق بغداد إلى الحجاز الذين مياههم اليحموم، واللصف، والنخيلة، والمغيثة، مياه البطنين. ومياه الأجود لينة، والثعلبيّة، وزرود[٥].

فمن غزيَّة البطنين، منهم آل دعيج ـ وكان شيخهم مانع بن سليمان قد وفد الديار المصرية سنة ثلاثٍ وستمائة، ويل روق، وآل رفيع[٦]، وآل سريّة،

---

(١) لعلّه طشتمر البدري الساقي الناصري (انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٠).

(٢) النص في الصبح ٤/ ٢٣٢.
عُرفت هذه القبيلة ـ يعني آل بشار ـ فيما بعد بالموالي. تمكنوا من طرد آل فضلٍ عن مضاربهم في البادية السورية في بدايات العصر العثماني والسيطرة على منطقةٍ كانت تمتد بين حماة وعانة من باحية وحرّان من ناحية ثانيةٍ وأسّسوا دولةً بدويةً ذات نفوذ واسع. (انظر عنهم وصفي زكرياء: عشائر الشام م١ ـ ٢، دمشق ١٣٦٣ ـ ١٣٦٦).

(٣) معجم البلدان ١/ ١٤٩، ١٥١ ـ ١٥٢.

(٤) النص في الصبح ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤، والقلائد ٧٨ ـ ٨٨. ورد اسم غَزيّة في ابن حزم ٣٩١، تنتسب غزيّة في زعم القلقشندي إلى طيّىء (الصبح ١/ ٣٢٣، والقلائد ٨٨)؛ انظرعن غزيّة: عباس العزاوي؛ عشائر العراق ٤/ ٧٩ ـ ٨٦، وأنساب السمعاني «الغزوي» ورقة ٤٠٨أ.

(٥) قارن عن البلدان والمياه بمعجم البلدان (تحت المادّة).

(٦) لا تزال هذه القبيلة موجودة حتى اليوم. انظر عنها عبّاس العزاوي: عشائر العراق ٤/ ٨٢ ـ ٨٣.

وآل مسعود، وآل تميم، وآل شمردل ـ هذه البطنين من غزية.

بطون الأجود بن غزية[١]: آل منيع، وآل سنيل، وآل سند، وآل منان، وآل أبي الحزم، وآل عليّ، وآل عقيل، وآل مسافر. هؤلاء هم المشهورون من بطون غزيَّة، والله أعلم. هذا ماذكره الحمدانيّ.

قلتُ: وذكر لي نصر بن برجس المشرقيّ زيادةً: أولاد الكافرة، وساعدة[٢]، وبنو جميل، وآل أبي مالك. وأمّا أحلافُ آل فضل فقد قدمنا ذكرهم فيهم.

وديار آل أجود[٣] منهم الرخيمية، والوقبى[٤]، والفردوس، ولينة، والحدق، وآل عمرو بالجوف. وديار بقاياهم اللصف، والكمن، واليحموم، والإم، والمغيثة. وبينهم ساعدة، ويدارهم من الخضراء إلى برية زرود ـ ولا محيد للركب العراقي عنها، إلى سعارة، إلى النقعاء، إلى الثيب، إلى السائبة، إلى حفر. وخالد ودارها التنومة، وضئيدة، وأبو الزيدان، والقويع، وضارج، والكوارة، والنبوان إلى ساقة العرفة، إلى الرسوس، إلى عنيزة، إلى وضاخ، إلى جبلة، إلى السر، إلى العردة، إلى العشيرية، إلى الأنحل.

وخفاجة وعبادة[٥] عرب بغداد والعراق. وقال ابن عرام[٦]: منازل عبادة من بغداد إلى الموصل. وبمرج دمشق قومٌ من عبادة. وخفاجة من هيت والأنبار إلى الحلة

---

(١) النص في الصبح ١/ ٣٢٣، والقلائد ٨٨، والنهاية ٨٩، ٩٧، ١٦٣.

(٢) لا تزال بنو ساعدة معروفين حتى اليوم. انظر عباس العزاوي: عشائر العراق ٤/ ٨٦.

(٣) النص في الصبح ١/ ٣٢٣، والقلائد ٨٨ـ ٨٩ .

(٤) قارن عن الوقبى: معجم ياقوت ٤/ ٩٣٤، وبلاد العرب للإصفهاني ٢٥٠؛ الفردوس: بلاد العرب للإصفهاني ٢٨٣؛ الحدق: حمد الجاسر (في سراة غامد وزهران) ١٨٧؛ اللصف: معجم ياقوت (لصف)؛ الخضراء: معجم ياقوت، وصفة جزيرة العرب (ط. الرياض ١٩٧٤) ٢٠٠؛ النقعاء: معجم ياقوت ٤ / ٨٠٥؛ الثيب: صفة جزيرة العرب (ط. الرياض ١٩٧٤) ٣١٤، وكتاب المناسك ٤٠٨؛ السائبة: معجم ياقوت ٣/ ٢٥؛ التنومة: معجم ياقوت ٢/ ٩١٢، وصفة جزيرة العرب (ط. الرياض ١٩٧٤) ٢٦٠؛ ضئدة: معجم ما استعجم ٢/ ٨٥١؛ القويع: معجم ياقوت ٤/ ١٩٧؛ ضارج: معجم ياقوت ٣/ ٤٦٠؛ النبوان: بلاد العرب للإصفهاني ٢٨٨؛ ساقة العرفة: بلاد العرب للإصفهاني ٣٧، ٣٩؛ الرسوس: بلاد العرب ٣٧ (الرسّ)؛ عنيزة معجم ياقوت ٣/ ٧٣٧؛ وضاخ: معجم ياقوت ١/ ٣٠٣، ٤/ ٩٣٢؛ جبلة: معجم ياقوت ٢/ ٢٥؛ السرّ: معجم ياقوت ٣/ ٧٦؛ العردة: معجم ياقوت ٣/ ٦٣٨.

(٥) خفاجة وعبادة قبيلتان معروفتان من قبائل عامر بن صعصعة من العدنانية؛ انظر عباس العزاوي: عشائر العراق ٤/ ٨٦ ـ ٩٢.

(٦) انظر النهاية ١١٣.

إلى بئر ملاحا إلى الكوفة، إلى قائم عنقاء والثرثار، إلى المثنى دون البصرة، وهو غاية مرماهم ونهاية بعدهم.

قال الحمدانيّ: إنّهم وفدوا[١] على الدولة الظاهريّة بعد كسرة الخليفة المستنصر المجهز من مصر /١٦٣/ لاستفتاح العراق. وكان كبير جماعتهم خضر بن بدران بن مقلّد بن سلمان بن مهارش العبادي، وشهرى بن أحمد الخفاجيّ في أشياخٍ منهم: مقبل بن سالم، وعيّاش بن حديثة، ووشاح وغيرهم. فأنعم الملك الظاهر عليهم وفتّاهم. ثم كانوا عيناً له على التتار، وأعواناً له للانتصار.

عُربان العذار[٢]: وهم عرب المسيب بالبطائح. وقد كانوا يعصون على الخلفاء وملوك التتار لتمنعهم بالماء والمقاصب المعلقة والأجم المتأشبة ومقدَّمهم ابن رؤوف، وهم من سنبس، والجبور، وآل نطاح، إلى بطونٍ أخرى. وقد صاروا أهل مدرةٍ، وحلال دارة لايبارحونها، ورزقهم مقدر عليهم.

عرب العارض: والعارض وراء الوشم[٣]. والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسّعوا في البرّ، وهم بنو زياد والجميلة، وعرب الخرج[٤]، وهم العقفان والبرحان[٥]. ومن بلادهم البريك والنعام[٦]، وهما قريتان في واد منيع إذا حُصِّن مدخله بسورٍ كان أمنع بلاد الله.

قال ابن عرام: وإلى هذا الوادي أزمع تنكز[٧] على الهرب حين خاف من الملك الناصر. وعليه طريقُ ركب الحسا، وعليه ممر الركب من الحسا والقطيف. وفيه يقول بعضهم: [من الطويل]

---

(١) النص في القلائد ١٢٣، والسلوك ١/ ٢ ص٤٧٦. وانظر عن هذا الوفد بتاريخ الملك الظاهر ٣٣٠، وبزبدة الفكرة لبيبرس المنصوري (سنة ٦٦٢).

(٢) انظر النهاية ١١٣.

(٣) العارض والوشم جبل وموضع باليمامة (معجم البلدان ٣/ ٥٨٥، و٤/ ٩٣٠ـ ٩٣١).
قال ياقوت: الوشم خمس قرى، عليها سور واحد من لبن؛ ومن قرى العارض تشكّلت فيما بعد مدينة الرياض والدرعيّة.

(٤) الخرج: وادٍ باليمامة (معجم ياقوت ٢/ ٤١٩).

(٥) قال القلقشندي في النهاية ١٢٠: ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم إلى قبيلة وعدّهم في عرب الخزرج من عرب بريّة الحجاز.

(٦) انظر معجم ياقوت ١/ ٦٠٠، و٤/ ٧٩٤ـ النص في النهاية ١٢٠.

(٧) هو تنكز سيف الدين أبو سعيد، نائب السلطنة بالشام.
ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٥٥ـ ٦٢، الوافي ١٠/ ٤٢٠ـ ٤٣٥.

لعلَّكَ تُوطِيني نعَاماً وأهلَهُ ولو بانَ بالحُجّاج عنهُ طريقُ

عائذ بني سعد[١]: دارهم من حرمة إلى جلاجل[٢]، والتويب ووادي القرى، وليس [المعني] بالوادي المقارب للمدينة الشريفة النبويّة - زادها الله شرفاً - ويُعرف بالعارِض ورُماح والحفر[٣].

قلت: وحدّثني[٤] أحمد بن عبد الله الواصليّ أنّ بلادهم بلادُ خير ذاتُ زرعٍ وماشيةٍ بقرى عامرةٍ، وعيونٍ جاريةٍ، ونعم سارحةٍ. ولأرضهم بذلك الوادي مَنْعةٌ وحصانة. قال: وقد كان المظفّر بيبرس الجاشَنكير[٥] اهتمّ بقصده واللحاق به والمقام فيه، وأن يكون فيه كواحدٍ من أهله/ ١٦٤/ مرتزقاً من سوائم الإبل والشاء. قال: ثم انثنى رأيهُ عن ذلك آخر وقتٍ، ولو وجه إليه وجههُ كان أحمد لمنتجعه، وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه.

---

(١) بطن من سعد العشيرة من القحطانية. قارن بجمهرة ابن حزم ٤٠٧.

(٢) انظر عن حَرْمَة: معجم ياقوت ٢/ ٢٤٢، وبلاد العرب للإصفهاني ٢٥٦؛ وعن جلاجل معجم ياقوت (تحت المادّة)، وبلاد العرب ٢٥١، ٢٦٢.

(٣) انظر عن رماح، والحَفر ببلاد العرب ٢٦٩، ٢٨٤، ٢٩٤- ٢٩٥.

(٤) النص في النهاية ٣٣٤.

(٥) المُظَفَّر بَيْبَرْس: بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر: من سلاطين المماليك بمصر والشام. شركسي الأصل، على الأرجح. كان من مماليك المنصور قلاوون، ونسبته إليه. وتأمّر في أيامه. وصار من كبار الأمراء في دولة الأشرف خليل بن قلاوون. ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون . بعد مقتل الأشرف، صار بيبرس «أستاذداراً» وتقلبت به الأحوال إلى أن ذهب الناصر إلى الكرك وخلع نفسه من المُلك فألحّ القواد على بيبرس أن يتولى السلطنة. وخاف الفتنة، فتسلطن (سنة٧٠٨هـ) ولقب بالمظفر. وما كاد يستقر حتى جاءه من الكرك أن الناصر يستكثر من الخيل والمماليك.

فبعث إليه يطلبها، فأمتنع الناصر وسجن الرسول وخرج من الكرك، فشاع ذلك في مصر وكان أهلها يميلون إلى الناصر، وقد نفروا من المظفر، وفرّ بعض قواد المماليك من مصر فلحقوا بالناصر، وقوّوا عزمه على الزحف، فدخل الشام وتقدم يريد مصر مهاجماً، فتخلى أنصار المظفر عنه ومضوا لنصرة الناصر.

وانتشرت الفوضى حول المظفر، وكان يكره سفك الدماء، فخرج من دار ملكه يريد مكاناً يأوي إليه بمن بقي معه من مماليكه. وانتهى أمره بأن استسلم للناصر، فلما مثل بين يديه عاتبه الناصر على أمور بدرت منه، فاعتذر، وكان في يد الناصر وَتَر فطوَّق به عنق المظفر إلى أن خنقه، سنة ٧٠٩هـ / ١٣١٠م وكانت مدة سلطنته ١٠ أشهر و٢٤ يوماً لم يهنأ له فيها بال. وهو من خيار المماليك سيرة.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٨/ ٢٣٢- ٢٧٦ والسلوك للمقريزي ٢/ ٤٥- ٧١، ٨٠، الأعلام ٢/ ٧٩- ٨٠.

بنو يزيد[1]: ودارُهم[2] ملهم، وبنيان، وحجر، ومنفوحة، وصباح، والبرة، والعويند، وجو.

المزايدة: دارُهم[3] البخراء، وحرمة، وهي حرمة أخرى غير الذي تقدّم ذكرها، وسبخة الدبيل، والحلوة، والهزيم، والبريك، والنعام، والخرج.

عقيل: وهم من آل عامر[4].

قال الحمداني: وهي غير عامر المنتفق وغير عامر بن صعصعة. قال: ومنهم القديمات، والنعائم، وقبات، وقيس، ودفنل، وحرثان، وبنو مطرق وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية صحبة مقدَّمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، وعوملوا بأتمّ الإكرام، وأفيض عليهم سابغُ الإنعام، ولُحِظوا بعين الاعتناء.

قلتُ: وتوالتْ وفاداتُهم على الأبواب العالية الناصرية، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها، فاستجلبت النائي منهم. وبرز الأمرُ السلطانيُّ إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم، وقصادهم، وتأمينهم في الورد والصدر، فانثالت عليه جماعتهم، وأخلصت له طاعتهم، وأتته بأجلاب الخيل والمهارى، وجاءت في أعنتها وأزمتها تتبارى، فكان لايزال منهم وفود بعد وفود، وكان منزلهم تحت دار الضيافة لايزال يسدُّ

---

(١) قد ذكرهم العمريّ فيما سبق بين بطون عائذ بني سعد العشيرة.

(٢) تقع معظم هذه المواضع المذكورة في اليمامة، وقد ذكرها الحمداني في الفصل عن اليمامة (صفة جزيرة العرب ١٦١ـ ١٦٤)، وياقوت في المعجم. قارن عن: مَلْهَم؛ صفة جزيرة العرب ١٦٢؛ وبنيان؛ ياقوت ٣/ ٣٦٥، وحَجْر؛ ياقوت ٢/ ٢٠٨، ومنفوحة؛ ياقوت ٤/ ٦٦٩، وصُباح؛ ياقوت ٣/ ٣٦٥، وبلاد العرب للإصفهاني ١٣٤، والبَرّة: ياقوت ١/ ٥٩٩، والعويند؛ صفة جزيرة العرب ١٦٣، والجوّ؛ ياقوت (المادّة).

(٣) أسماء هذه المواضع مذكورة عند ياقوت، والأصفهاني. وقارن عن البخراء؛ ياقوت ١/ ٥٢٣؛ وحَرْمة؛ ياقوت ٢/ ٢٤٢، الدَبيل: بلاد العرب للإصفهاني ٢٣٢ـ ٢٣٣. والحلة؛ ياقوت ٢/ ٣٢٢، والهزيم؛ ياقوت ٤/ ٩٧٤، والبريك؛ ياقوت ١/ ٦٠٠، والنعام؛ ياقوت ٤/ ٧٩٤، والخرج؛ ياقوت ٢/ ٤١٩.

(٤) النص في النهاية ١٠٦، والقلائد ١٢٠ـ ١٢١.
ينسب معظم النسّابة المتأخرين آل عامر هؤلاء إلى عامر المنتفق أو عامر بن صعصعة وهذا خطأ كما تبين هنا، بل هم: عامر بن ربيعة بن عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة علاقاتهم مع دولة القرامطة في البحرين معروفة سيطر عليهم في الدولة العثمانية الجبور الذين يعدّون اليوم من بني خالد في الجزيرة العربية.

فضاءَ تلك الرحاب، وتغصُّ بقبابه تلك الهضاب بخيام مشدودةٍ بخيام، ورجالٍ بين قعودٍ وقيام. وكانت الإمرةُ فيهم في أولاد مانع إلى بقيّة أمرائهم وكبرائهم ودارهم[١] الأحساء والقطيف، وملج، وأنطاع، والقرعاء، واللِّهابة، وجودة، ومتالع.

شمر[٢] ولأم[٣] من عرب الحجاز. وديارهم جبلا طيىء، أجأ وسلمى. وظفير من بني لأم ومنزلهم الطعن قبالة المدينة النبوية / ١٦٥/ ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

حرب[٤]: وهي ثلاثة بطون، بنو مسروح وهم بنو سالم، وبنو عبد الله ومنهم زبيد الحجاز، وبنو عمرو وهم أكثر العرب عدداً، وأجرأهم رجلاً باطشةً ويداً ـ ومساكنهم الحجاز.

أما بقيّةُ عرب الحجاز والمصارحة، والمساعيد، والرزّاق، وآل عيسى، ودغم، وآل جناح، والجُبور، فدارُهم تتلو بعضُها بعضاً بالحجاز. وقد تقّدم من ذكر هؤلاء ماتقدّم في آل ربيعة.

وأما أكلُب فبطونٌ كثيرةٌ وهم من خثعم بن أنمار[٥]. وقيل: من ربيعة خثعم. قال الحمداني: ومنهم خليجة، وجماعة قروة، وبنو هزر ـ ومنازلهم بيشة[٦] شرقي مكة

---

(١) انظر عن الأحساء، وملج، ونطاع، أو أنطاع، ومتالع: بلاد العرب للإصفهاني ٣٤٤ـ ٣٤٦؛ تقع هذه المواضع في الطريق من الأحساء إلى البصرة.
وانظر عن اللهابة، والقرعاء: معجم البلدان ٤/ ٣٧٢.

(٢) قال القلقشندي في النهاية ٣٠٨: بنو شمّر بطن من العرب مسكنهم جبل طيّىء.
ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم في قبيلة. أما نسبتهم فمختلفُ فيها ويرى بعض النسابة أنهم من قيس بن ثعلبة بن سلامان (الاشتقاق ٣٩٠ والبعض الآخر أنهم من قيس بن عبد بن جذيمة (البكري)
وانظر عنهم عباس العزاوي ٣/ ٢٠٣ـ ٢١٠،.

(٣) ينتسون إلى لأم بن عمرو بن طريف بن ثمامة بن ... خارجة بن فطرة بن طيّىء (الاشتقاق ٣٨٢)
وانظر عنهم عباس العزاوي: عشائر العراق ٣/ ٢١٠ـ ٢٣٧،.

(٤) النص في القلائد ٩٠. وقارن بالنهاية ٢٣٢ـ ٢٣٣، والصبح ١/ ٣٤١، وجمهرة ابن حزم ٢٧٥.

(٥) لا يصح قول العمري فخثعم ليست من العدنانية كما أن أكلب ليست من خثعم بل من ربيعة الفرس من العدنانية (جمهرة ابن حزم ٣٩١) وكانت مضاربهم مع خثعم وحُسبوا منهم. قال في الجمهرة ٣٩١: أكلب من ربيعة ابن نزار دخلوا في بني خثعم! وقال في الاشتقاق ٢٠: أكلب بطن من خثعم! وعن خثعم انظر: الاشتقاق ٥٢٠ـ ٥٢٣، وجمهرة ابن حزم ٣٩٠ـ ٣٩٢

(٦) قال في معجم البلدان ١/ ٧٩١: وفي بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم، وهلال، وسُواءة بن عامر بن صعصعة، وسلول، وعقيل، والضباب، وقريش.

المعظمة. وأما خثعم[(١)] فمنهم بنو منبه، والفرع، وبنو فضيلة، ومعاوية، وآل مهدي، وبنو نضر، وبنو حام، والموركة وآل زياد، وآل العصافير، والسما، وبلوس، ودارهم غير متباعدةٍ ممّن تقدّم.

قلت: وبالشام من صليبة العرب أقوامٌ شتى في البلاد قد خرجوا بها عن حكم العرب، وصاروا بها أهل حاضرةٍ ساكنةٍ، وعمار ديارٍ قاطنةٍ. فمدينة غزة وبلد الخليل ـ عليه السلام ـ معمور بني تميم الداري ـ رضي الله عنه. وبوادي بني زيد فرقةٌ من بني جعفر بن أبي طالب، وفرقةٌ من بني عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنهما. وبالقدس منهما، وبنابلس كثيرٌ من قحطان وطائفةٌ من مضر بن نزار. وبجينين وبلادها أقوامٌ من حارثة ومن بكر بن وائلٍ. وبجبل عاملة صليبةُ عاملة. وبالأغوار أخلاطُ من الموالي. وبعجلون فرقةُ من بني عمر بن الخطاب. وبالبلقاء منهم، ومن بني أمية ومن غسّان. وبصرخد وبلادها من عامر بن هلال يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب. وبعثليث[(٢)] وماينضمّ إليها من بني أسدٍ. وبزرع[(٣)] وبصرى أقوامٌ من تغلب ومن الأزد. وبأذرعات قوم من بني جمح من قريش، وفي بعض قراها قوم يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي / ١٦٦/ طالب. وباليرموك صليبة من غسان. بنوى [(٤)] قومٌ يذكرون أنّهم من بني المنذر بن ماء السماء. وبالشعراء[(٥)] قوم من بني أُميّة. وباللجون[(٦)] قوم ينتسبون إلى كندة. وبمرج دمشق أخلاطٌ من طوائف العرب. وبحمص قومٌ من غسان. وبحماة أقوام من عبد الدار ومن جهينة وشداد من الأنصار. وبشيزر قومٌ من بني كلب وفرقةٌ من بني مازن. وبالجبل المعروف بالظنيين[(٧)] فرقةٌ من همدان. وبسلمية من بني الحسين بن علي، وبالمعرة صليبة تنوخ، وبحلب وبلادها من بني الحسين بن علي، ومن بني عقيل ومن بني كلاب وكلب [ومن جهينة ومن بني قرة، وبتدمر والمناظر رجالٌ من أسلم وقوم من بني كلب][(٨)] وبالقريتين نفرٌ من بني تغلب. وبالرحبة المعروفة بمالك بن طوق قومٌ

(١) النص في القلائد ١٠٤، والصبح ١/ ٣٣٠.
(٢) عثليث: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٥٢).
(٣) زرع: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٠٨).
(٤) نوى: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٠٥).
(٥) الشعراء: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٠٤).
(٦) اللجون: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٥٤).
(٧) الظنيين: عمل من أعمال الشام (الصبح ٤/ ١٤٨).
(٨) ساقط من الأصل وأكملناه من المصادر الأخرى.

من بكر بن وائلٍ ورجالٌ من مُضر وآخرون من ربيعة ـ وعامة أهلها من أبناء اليهود على مايقال. وذكرتُ هذا مثالاً لااستيعاباً إذ لاقدرة على تحقيقه والإتيان [على جمعه](١).

وأما مصر ودمشق فمصران جامعان ولايخلوان من بيوت العرب وذوي الحسب منهم والنسب.

عرب مصر: قيل، وبدمياط سنبس(٢)، وهم من الغوث بن طيىء. وكان لهم أيام الخلفاء الفاطميين شأنٌ وأيامٌ، وهم الخزاعلة، وجموح، وعبيد، وحلفاؤهم من عذرة فرقة غير من تقدم ذكره ـ ومدلج. وديارُ هؤلاء من ثغر دمياط إلى ساحل البحر. وتجاورهم فرقةٌ من كنانة بن خزيمة أتوا أيام الفائز الفاطميّ في وزارة الصالح بن رزيك ومقدمهم لاحق. ومن ولده قاضي القضاة شمس الدين بن عدلان(٣)، وفرقة من بني عدي بن كعب، وفيهم رجالٌ من بني عمر بن الخطاب ومقدمهم خلف بن نصر العمري، فنزلوا بالبرلس وكانوا هم والكنانيون من ذوي الآثار نوبة دمياط.

قلت: ونحن من ولد خلف بن نصر المذكور، وهو شمس الدولة أبو عليّ. وقد وجد خاصة والوفد الكناني عامة من ابن رزيك / ١٦٧/ فوق الأمل، وحلُّوا محل التكرمة عنده على مباينة الرأي ومخالفة المعتقد. وقد أتيت بذلك مفصلاً في كتاب «فواضل السمر في فضائل آل عمر» قلت: إنما قدمت هذا الفصل لغرضٍ هو تعلقهُ بنسبي وقومي الذين أنا منهم.

قال الحمدانيّ: اول من سكن مصر جذام حيث جاءوا مع عمرو بن العاص، وأقطعوا فيها بلاداً بعضها بأيدي بنيهم إلى الآن. ثم عد من بها بالصعيد من العربان في زمانه، فقال: أولهم(٤) بنو هلال، ولهم بلاد أسوان وماتحتها. ثم بليّ، ولهم بلاد

---

(١) ساقط من الأصل وأكملناه من المصادر الأخرى.

(٢) انظر: البيان ٧ـ ١١ والصبح ١/ ٣٢١ـ ٣٢٢، والنهاية ٢٩٦ـ ٢٩٧، والقلائد ٨٧، ١٣٥.

(٣) ابن عَدْلان: محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكناني: فقيه شافعي مصري، ولد سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م. ناب في الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن في أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفي بالطاعون، بمصر سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م:

له «شرح مختصر المزني ـ خ» بخطه، في فقه الشافعية، بدار الكتب. قال السبكي: لم يكمله.

ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢١٤ وفيه: مولده سنة «نيف» و٦٦٠، ودار الكتب ١/ ٥٢٢ وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٨، وهدية العارفين٢/ ١٥٦، الأعلام ٥/ ٣٢٦ .

(٤) النص في البيان ٢٧ـ ٢٨.

إخميم وما تحتها. ثم جهينة، ولهم بلاد منفلوط وأسيوط. ثم قريش، ثم بلاد الأشمونين. ثم لواثة، ويقال فيهم «لواثا» ولهم معظم بلاد البهنسا. ومنهم أناس بالجيزة وأناس بالمنوفية، وأناس بالبحيرة. وهم قبائل متفرقة يجمعهم لواثة. ثم بنو كلاب، ولهم بلاد الفيوم. قال: وهؤلاء القبائل المشهورة في الصعيد. ثم ذكر جملاً من أحوالهم، وقال:

فأما بنو هلال[١] فيرجعون إلى عامر بن صعصعة من قيس عيلان. وكانوا أهل بلاد الصعيد كلّها إلى عيذاب. وبإخميم منهم بنو قرة. وبساقية قلتة منهم بنو عمرو وبطونهم وهم بنو رفاعة وبنو حجير وبنو غرير. وبأصفون وأسنا بنو عقبة وبنو جميلة. ثم بنو جميلة منهم نجم الدين الأصفونيّ الوزير[٢]. وكان فقيهاً كاتباً عارفاً بأمور الديوان، ضابطاً للأموال، ثقل على الشجاعيّ، وكان مُشدّاً معه ولم تمتدّ له معه يدٌ في مال السلطان. فدَسَّ له سُمّاً في كعكةٍ وأعطى عبداً كان له مائة دينارٍ ليطعمها له بكرة يكون فطرُهُ عليها وأوهمه أنها عملت للتأليف بينهما! فأطعمها ذلك العبد الجاهل سيده فكان فيها حتفه. واحتاط الشجاعي[٣] تركته وأمسك العبد وقتله وأخذ ماكان يملكه/ ١٦٨/ ، ووجد معه الدنانير بصرتها فأخذها.

وأما بلي[٤] فمن قضاعة، وكانوا مفرقين فاتفقت هي وجهينة فصار لبلي من جسر

---

(١) النص في البيان ٢٨.

(٢) عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن علي، أبو القاسم نجم الدين الأصفوني: فرضي، عالم بالحساب، من فقهاء الشافعية. من أهل أصفون (في صعيد مصر) ولد سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م سكن قوص. وحج مراراً، وجاور، فمات في منى ثالث عشر ذي الحجة سنة٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م.
له كتب منها «المسائل الدورية ـ خ» في الجبر والمقابلة، بمكتبة أوقاف بغداد (٤٢٧٢) و «اختصار الروضة ـ خ» جزآن، في فروع الشافعية، قال ابن حجر: مختصر جيد نفيس.
ترجمته في: الدرر الكامنة٢/ ٣٥٠ والشذرات ٦/ ١٦٧ وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٨، وذخائر الأوقاف ٢١١ وفيه وفاته ٧٤٢ خطأ. وكشف الظنون٩٣٠ وعرّفه بالأصبهاني، تحريف، ومخطوطات الظاهرية: فقه الشافعي ٢٥٥، الأعلام٣ / ٣٤٢ ـ٣٤٣.

(٣) سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين: فقيه فاضل، من أمراء الجند بالديار المصرية. ولد بآمد سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، ثم كان من مماليك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس، واخرج في أيام الأشرف خليل ابن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر في أيام العادل كتبغا بحال زرية، فتقدم وولي نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والبلاد الشامية، وطالت أيامه، وبنى جوامع أحدها بغزة، يعرف بالجاولية.
وصنف «كتباً» في الفقه وغيره، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٩ والدرر الكامنة ٢/ ١٧٠، حسن المحاضرة ٢ / ٢٢٢ـ ٢٢٣/ ، الأعلام ٣/ ١٤١.

(٤) النص في البيان ٢٩ـ ٣٣.

سوهاي غرباً إلى قريب قمولة. وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب إلى عيذاب. قال: والموجود اليوم في هذه البلاد من أصول بليّ بن عمرو: بنو هنيٍّ، وبنو هرم، وبنو سوادة، وبنو خارفة، وبنو رايس، وبنو ناب، وبنو شادٍ ـ وهم الأمراءُ الآن ـ وبنو عجيل بن الذيب وهم العجلة وفيهم الإمرة أيضاً. ثم قال: ويقال إنّ بني شادٍ من بني أيمة ـ وصل، يعني إذ طردوا إلى القصر الخراب المعروفة بهم، وكان معه رجلٌ من ثقيف معه قوس فسموه القوس. وذريته يعرفون بالقوسية والقوسة. ودعوتهم لبني شادٍ وهم بطوخ. وكذلك يدعى لهم خلق سواهم منهم هذيل وهم بطوخ أيضاً. ومنهم بنو حماد وبنو فضالة بمنفلوط، وبنو خيار بفرشوط.

وقال: إنّ قوماً زعموا أنّ بني شادٍ من بني العجيل بن الذيب وإنّما هم إخوتهم. وإنما العجيل كان قد تزوج أخت إبراهيم بن شاد فولدت منه ولداً سمته شادياً فوهم الجهلة لذلك.

قال: وقد قال قومٌ: إن عُجيل بن الذيب من ولد الشمر قاتل الحسين ـ عليه السلام وليس كذلك!

وأما جهينة[١] فمن قضاعة. وهم أكثر عرب الصعيد. وكانت مساكنهم في بلاد قريش فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الخلفاء المصريين فهم اليوم في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها. قال: وروي أن بلياً وبطونها كانت بهذه الديار، وجهينة بالأشمونين جيراناً بمصر كما هم بالحجاز، فوقع بينهم واقعٌ أدّى إلى دوام الفتنة. فلمّا أتى العسكر المصريُّ لإنجاد قريش على جهينة خافت بلي فانهزمت في أعلى الصعيد إلى أن أديلت قريش وملكت دار / ١٦٩/ جهينة. ثم حصل بينهم جميعاً الصلح على مساكنهم هذه التي هم بها الآن، وزالت الشحناء.

قلتُ، وفي المثل: «وعند جُهينة الخبر اليقين»[٢]

قال أبو عبيدة: خرج حصن بن عمر بن معاوية بن كلاب ومعه رجلٌ من جهينة فنزلا منزلاً فقتل الجهيني الكلابي وأخذ ماله. وكانت للكلابي أختٌ اسمها صخرة فجعلت تبكيه في المواسم، فقال الأخنس الجهني فيها[٣]: [في الوافر]

---

(١) النص في البيان ٣٢ـ ٣٣.

(٢) انظر: الفاخر للمفضّل بن سلمة ١٢٦، وفصل المقال ٢٩٥ـ ٢٩٦، والمستقصى ٢/ ١٦٩ـ ١٧٠، والأغاني (طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٨١) ص٤، ومجمع الأمثال ٢/ ٤ـ٥.

(٣) انظر: المستقصى ٢/ ١٧٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٣ـ٥ رقم ٢٣٧٣.

كصخرةَ إذ تساءلُ في مراحٍ وفي جرمٍ وأعلمُها ظنونُ
تُساءلُ عن حُصينٍ كلَّ حيٍّ وعند جُهينةَ الخبرُ اليقينُ

وقيل: بل كان جهينة يخدم ملكاً يمانياً، وكان له وزير إذا غاب الملك خلفه الوزير على حظاياه فتبعه جهينة بحيث لم يره، فلمّا جلس الوزير على مقعد الملك في لبسه والحظيّة إلى جانبه غنّى وقد أخذ منهما السكر: [من الوافر]

إذا غابَ المليكُ خلوتُ ليلي أضاجعُ عندَهُ ليلي الطويل
كأن مطارح الوشحاتِ منها هيالٌ يطّردنَ على وَهيل

فلمّا دخل فيهما السكر قام جهينة فقتل الوزير ودفن رأسه تحت وسادة الملك! فلما أتى الملك وفقد الوزير جهد في تعرف خبره، فلم يقف عليه حتى سكر جهينة ليلةً عنده فقال: [من الوافر]

تساءلُ عن نُجيدة كلَّ وقتٍ وعندَ جُهينة الخبرُ اليقينُ

فسمعه بعض الندماء، فأخبر الملك، فأوقفه على الخبر، فأمّرهُ على بلادٍ كثيرةٍ وأجزل له العطاء.

وأما قريش[1] فمنهم الجعافرة، وهم من الزيانبة[2]، ومنهم الزيانبة، ومنهم الشريف تغلب صاحب ذروة سربام، ومسكنُهم المتمرع من بحريّ منفلوط إلى سملوط غرباً وشرقاً. قال: ولهم أيضاً حدود ببلاد أخرى يسيرة. قال: /١٧٠/ وبحرجة منفلوط قومٌ من بني الحسن بن علي[3]. وفي سيوط أناسٌ من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق[4]، ويعرفون بأولاد الشريف قاسم. ثم ذكر بطون الجعافرة فقال: منهم بنو أيمن وهم الحيادرة منسوبون إلى جدّهم حيدرة. ومنهم السلاطنة أولاد أبي جحيش، والإمرة فيهم في بني تغلب[5]. وسمت نفوسهم إلى الملك وخصوصاً الشريف حصن

---

(١) النص في البيان ٣٣ـ ٤١، وانظر: جمهرة ابن حزم ٤٦٤ـ ٤٦٨، والقلائد ١٤١ـ ٥٥١.
(٢) يعني أولاد جعفر الطيّار بل ابن ابنه عليّ الزينبي بن عبد الله بن جعفر الطيّار الذي أمّه زينب بنت عليّ بن أبي طالب. ورد ذكر أولاد عليّ الزينبي هذا في مصر في منتقلة الطالبية ٢٤٠، و٣٠٤ـ ٣٠٥، وترجع معظم أخبار ابن طباطبا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين. (انظر: البيان ٣٤).
(٣) انظر: منتقلة الطالبيّة ١٩٨ـ ١٩٩، و٢٩١ حيث ورد ذكر مَن بالصعيد وبمصر من ولد الحسن بن عليّ.
(٤) انظر: منتقلة الطالبيّة ٢٩٦.
(٥) عن بني تغلب في مصر، أنظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب٣٢.

الدين. وقد كان أنف من إمارة المعزّ والدولة التركيّة، وكاتب الملك الناصر ابن العزيز[١]، وأرسل إليه الفائزيّ الوزير وغيره في جيوش، وكانت له ولهم أيام. وآخر أمره نصب له الظاهر بيبرس حبائل الغدر، وصاده بغوائل المكر حتى شنقه بالإسكندرية.

قال: وهذه نبذةٌ من أخبار الأشراف بالصعيد، وحدوده بلادهم، وبلاد مواليهم وأتباعهم وحلفائهم من بلاد الأشمونين بالصعيد إلى بحريّ إتليدم وماانحدر. ومعظمهم بالذروة.

قال: وأمّا غير الأشراف من قريش الساكنين بالصعيد فمنهم بنو طلحة وبنو الزبير، وبنو شيبة، وبنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو زهرة، وبنو سهمٍ. ومن موالي بني هاشمٍ بنو شيبة وهم بنو قنبر مولى عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.

فأما بنو طلحة[٢]، فمن بني طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق[٣] ـ رضي الله عنه، وهم ثلاث فرق هم وأقرباؤهم، وأطلق على الكلّ اسم بني طلحة. فالأولى بنو إسحاق. ويقال: إنّ اسم إسحاق ليس بجدٍ لهم، ولكنّه موضعٌ تحالفوا عنده سموهُ إسحاق كنايةً ـ كما تحالفت الأزد عند أكمةٍ سموها مذحجاً. والثانية قضا طلحة، وهم بطونٌ كثيرةٌ وأكثرهم أشتاتٌ في البلاد لاحدَّ لهم. والثالثة يعرفون ببني محمد من ولد محمّد بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما. ومنازل بني طلحة / ١٧١/ بالبرجين، وسفط سكرة، وطحا المدينة[٤].

وأما بنو الزبير[٥] فمنهم بنو عبد الله بن الزبير، وهم بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان. ومنهم بنو مصعب بن الزبير، ويعرفون بجماعة محمد بن رواق. وبنو عروة بن الزبير وهم بنو غنيّ وبلادهم بالبهنسا ومايليها، وأكثرهم ذوو معايشٍ وأهل فلاحةٍ وزرعٍ وماشيةٍ وضرعٍ.

وأما بنو مخزوم[٦] فيدعون بنوة خالد بن الوليد. وكذلك ادَّعى ذلك خالد

---

(١) هو الملك الناصر ابن الملك العزيز الأيّوبي (٦٣٤ـ ٦٥٨).
قارن عن مقاومة قريش للمماليك بالسلوك ١/ ٢ ص ٣٨٦ (سنة ٦٥١).

(٢) النص في البيان ٤٠، والنهاية ٣٢٤، والقلائد ١٤٤.

(٣) قال ابن حزم (الجمهرة ١٣٧): فولد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر لهم بنَجْد عقبُ عظيم يحاربون الحسنيين والجعفريين فينتصفون؛ وقد انحدروا في وقتنا هذا إلى أعمال مِصْر.

(٤) زاد في القلائد ١٤٤: وفي البرجاية! وبُرجاية هذه (بضم الباء) لا تبعد عن طحا المدينة الواقعة بالأشمونين إلاّ قليلاً.

(٥) النص في البيان ٤١ـ ٤٢. وانظر أيضاً: النهاية ١٣٥ـ ١٣٦، ٤٢٢، ٢٦٥، والقلائد ١٤٨ـ ١٥٠.

(٦) النص في البيان ٤٢. وانظر: القلائد ١٤٤ـ ١٤٥.

بالحجاز، وخالد حمص، وغير هؤلاء وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه[١] ولعلهم من سواهم. فهم من أكثر قريشٍ بقيةٍ وأشرفهم جاهليّة. بلادهم متاخمةٌ لما بينهم وفيهم بأسٌ ونجدة.

وأما بنو شيبة[٢] فيعرفون بجماعة نهار، وهم من جماعة شيبة بن عبد الدار، وديارهم نواحي سفط[٣] ومايليها ويقاربها ويدانيها.

وأما بنو أمية فمن بني أبان بن عثمان بن عفان[٤]، وبني خالد بن يزيد بن معاوية[٥]، وبني مسلمة بن عبد الملك[٦]، وبني حبيب بن الوليد بن عبد الملك[٧]، وديارهم تندة وماحولها. قال: ومن هؤلاء المراونة من ولد مروان بن الحكم، ولهم قرابات بالأندلس وأشتات في المغرب. ومرت الدولة الفاطميّة وهم بأماكنهم من ديار مصر لم يروع لهم سرب، ولم يكدر لهم شربٌ، وهم إلى الآن.

وأمّا بنو سهم[٨] فمن ولد عمرو بن العاص وهم بالفُسْطاط وفرقٌ منهم أشتاتٌ بالصعيد ولهم حصة في وقف عمرو بن العاص على أهله بمصر. قلتُ: وقد ذكر القُضاعيُّ في «خطط مصر» دور السهميين، قال: وهي حول المسجد حيث كان الفُسْطاط وهو موضعُ المحراب ومايليه من جانبيه إلى حيث السواري القبليّة.

قال: وفي بلاد قريش أخلاط من الناس سواهم. وذكرهم / ١٧٢/ فقال: وأما كنانة طلحة فهي من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهم بنو الليث، وبنو ضمرة ـ وهما ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة[٩]، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن

---

(١) قال ابن حزم (الجمهرة ١٤٨): وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً، وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلّهم في طاعون وقع؛ فلم يبق لأحدٍ منهم عقب.

(٢) النص في البيان ٤٣، وانظر أيضاً: النهاية ٣١٠، والقلائد ١٤٧ـ ١٤٨، والصبح ١/ ٣٥٦، قال ابن حزم ١٢٧: فولد شيبة جماعة مشهورين إلى اليوم.

(٣) زاد في القلائد ١٤٨، والنهاية ٣١٠: سفط وما يليها من البهنساوية.

(٤) النص في البيان ٤٣، وانظر: جمهرة ابن حزم ٨٥.

(٥) انظر: جمهرة ابن حزم ١١٢.

(٦) قال ابن حزم ١٠٣: كان مسلمة ولي العراقين وأرمينية، وله عقب باقٍ بقرب حرّان في حصن يعرف بحصن مسلمة؛ وذكر فيما يلي محدَّثاً من ولد مسلمة دخل مصر، وبعض عقب مسلمة انتقلوا من مصر إلى الأندلس في زمن الحكم المستنصر (٣٥٠ـ ٣٦٦هـ/ ٩٦١ـ ٩٧٦م).

(٧) قال في الجمهرة ٨٩: وهو جدّ الحبيبيين الذين بقرطبة وريَّة، وهم عدد.

(٨) النص في البيان ٤٣. وانظر: جمهرة ابن حزم ٤٦٤.

(٩) انظر: جمهرة ابن حزم ٤٦٥. والنص في البيان ٤٦ـ ٤٧.

الحارث بن مالك بن كنانة[1]. وفي بني فراس يقول عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لبعض من كان معه: لوددت أن لي بألفٍ منكم سبعةً من بني فراس بن غنم بن ثعلبة! قال: ولم تمكنهم قريش من التعدية إلى بلادها إذ أتوا من بلاد بادية الحجاز إلاّ بمراسلة بني إبراهيم بن محمد. وكان مع كنانة جماعة من أخلاط العرب دخلت في لفيفها، وديارهم ساقية قلتة ومايليها، وبنو الليث ومنهم خاصةً سكان ساقية قلتة.

وأمّا الأنصار[2] فمنهم بنو محمدٍ وبنو عكرمة بحريّ منفلوط. قال: وبنو محمّدٍ من بني حسّان بن ثابت ـ رضي الله عنه. وبنو عكرمة ينتمون إلى سيّد الأوس سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه.

وأمّا عوف فمن بني سليم. وفي سليم عوفٌ أخرى[3]. قال: ومنهم في الصعيد، والفيّوم، والبحيرة أناس كثير. وفي برقة إلى الغرب منهم مالايحصى.

وأما فزارة فمن سعد بن قيس عيلان: فمنهم جماعةٌ بالصعيد وجماعةٌ بضواحي القاهرة في قليوب وماحولها، وبهم عرفت البلدُ المسماةُ بخراب فزارة.

قال: وقد مضى ذكر قريش ومن ساكنها.

وأما لَوَاتَة[4] ـ وهم يقولون: إنهم من قيس بن غطفان بن سعد بن قيس. وقال بعض النسابين[5]: هم من ولد بر من ولد قيذار بن إسماعيل كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه وقال له: البر البر! اذهب يابر! فما أنت بر! فأتى فلسطين فتزوج امرأةً من العماليق فولد له منها أولاد منهم لواتة، ومزاتة، وزُنّارة[6]، وهوارة، وزويلة[7]، ومغيلة، ومليكة، / ١٧٣/ وكتامة، وغمارة، ونفوسة. وكانوا من ذوي جالوت، فلمّا قتل دخلوا المغرب. وقيل: إن البربر من ولد قفط بن حام! وقيل غير هذا كله.

---

(١) انظر: جمهرة ابن حزم ٤٦٥.

(٢) النص إلى آخر قريش في البيان ٤٧ـ ٤٩.

(٣) عدّهم المقريزي في البيان ٤٨.

(٤) النص في البيان ٤٩ـ ٥٣، وانظر أيضاً: الصبح ١/ ٣٦٤ـ ٣٦٥.

(٥) انظر الاختلاف في نسب البربر: بجمهرة ابن حزم ٤٩٥، والصبح ١/ ٣٦٠ـ ٣٦١، وابن خلدون ٦/ ١٨١ـ ١٩٢.

(٦) انظر: الصبح ١/ ٣٦٥، وقال ابن خلدون ٦/ ١٠: إحدى بطون لواتة.

(٧) زويلة عند مؤرخي العرب ليست بقبيلة ولكن قاعدة ملك بني خطّاب الهوّاريين ببرقة (رحلة التجاني ١١٢، ابن خلدون ٦/ ٢٠٤، ٣٩٤). قال ياقوت ٢/ ٩٦٠ـ ٩٦١: وبزويلة قبر دعبل بن عليّ الخزاعي الشاعر؛ قال بكر بن حمّاد:

الموت غادر دعبلاً بزويلة ... بأرض برقة أحمد بن خصيب

عاد الحديث إلى لواثة. وهم بنو بلار وحدو خاص، وبنو مجدول[١]، وبنو حديدي، وقطوفة، وبركين، ومالو، ومزورة. قال: وبنو حديدي مجمع أولاد قريش، وأولاد زعازع ـ وهم أشهر من في الصعيد. وقطوفة تجمع مغاغة وواهلة، وبركين تجمع بني زيد وبني روحين، ومزورة تجمع بني وركان وبني عرواس.

قال: وأمّا بنو بلار ففرقتان، فرقة بالبهنساوية، وفرقة بالجيزية. فالفرقة البهنساوية بنو محمدٍ، وبنو عليّ، وبنو نزار، ونصف بني ثهلان. وأمّا الفرقة التي بالجيزية فبنو مجدول، وسفارة، وبنو أبي كثير، وبنو الجلاس، ونصف بني ثهلان. قال: (ويقال لهذه الفرقة حدو خاص) ويقال للأولى البلارية. ومنهم مغاغة ولهم سملوط إلى الساقية. ولبني بركلين أقلوسنا ومامعها إلى بحري طنبدي. ولبني حدو خاص الكفور، وسفط بوجرجة إلى طنبدي وإهريت. ومنهم بنو محمدٍ وبنو عليٍّ المقدم ذكرهما. وأمراؤهم بنو زعازع.

قال: ومزورة[٢] بنو وركان، وبنو عراوس، وبنو جماز، وبنو الحكم، وبنو الوليد، وبنو الحجاج، وبنو المحربية.

قال: ويقال: إنّ بني الحجاج من بني حماس، ولهذا يؤدون معهم القطائع. وقال: وبنو نزار في إمارة بني زعازع، وهم من بني زربة. ومنهم نصف بني عامر، والحماسنة، والضباعنة. وأفرد قومٌ منهم لإمارة تاج الملك عزيز بن ضبعان ثم ولده. ومنهم أيضاً بنو زيد وأمراؤهم أولاد قريش. ومساكنهم نويرة دلاص. وكان قريش عبداً صالحاً كثير الصدقة، وهو والد سعد الملك الباقي بنوه.

قال: وفي المنوفيّة من لواثة أيضاً جماعةٌ يأتي ذكرهمٌ في مكانهم.

/ ١٧٤/ قال: وبالصعيد من لخمٍ[٣] قومٌ سكنهم بالبرِّ الشرقيّ. ومنهم من بني سماك بنو مُرّ، وبنو مليح، وبنو نبهان، وبنو عبس، وبنو كريم، وبنو بكر. ويدارهم من طارف ببا إلى منحدر دير الجميزة من البر الشرقيّ. ومنهم من بني حدّان بنو محمد، وبنو عليّ، وبنو سالم، وبنو مدلج، وبنو عبس. وديارهم من دير الجميزة إلى ترعة صول. ومنهم من بني راشد بنو معمر، وبنو واصل، وبنو مرا، وبنو حبّان، وبنو معاذ، وبنو البيض، وبنو حجرة، وبنو سنوة. وديارهم من مسجد موسى إلى أسكر ـ ونصف بلاد

---

(١) النص في البيان ٥٣ـ ٥٦، والصبح ١/ ٣٦٤ـ ٣٦٥، والقلائد ١٧٢ـ ١٧٥.
(٢) انظر عنهم: النهاية ٤٢٠.
(٣) النص في البيان ٥٩ـ ٦٢، والقلائد ٦٩ـ ٧١، والصبح ١/ ٣٣٤ـ ٣٣٥.

أتفيح. ولبني البيض الحيّ الصغير. ولبني سنوة من ترعة شريف إلى معصرة بوش. ومنهم من بني جعد بنو مسعود، وبنو جرير، وبنو زبير، وبنو نمال، وبنو نصار، وسكنهم ساحل أتفيح. ومنهم من بني عديّ بنو موسى، وبنو محرب. ومساكنهم بالقرب منهم، من بني بحر بنو سهل، وبنو معطار، وبنو فهم، وبنو عشير، وبنو مسند، وبنو سباع ـ ومسكنهم الحيّ الكبير. ومنهم قسيس ومساكنهم بلاد الأسكر. ولبني غنيم منهم العدوية ودير الطين إلى جسر مصر. ومنهم بنو عمرو، ومساكنهم من الرستق، ولهم نصف حلوان. ولبني حجرة النصف الثاني، ونصف طرا.

وأما عرب الحوف[(١)] فمنهم جذام[(٢)]. وجذام من كهلان من اليمن. وقد قيل: إنهم من ولد يعفر بن مدين بن إبراهيم الخليل[(٣)] ـ عليه السلام. وروى محمّد بن السائب أنّه وفد على رسول الله ـ ﷺ ـ وفد من جذام فقال[(٤)]: مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى. وزعم بعضهم أنهم معدٌّ وفي ذلك يقول جنادة بن خشرم: [من الوافر]

ألا مَنْ مبلغُ المضرينِ أنا ... غضبنا كل أجوفَ كالهلال
وما قحطانُ لي بأبٍ وأم ... ولا يصطادُني شَبَهُ الضلال
وليسَ إليهمُ نَسبي ولكنْ ... مَعَدّياً وجدتُ أبي وخالي[(٥)]

/ ١٧٥/ قال: ومن إقطاعهم هربيط، وتل بسطة[(٦)]، ونوب، وأم رماد وغير ذلك. وجميع إقطاع ثعلبة كان في مناشير جذام من زمن عمرو بن العاص، وإنّما السلطان صلاحُ الدين وسّع لثعلبة في بلاد جذام، ولذلك كانت فاقوس وماحولها لهلبا سويد.

قال: ونبدأ قبل كل شيءٍ بولد زيد بن حرام بن جذام: وهم سويد، وبعجة، وبرذعة، ورفاعة، وناتل[(٧)]. ومن هؤلاء بطونٌ كثيرةٌ فمنهم هلبا مالك، ومالك هو ابن سويد. ومنهم الحسنيون، والغوارنة ـ وهم أولاد الحسن والغور ابني بكر بن موهوب بن

---

(١) قال في معجم البلدان ٢/ ٣٦٥: «والحوف بمصر حوفان الشرقي والغربي وهما متصلان».
(٢) النص في البيان ١١ـ ١٩، والصبح ١/ ٣٣٠ـ ٣٣٤، والقلائد ٥٤ـ ٦٩.
(٣) قال ابن حزم في الجمهرة ٨ ـ ٩: وأمّا الذين يسمونهم العرب والنسابون العرب العاربة كجرهم... فليس على أديم الأرض أحدٌ يصحَّح أنه منهم... وكذلك سائر ولد إبراهيم... كمدين بن إبراهيم.
(٤) انظر: الطبري ١/ ١٧٤٠ـ ١٧٤٥، وجمهرة ابن حزم ٥١٠.
(٥) البيتان الآخران في الصبح ١/ ٣٣٠، والنهاية ٢٠٦، والقلائد ٥٥.
(٦) قال في معجم البلدان ١/ ٦٢٤: بسطة بالفتح أو بالضم كورة بمصر من أسفل الأرض.
(٧) انظر عن بعجة، برذعة، رفاعة، وناتل: الطبري ١/ ١٧٤٣ـ ١٧٤٤، وجمهرة ابن حزم ٤٧٧، ٤٢١.

عبيد بن مالك بن سويد. ومنهم بنو أسير، وهو ابن عبيد بن مالك بن سويد. ومنهم العقيليّون، وهم بنو عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد ـ وفيهم إمرةٌ، وهم في نجمٍ وبنيه. وفيهم من أمر بالبوق والعلم، وهو أبو رشد بن حبشيّ بن نجم بن إبراهيم بن مسلم بن يوسف بن وافد بن غدير بن عقيل بن قرّة. ودحية وثابت ابني هانيء بن حوط بن نجم بن إبراهيم.

عدنا إلى بقية بطونهم. ومنهم اللبيديون، ومنهم البكريون. وعدَّ من أحلافهم أولاد الهويرية، والرداليين، والحليفيين، والحُصينيين والربيعيين. قال: ويعرفون بحلف بني الوليد، وهم أولاد شريف النجّابين. وذكر أن لهم نسباً في قريش إلى عبد مناف بن قصي. وذكر من ولد الوليد بن سويد طريف المكنون الملقب رزين الدولة[1]. قال: وكان من أكرم العرب، وكان في مضيفته أيام الغلاء اثنا عشر ألفاً تأكل عنده كل يوم. وكان يهشم الثريد في المراكب. ومن أولاده فضل بن شمخ بن كمونة، وإبراهيم بن غالي، وأمر كل منهم بالبوق والعلم.

عدنا إليهم. ومنهم الحيادرة من ولد حيدرة بن معروف بن حبيب بن الوليد بن سويد، وهم طائفة كبيرة. وبنو عمارة بن الوليد، وفيهم عددٌ. ولهم البيروم. والحيّيون من بني حية بن راشد بن الوليد. وأولاد منازل ـ وكان منهم /١٧٦/ معيد بن منازل، وأمر ببوق وعلم.

وهلبا سويد. ومنهم العطويون، والحميديون، والجابريون، والغثاورة. ويقال لهم أولاد طراح المكوس. وحمدان، وورومان، وحمران، وأسود ـ ويعرف هؤلاء الأربعة بالأخيوة، واللكين، والقتلان.

قال: ومن بطون الحميديين أولاد راشد. ومنهم البراجسة، وأولاد سرير، والجواشنة، والكعوك، وأولاد غانم، وآل حمود، والأخيوة، والزرقان، والأساودة، والحماديون. ومن بني راشد الحراقيص، والحنافيش، وأولاد غالي، وأولاد جوّال، وآل زيد. ومن النجابية أولاد نجيب، وبنو فضل.

قال: ومن ولد مالك بن هلبا بن مالك بن سويد نمي أبو خثعم، وأقطع خثعم وأُمِّر، اقتنى عدداً من المماليك الأتراك والروم وغيرهم، وبلغ من الملك الصالح أيوب منزلةً. ثم حصل عند الملك المعزّ على الدرجات الرفيعة، وقدمه على عرب الديار المصرية. ولم يزل على هذا حتى قتله غلمانهُ، فجعل المعزُّ ابنيه سلمى ودغش عوضه،

(١) قال في القلائد ٦٠: «وبطريف هذا تعرف نوب طريف من بلاد الشرقية».

فكانا له نعم الخلف. ثم قدم دغش دمشق فأمره الملكُ الناصر ببوقٍ وعلم، وأمر المعزُّ أخاه سلمى كذلك فأبى حتى يؤمر مفرج بن سالم بن راضي مثله! فأمره! ثم أمر مزروع بن نجم كذلك ـ في جماعةٍ كثيرةٍ من جُذامٍ وثعلبة. قال: فهذه هلبا سويد بأنفارهم.

قال: وأما هلبا بعجة بن زيد بن سويد بن بعجة فهم هلبا، ومنظور، ورداد، وناتل. فمن ولد هلبا مفرج بن سالم المقدم ذكره. ثم خلفه على إمرته ولده حسان. ومنهم أولاد الهريم من بني غياث بن عصمة بن نجاد بن هلبا بن بعجة. وجوشن صاحب السراة المضروب به المثل في الكرم والشجاعة من منظور بن بعجة. والغويثية في عدد ردّاد بن بعجة.

قال: ولناتل البئر المعروف ببئر ناتل على رأس السرة. ومن ولده مهنا بن علوان بن عليّ بن زبير بن حبيب بن /١٧٧/ ناتل. وكان جواداً، كريماً طرقته ضيوفٌ في شتاءٍ ولم يكن عنده حطبٌ يقدُهُ لطعام أراد أن يصنعهُ لهم فأوقد أحمال بر كانت عنده وكان له كفر برسوط بنواحي مرصفا. وبنو رديني، وهم من بني رديني بن زياد بن حسين بن مسعود بن مالك بن سويد. ومنهم أولاد جيّاش بن عمران ولهم تلٌّ محمد.

وأما أولاد محرية أخي زيد ـ وهو ابن أمية، وقيل: مية، وقيل: ليس هو بأخي زيد بل هو ابن زيد بن أمية أو مية، وقيل: هو وزيد ابنا الضبيب. وقيل: بل الضبيب ابو أمية. ومن بني محرية أخي زيد رفاعة بن زيد بن ذؤيب[1] جدّ بني روح، وهو الذي وفد على النبي ﷺ ـ وعقد له على قومه فتوجّه إليهم فأسلموا على يديه. ووهب لرسول الله ﷺ مدعماً العبد ـ صاحب الشملة التي فيها الحديث[2] ـ الذي قتل بخبير.

ومنهم الشواكرة من شاكر بن راشد بن عقبة بن محرية. ولهم شنبارة بني خصيب. ومنهم أولاد العجار أدلاء الحاج من زمن السلطان صلاح الدين وهلم جراً إلى الآن. ومنهم حميدة بن صالح بن أسد بن عقبة. وفي عقبة هذا عدد يعرفون به. وفرقةٌ منهم بالحجاز من واصل بن عقبة.

قال: فيما نقله عن المحدثين من ذوي المعرفة ـ كما قال ـ إنّ عمرو بن مالك بن الضبيب، وعسرة وزهير، وخليفة، وحصن أفخاذٌ من الضبيبين، وأنّ بني خليفة وحصن قد انضافوا إلى بني عبيد بالحلف، ولهم موضعٌ من حقوق هربيط يعرف بالأحراز.

---

(١) الطبري ١/ ١٧٨٠ـ ١٧٨١، والاستيعاب ٥٠٠ رقم ٧٧٦، وأسد الغابة ١٨١.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٧٢.

قال: وأما زهير فأكثرهم بالشام، والذين بمصر امتزجوا بولد زيد، وهم بحريّ الحوف إلى مايلي أشموم، ومنهم بنو عرين.

قال: ومن بني جُذام بنو سعد. وفي جذام خمس سعود: سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وسعد بن مالك بن زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جُذام، وإليه ينسب أكثر السعديين. وسعد بن مالك بن حرام بن جُذام. /١٧٨/ وسعد بن أبامة بن عنيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام. وسعد بن مالك بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام.

قال: والخمسة اختلطت عندنا بمصر وأكثرهم مشايخ بلادٍ وخفراؤها، ولهم مزارعُ، ومآكل، وفسادهم كثيرُ. من مقدميهم أولاد فضْل السلاجمة وسكنهم من منية غمر إلى زفيتا، ومنهم شاور الوزير العاضديّ وإليه ينسب بنو شاور كبار منية غمر وخفراؤها. وذكر ابن خلّكان أنّه من سعد حليمة مُرضع النبيّ ﷺ[١]. ومنهم بنو عبد الظاهر الموقعين[٢]. قلت: رأيته ينسب نفسه إلى روح بن زنباع. ومنهم أهل برهمتوش ومشايخها، ومن هؤلاء بنو شاس.

قال[٣]: وفي بني سعد عشائر كثيرة منهم بنو شاس، وجوشن، وعلان، وفزارة بني سعد تل طنبول إلى نوب طريف. ومنهم بدقدوس، ودمريط، ووليه، ولسوس. وهؤلاء جميعهم ديارهم ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية. وبالإسكندرية من جذام ولخم أقوام ذوو عدد وعدة، وأهل شجاعة وإقدام، وضرب بالسيف ورشق بالسهام. ولهم ايام معلومة، وأخبار معروفة، ووقائع في البر والبحر مشهورة. وبرشيد القراططة، ومصفونة من مزديش. وبالبحيرة، والغربيّة طوائف من مزاتة. وبقليوب طوائف من فزارة، ومنهم بنو بعاية، وفيهم أعيان ودراهم أطراف الشرقية ومامأخذ شرقاً وقبلة.

وأما العائذ فكثير في العرب[٤]. والمشهور منها بمصر عائذ جذام. وبالحجاز عائذ ربيعة. وأما عائذ فرير فلما تنافرت ثعلبة وجذام ادّعوا في ثعلبة.

وبالمنوفيّة ـ كما تقدم ـ فرقة من لواثة[٥]، منهم بنو يحيى، والوسوة وعدة، ومصلة، وبنو مختار.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩ رقم ٢٨٥. (٢) انظر: الوافي ١٧/ ٢٥٨ـ ٢٩٠.

(٣) انظر: البيان ٢٢، والصبح ١/ ٣٣، والقلائد ٦٣.

(٤) انظر: البيان ١٩ـ ٢٠، والصبح ١/ ٣٣٣، والنهاية ٣٣٣، والقلائد ٦٤ـ ٦٥.

(٥) النص في البيان ٥٦. وانظر أيضاً: القلائد ١٧٤ـ ١٧٥، والصبح ١/ ٣١٦.

/ ١٧٩/ قال: ومعهم في البلاد أحلاف من مزاتة، وزنارة، وهوارة، وبني الشعرية ـ إلى قوم آخرين: ومن زنّارة: مزديش، وبنو صالح، وبنو مسام، وزمران، وورديغة، وعرهان، ولقان. ومن هوّارة بنو محريش، وبنو اشراث، وبنو قطران، وبنو كبريث.

وأما ثعلبة مصر والشام فمن طيىء[١]. وفي كل من خندف، وقيس، ومراد، ويمن وثعلبة. قال: وكانوا كما ذكر ـ يعني ثعلبة مصر ـ يداً مع الفرنج قديماً، لكنّني لم أرهم إلا غزاةً مجاهدين لهم آثارٌ في الفرنج. وهي بطنان: درما، وزريق ـ ابنا عوف بن ثعلبة. ويقال: بل ابنا ثعلبة لصلبه. واسم درما عمرو، وإنما غلب عليه اسم أمه درما. ومن أفخاذ درما بمصر: سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس. ومن أفخاذ زريق بها أشعث ولبنى.

قال: وثعلبة، وعنين، ونيل إخوة، الثلاثة أولاد سلامان.

قال: ومن درما البقعة، وسبل ـ ولد نافع ـ قروان. والحنابلة وجدهم حسين. والمراونة جدهم مروان. والحيانيون من ولد حيّان بن درما. ومن زريق بنو وهم، والطلحيون. وفي الطلحيين آل حجّاج، وآل عمران، وآل حصيناة، والمصافحة، وكان مقدمهم سقير بن جرجي، وأمر بالبوق والعلم. عدنا إلى بني زريق. ومنهم الصبيحيون. وفي الصبيحيين الغيوث، والرموث، والروايات، والنمول، والسحميين، والسعالى، وهم بنو حصن، والرمالى، والوريثيين، والسنديين، والبحابحة.

عدنا إلى بني زريق. ومنهم العقيليّون، والمساهرة، والجحافرة. ومنهم العليميون ـ وكان مقدمهم عمرو بن عسيلة وأمر بالبوق والعلم. وفي العليميين القمعة، والرياحين بني مالك، والفرقة المعروفة بالأشعث بن زريق. وفيهم رجال ذوو ذكر ونباهة، خدموا الدول، وعضدوا الملوك، / ١٨٠/ وقاموا ونصروا.

قال: ومن ثعلبة الجواهرة ـ جماعة سنجر بن عمر بن هندي

وأما بنو بياضة، والأحادسة فبقطيا. وبنو صدر بالبدريّة، وهو طريق البرّ من الشام إلى مصر.

وأما حرام ففي جذام[٢]، وقليل في عرب مصر من يعرفها. وفي الخزرج حرامٌ وحرام. قال: ومايدري أحدٌ من أيهما هذه التي بمصر. وفي خندف حرامٌ، وفي تميم

---

(١) مرّ ذكرهم فيما قبل، النص في الصبح ١/ ٣٢٢ـ ٣٢٣، والبيان ٣ـ ٤، والقلائد ٨٥ ـ ٨٧.

(٢) النص في البيان ٦٢ـ ٦٣.

حرامٌ. قال: وحرامٌ هذه القاطنة بمصر من الخزرج، وهم بنو حيّة وبنو ذبيان. قال: وهم أشتات بمصر وفيهم مشايخُ بلاد، وخولة، وقضاةٌ، وفقهاء، وعدول. وليست لهم دارٌ خاصةٌ ولامكانٌ معروف. وقد عد الحمدانيُّ جماعةً منهم ليس فيهم شهير.

وفي الدقهلية(١)، والمرتاحية عربٌ يدعون الجمارسة، وقوم ينسبون إلى قريش، وهم نفر من بني عذرة ـ وهم من كنانة بن عذرة لا كنانة بن خزيمة، ومنهم بنو شهاب، وبنو زيدة، والرواشدة، وهم غير رواشدة هلبا سويد، وبنو عصا، وبنو محمد، وبنو سنان، وبنو حمزة، وبنو فراس، وهم بمنية محمود، ومنية عدلان. وبنو لأمٍ وليسوا بلأم الحجاز، وبنو شمسٍ، والفضليون ـ وقرارتهم كوم الثعالب وما داناها. وبها فرقٌ من عمرو وزهير المقدم ذكرهم. والحصنيين. ورذالة، والأحامدة ـ وليسوا بأحامدة هلبا، والحمارنة ـ وهم بنو حمران، وبعضهم أصحاب إقطاع. وفي بني زهير هؤلاء من بني عزيز، وبني شبيب، وبني عبد الرحمان، وبني مالكٍ، وبني عبيد غير عبيد المقدم الذكر، وبني عبد القوي، وبني شاكر ـ وهم غير شاكر عقبة، وبني حسن، وبني شمّاء ـ وهم غير شمّاء آل ربيعة.

بنو سليم(٢) ـ وهم أكثر قبائل قيس. قال: ومساكنُهُم ببرقة مما يلي الغرب وممّايلي مصر. وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد، / ١٨١/ والإمرةُ فيهم في أولاد عزاز بن مقدم. ومنهم مزيد بن عزاز(٣) ـ وكان رجلاً جليل القدر، جميل الذكر، معظّماً في الدول. وبنوه زايد، وحميد، وريّان، وكلُّهم كرامٌ، سراةٌ، أماجدُ. وعطاء الله بن عمر بن عزاز ـ وكان للقرى والقراع، مطاعاً في قومه، وهو أبو خالد. وهم أل بيت فيهم عددٌ جمٌّ من ذوي القدر. وبنوه معز وعُمر. ومن المشاهير منهم علويّ بن إبراهيم بن عزاز، وسلطان بن زيدان بن عزاز، وعمر بن مشعل بن عزاز. ومن أكابر جماعاتهم جماعة ابن مليح المنصوريّ أصحاب غازي بن نجم، وعليان بن عريف، وبلبوش ـ وكان قد هرب من الملك الظاهر بيبرس فأنهد جيشاً وراءه فقاتله، ثم نصر الجيشُ عليه وأمسك واعتقل، ثم أفرج عنه. وهو والد زيد بن بلبوش، وجماعة سعيد بن العريب بن الأحمر يقاربه. ومن ذوي مخالفيهم جماعة محمد الهواري.

---

(١) النص في البيان ٦٣ـ ٦٥.

(٢) انظر: عن سليم: البيان ٦٥ـ ٧٣، والصبح ١/ ٣٤٥ـ ٣٤٦، والنهاية ٢٩٤ـ ٢٩٥، ونشوة الطرب ٢/ ٥١٩ـ ٥٢٥، وقارن بالمقدمة ص٤٩، والعبر ٦/ ١٤١ـ ١٧٤.

(٣) ذكره في الروض الزاهر (تحقيق الخويطر) ص٢٦٨، في حوادث سنة ٦٦٤.

قلت: وكان آخر عهدي أن الإمرة على عربان البحيرة لقائد بن مقدم وخالد بن أبي سلمان ـ وكانا أميرين سيدين جليلين، ذوي كرم وأمنٍ يلاذ به ويتحرم إلى شجاعةٍ وإقدامٍ، وثبات رأيٍ وأقدام، ثم لم أعلم ماحالتْ به الأحوال، وجرت بعدي به تصاريفُ الدهور.

فأما منازل العرب من لدن الجيزية ضاحية القاهرة على البحيرة آخذاً إلى أقصى الغرب، فسأذكر منه ماأملاه الشيخ المقرئ الورعُ أبو يحيى زكرياء المغربي أحد الأئمة بقلعة الجبل ـ حرست.

قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب[1]: جماعة قائد: زنارة، ومزاتة، وخفاجة، وهوارة، وسماك ـ ومنازلهم من الإسكندريّة إلى العقبة الكبيرة. ثم لبيد[2] ـ وهم /١٨٢/ جماعةُ سلام: فزارة، محارب، قطاب، الزعاقبة، بشر، الجواشنة، والبعاجنة، القبايص، أولاد سلمان، القصاص، العلاونة ـ ومنازلهم من العقبة الكبيرة إلى سوسة.

ثم جماعة جعفر بن عمر وهم[3]: قتيل، المثانية، الباسة، عرعرة، العظمة، العكمة، المزابيل، العزة. ومن جملة هؤلاء العزة الجعافرةُ جماعةُ جعفر بن عمر. ومنهم البداري أيضاً. وكذلك منهم السهاونة، والجلدة منهم أيضاً، وكذلك منهم أولاد أحمد أيضاً. ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة ـ وهي آخر حدود الديار المصرية. ومسافتها عن الإسكندريّة نحو شهرٍ بسير القوافل. ثم منها طيموم العلاونة ـ وهم غير أولئك، المهاملة، بنو بدر، ناصرة. وانتهاؤهم إلى قصر ابن أحمد في طرف مسراتة من الساحل. ومن القبلة أرض فزان وودان ـ وحكمها لأرض البرنو السودان. ومسافة مابين بئر السدرة وبين مسراتة عشرة أيام.

ومنهم[4] من أرض مسراتة إلى بلاد طرابلس سليمان[5] جماعة غانم بن زايد، ولهم الأرض من مسراتة إلى باب مدينة طرابلس. ثم من طرابلس إلى قابس ذباب[6]،

---

(١) النص في البيان ٧١.
(٢) عن بطون لبيد، انظر: القلائد ١٢٥ـ ١٢٦.
(٣) النص في البيان ٧١ـ ٧٢.
(٤) انظر عن سليم بن مسراته وطرابلس المقدمة لابن خلدون ص٤٩.
(٥) انظر: النهاية ١١٢.
(٦) قال في نشوة الطرب ٢/ ٥٢٢: ومنازلهم برأس إفريقية في جهة طرابلس، وقارن عنهم بالعبر ٦/ ١٦٧ـ ١٧٤.

وهي تجمع المحاميد والجواري جماعة عبد الله بن صابر وملغم بن صابر ـ وليسوا بأخوين بل هم بنو عمّ من القبيلة.

قال الشريف أبو عمر عبد العزيز الحسني الإدريسي ـ وهو من أهل غرناطة وله تعلقٌ بخدمة السلطان أبي الحسن المريني، قال: ذباب مشيختهم لعبد الله بن رفيعة وأخيه إبراهيم، وأصلهم من سليم، وأرضهم من طرابلس إلى قابس، ويجاورهم في هذه الأرض الجواري، والمحاميد. وشيخ الجواري عبد الله بن سعيد، وشيخ المحاميد عطية بن سعيد.

ثم تنقسم الطريق من قابس، فطريقُ جنوبيةٌ على الجريد، وطريق شمالية على الساحل. فالجنوبيّةُ الآخذةُ على الجريد أول قبائلها آل حجر وفيهم عدّة أشياخٍ ومنهم مرغم وذؤيب ابنا جعفر، وسفيان بن عطاء الله ورثيمة بن يخلف ـ وأرضهم من قابس إلى بشري[١] وتأخذ في الساحل على الثنية / ١٨٣/ وبينهم أولاد صورة ومشيختهم في ابن مهلهل وأخيه جرموز.

قال: وهم فرقة يسيرة وبينهم الكعبيون ويعرفون بالكعوب ـ وهم أكبر بيت بإفريقية من العرب، ومشيختهم في قوم يعرفون بأولاد أبي الليل وهم أربعة إخوة: يعقوب، وأحمد، وخالد، وقتيبة. [ويجاورهم قومٌ] هم أعداء لهم يعرفون بأولاد أبي طالبٍ، ولهم شيوخ شتى، يعقوب ومحمد ابنا طالب، وبنو عمهم سمير بن عبد الله، ويعقوب بن الحصين، والحاجّ علي بن شيحة. وأرضهم من بشري إلى بسكرة. ولهم في داخل البلاد إلى باب تونس، ولهم أماكن بها.

ويليهم فرقة كبيرةٌ تعرف برياح[٢]. وفيهم ملك العرب القديم بالمغرب، وشيخهم يعقوب بن علي بن أحمد ـ وكان أبوه في غاية الكرم بعث إليه ملك إفريقية بثلاثين حملاً من البز الرفيع والتحف السنية فوهبها ثلاثة من المستعطين لوقته. ويجاوره ابنا عمه حلوف بن علي بن جابر ونطاح أخوه ـ وهم أهل إبلٍ يكون عند الرجل منهم نحو ستين ألف بعيرٍ. هكذا ذكر وعليه عهدته!

قال: ويليهم عرب الغرب الداخل وأول بلادهم وطاة حمزة[٣]، وسكانها فرقة يسيرة تعرف بمغراوة تنزل حول قلعة حماد. ويليهم عرب بلاد ريغو ووراكلة[٤]. وهما

---

(١) رحلة التجاني ١٤٢، ١٥٣، ١٧٣. (٢) انظر: نشوة الطرب ٢/ ٥٠٠.

(٣) وطن حمزة في العبر ٦/ ٨٩.

(٤) قال في العبر ٦/ ٩٢١: ومن بلاد الصحراوية قرىٰ ريغة وواركلى.

مدينتان داخلتان في الصحراء، وهم من فزارة وشيخهم طلحة بن معهود. قال: وهو رجل من أولياء الله والصالحين من عباده، وتنتهي أرضهم إلى المدية في الساحل. ويليهم سويد وشيخهم عريف بن عبد الله أبو زيدان، وهو رجل جليل القدر، نبيهُ الذكر، وافر العقل، مشارك في أنواع العلم والأدب والتاريخ والمعرفة بأيام العرب، ووقائع الناس، وصحبته في الحج سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، فرأيت منه مايملأ الصدر، ويقر العين، وهو بمنزلة من السلطان أبي الحسن المريني لاتطاول ولاتحاول، ولا /١٨٤/ يطمع بها طامح ولاطامع. وينتهي حدُّهم إلى تافيللت من ارض سجلماسة. قال هذا الشريف: ولأبي زيدان عدو من بني عمه يسمى صقير بن عبد الله[1]. قال: وهو أكبر سناً منه وحسباً. ويليهم عرب تعرف بالفرايض يملكون إلى البحر المحيط وبلادهم حاحا، وركراكة، وشفشاوة، ومسوفة.

ومسوفة هذه أهل لثام وبرقع أزرق لاتزال تمشي الرجال بتلك البراقع والنساء مكشفات الوجوه. قال: وسبب براقعهم إظهار الحزن على المهدي بن تومرت.

قال: وأمّا الطريق الثانية الشآميّة الآخذة من قابس على الساحل فغالب أهلها بربر، ومصامدة سكان مدرة وأهل زرع وحرث.

قال: يلي آل حجر الآخذين من قابس إلى إسفاقس فيما هو إلى المهدية طائفة تعرف بحكيم وشيخهم سحيم[2]، وكان قد دخل الأندلس غازياً وحضر يوم طريف. ولهذه الطائفة إلى القيروان.

ويليهم دلاج. وكان شيخهم الحمير، ثم قتل وقام ولداه عبد الله ويحيى ابنا الحمير[3]. قال: وهم رماة يرمون بقوس اليد رمياً صائباً، ولهم تفرد بذلك دون بقية عرب الغرب. وأرضهم من سوسة إلى الحمامات إلى الجزيرة القبلية إلى تونس.

ويليهم طائفة من البربر من تونس إلى تبسة إلى بلد العناب. قال: وهؤلاء من هوارة، ولهم أشياخ كثيرة، ومرجعهم إلى أولاد حمزة والكعوب.

ويليهم طائفة أخرى زراع من البربر وألهاصة[4] ـ وشيخهم صخر بن موسى.

---

(١) اسمه في العبر ١٠٠، ١٠٩، ١٣٢: صغير بن عامر!.

(٢) هو سحيم بن سليمان بن يعقوب بن عبد الله بن كُثير بن حرقوص بن فائد... بن حكيم (العبر ٦/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٣) ورد اسم الحمير في العبر ٦/ ١٤٤ لكن ابن خلدون يذكر الحمير كأسم لبطنٍ قبليٍّ شقيق لدلاّج وليس شيخاً لهم.

(٤) ألهاصة: في الجمهرة ٤٩٧؛ ولهاصة: في العبر (الفهارس).

ويليهم سدويكش[١]. وبلادهم من قسطنطينية[٢] إلى بجاية. وشيخهم عبد الكريم بن منديل[٣]. وله اعتلاق بخدمة السلطان (أبي) الحسن.

ويليهم في جبال زواوة بربر من بني حسن، وزواوة.

ويليهم أرض متيجة[٤]، وسكانها بنو عبد الواد أصحاب تلمسان، وبنو عيّاد[٥]، وفرقة تعرف بمغراوة[٦]. قال: ومغراوة نحو ثلاثين ألف فارس.

/ ١٨٥/ ويليهم تجين[٧] وهم بأرض تلمسان على وادي شلف[٨].

قال: وكلّهم من بني عبد الواد وهم من زناتة. ويليهم بإفراطة من تلمسان إلى فاس.

وأما مسون[٩] فخاليةٌ من العرب.

ويليهم من فاس إلى مرّاكش رياح أيضاً ثم المصامدة من مرّاكش إلى البحر المحيط.

فهذا ماذكره الشريف أبو عمر عبد العزيز الإدريسي. وحدّثني بذلك كلّه في صفر سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة.

وأما عرب الطرق المسلوكة التي تتوجه فيها المحامل إلى مكة المعظّمة. فقد ذكرنا فيما تقدّم أنها أربعة طرق، ولاتقصد مكّة غالباً إلاّ منها. وهي أربع جهاتٍ: مصر، ودمشق، وبغداد، وتعزّ. وقد ذكرنا آنفاً من العربان الذين بهذه الطرق من ملاكها ومن يتحكم عليهم إذا حلّ بأرضهم كآل فضل، وآل مرا، وبني عقبة من لم يكن بُدٌّ من ذكره فيما تقدم. ونحن الآن نسوقُهم طريقاً طريقاً وفريقاً فريقاً فيكون أوضح إذ ذكرُ هذه الطرق وعربانها من المهم المقدم.

---

(١) انظر عن سدويكش: العبر لابن خلدون ٦/ ٣٠٣ـ ٣٠٦.

(٢) ورد في المصادر بأشكالٍ مختلفة: قسطنطينة عند الإدريسي ٣/ ٢٥٦. قسنطينية عند ياقوت، وقسطنطينة في العبر ٦/ الفهارس.

(٣) انظر العبر ٦/ ٣٠٥.

(٤) انظر العبر ٦/ ٤٠٦.

(٥) يعدّ ابن خلدون بني عيّاد من سدويكش (العبر ٦/ ٣٠٣).

(٦) قال ابن خلدون في العبر ٦/ ٢٠٣: «وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زنانة. كان لمغراوة وبني يفرن... ثم صار لبني عبد الواد.

(٧) ربما تجين عند الإدريسي ٣/ ٢٥٧، وتوجين عند ابن خلدون (العبر ٦/ الفهارس) واحد.

(٨) قارن بالإدريسي ٣/ ٢٥٣، والعبر ٦/ الفهارس.

(٩) وادٍ بين فاس وتلمسان (الإدريسي ٣/ ٢٤٧).

فأما طريق الركب المصري[1]: من القاهرة إلى عقبة أيلة لعايذ، ومن العقبة إلى الدأماء مادون القصب لبني عقبة، ومن الدأماء إلى أكدى وهي فم الضيقة لبليٍّ، ومن أكدى إلى نما ـ وهي آخر الوعرات ـ لجهينة، ومن نما على نهاية بدر على الفرعاء وإلى نهاية الصفراء على نقب عليٍّ لبني حسن أصحاب الينبع، ويليهم أقاربهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج[2] في طرف قاع البزوة[3].، ومن الصفراء إلى الجحفة ورابغ لزبيد الحجاز. ومن الجحفة على قديد وماحولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لسليم. ومن الثنية على خليص المشرفة على عسفان للشريف جسّار من بني حسن[4] ومن الثنية المشرفة على عسفان إلى الفجّ وهو المسمى بالمحاطب لبني جابر. وهم في طاعة صاحب مكة المعظّمة، وبني حسن.

وأما طريق الركب الشامي[5]:

* * *

(١) النص في البيان ٧٢، والصبح ٤/ ٢٨٤.

(٢) بلاد العرب للإصفهاني ١٧٠.

(٣) المعروف هو قاع البزواء. انظر: حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة ١٩٦؛ ورحلة ابن بطوطة ١/ ٢٩٦ـ٢٩٧.

(٤) هو جسّار بن أبي دُعيج بن أبي نُميّ محمد بن أبي سعد الحسني المكي (العقد الثمين ٤١١).

(٥) بعده بياض في الأصل وهو نهاية المخطوط.

مصادر ومراجع التحقيق

● **أئمة اليمن**: محمد زبارة، محمد بن يحيى بن عبد الله الصنعاني (ت نحو ١٣٨٠هـ) ج١، ط تعز ١٩٥٢

● **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**: عبد الرحمن بن زيدان ١ـ ٥، ط الرباط ١٣٤٧ـ ١٣٥٢هـ.

● **إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**: للمقريزي. تحقيق: محمّد حلمي محمّد أحمد، القاهرة ١٩٧١ـ ١٩٧٣.

● **الإحاطة**: في أخبار غرناطة: لابن الخطيب، ط مصر ١٣١٩هـ، ثم (ج١) ط بمصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

● **الأحكام السلطانية**: للماوردي، أبي الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب، تحقيق: محمّد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

● **أدب الدنيا والدين**: للماوردي. تحقيق: مصطفى السقا. بيروت ١٩٨١.

● **أخبار مصر**: للمسبّحي، محمّد بن عبيد الله، تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، القاهرة ١٩٧٨.

● **أخبار مكّة**: وما جاء فيها من الآثار: للأزرقي، أبي الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد، ط مكة ١٣٥٢هـ / ١٣٥٧م.

● **الأدلة البيّنة النورانية عن مفاخر الدولة الحفصية**: لأحمد الشماع، ط تونس.

● **آل ربيعة الطائيون**: لفرحان أحمد سعيد، بيروت ١٩٨٣.

● **أزهار الرياض في أخبار عياض**: لأحمد بن محمد المقري، ط مصر ١٣٥٨ـ ١٣٦١هـ.

● **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**: أحمد بن خالد الناصري السلاّوي، ط مصر ١٣١٢هـ، وط٢/ الدار البيضاء ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

● **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البرّ القرطبي، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، ط القاهرة حوالي ١٩٦٠.

● **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير، المكتبة الإسلامية بطهران حوالي ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

● **الاشتقاق**: لابن دريد، أبي بكر محمّد بن الحسن الأزدي، ط جوتنجن ١٨٥٤م، ثم تحقيق عبد السلام محمّد هارون، القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

● **الإصابة في تمييز الصحابة:** لابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن عليّ بن محمّد، ط مصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ثم مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ.

● **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:** خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين ـ بيروت ط٤/ ١٩٧٩م.

● **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام:** لسان الدين ابن الخطيب، نشر قسم منه: حسن حسني عبد الوهاب ط الرمو ١٩١٠، القسم الثاني منه: في أخبار الجزيرة الأندلسية، ط في رباط الفتح ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤ ثم في بيروت ١٩٥٦م، بإسم (تاريخ إسبانية الإسلامية).

● **الأغاني:** لأبي الفرج الأصفهاني، ط الساسي بمصر ١٣٢٣هـ، ثم طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٣٧١ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٥٢ـ ١٩٧٤م، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

● **الإكليل للهمداني:** أبي محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب: (الجزء ١). تحقيق محمّد بن عليّ الأكوع الحوالي، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

● **الإمارات العربية في بلاد الشام:** لمحمّد مرسي الشيخ، الإسكندرية ١٩٨٠.

● **الإمارة الطائية في بلاد الشام:** لمصطفى الحياري، عمّان ١٩٧٧.

● **أمالي المرتضى:** للشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، ط مصر ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، وط مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

● **أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل:** للحر العاملي، ط حجرية مع كتاب «منهج المقال في أحوال الرجال» ط كربلائي مهر حسين الطهراني ١٣٠٧هـ.

● **أنباء الزمن في أخبار اليمن:** يحيى بن الحسين بن المنصور بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ) القسم الأول من سنة ٢٨٠ـ ٣٢٢هـ، تحقيق محمد عبد الله ماضي، ط ليبتسج ١٩٣٦.

● **الإنباه على قبائل الرواه:** لابن عبد البرّ القرطبي، نشرة مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

● **أنساب الأشراف:** للبلاذري، أحمد بن يحيى (الجزء ١). تحقيق: محمّد حميد الله، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٩.

● **الأنساب:** للسمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور.

نشرةD.S.Margoliouth، لندن ١٩١٢. (Gibb Memorial Series 20).

● **الإيناس في علم الأنساب**: للوزير، الحسين بن عليّ بن الحسين، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٨م.

● **البدء والتاريخ**: المنسوب لأحمد بن سهل البلخي، وهو لمطهر بن طاهر المقدسي، ط شالون ١٩١٦.

● **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: لابن إياس، ط مصر ١٣١١هـ، وقسم آخر في استانبول ١٩٣١، ١٩٣٢، ثم تحقيق محمّد مصطفى، فيسبادن ١٩٧٥.

● **البداية والنهاية**: لأبي الفدا، الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ط مصر ١٣٥١ـ ١٣٥٨هـ ، ثم ط١ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٦٦م.

● **البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع**: للشوكاني، ط مصر ١٣٤٨هـ.

● **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: لابن عميرة الضبي، ط مجريط ١٨٨٤.

● **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: لجلال الدين السيوطي، ط مصر ١٣٢٦هـ.

● **بلاد العرب**: للإصفهاني، الحسن بن عبد الله. تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

● **بلوغ المرام في شرح مسك الختام، فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام**: للحسني بن أحمد العرشي ختم حوادثه سنة ١٣١٨هـ، وزاد عليه الأب انستاس ماري الكرملي فأوصله إلى سنة ١٣٥٨هـ، ط مصر ١٩٣٩م.

● **بناء مدينة زبيد في اليمن**: طاهر مظفر العميد، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ٣/ ١٩٧٠ ص ٣٤٠ـ ٣٦٠.

● **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية**: في عهدهما، ط الهيئة المصرية ـ الاسكندرية ١٩٨٠.

● **بهجة الزمن**: تاج الدين، عبد الباقي بن عبد المجيد (ت ٧٤٤هـ) نشر: مصطفى حجازي ـ القاهرة ١٩٦٥.

● **البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب**: للمقريزي، تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١.

● **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**: لابن عذارى المراكشي، ط ١

و٢ في ليدن ١٩٤٨ و١٩٥١، والثالث باريس ١٩٣٠ والرابع تطوان ١٩٥٦.

● **البيان والتبيين**: للجاحظ، ط مصر ١٣٦٧ـ ١٣٦٩هـ ثم بتحقيق: عبد السلام هارون، ط العلمية بمصر ١٣١١ـ ١٣١٣هـ.

● **تاريخ آداب اللغة العربية**: جرجي زيدان، ط مصر ١٩١٣ـ ١٩١٤.

● **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم (٣٩٦) ونشره حسام القدسي ـ القاهرة ـ وتحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

● **تاريخ الأمم والملوك، (تاريخ الطبري)**: لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ط مصر ١٣٢٦هـ، ثم مط الاستقامة بمصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.

● **تاريخ أولجايتو**: لأبي القاسم، عبد الله بن محمّد القاشاني. تحقيق: M. Hambly، تهران ١٣٤٨هـ/ ١٩٦٩م.

● **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ) ط مصر ١٣٤٩هـ،

● **تاريخ ثغر عدن**: لأبي محمد، عبد الله بن الطيب بامخرمة (ت ٩٤٧هـ) تحقيق: أوسكر لو فجرين، ط ليدن ١٩٣٦.

● **تاريخ حلب**: لابن العديم، تحقيق سامي الدهّان، دمشق ١٩٥١ـ ١٩٦٨.

● **تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتد أو الخبر.**

● **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: حسين بن محمد الديار بكري، ط مصر ١٢٨٣هـ.

● **تاريخ الدول والملوك**: لابن الفرات (الجزء ٤). مخطوط:
Osterreichische Nationalbibliothek Wien, Flugel No 814

● **تاريخ الدول والملوك**: لابن الفرات (الجزء ٨). تحقيق قسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٩.

● **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**: لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي، تحقيق: محمد ماضور، ط تونس ١٢٨٩هـ، ثم ط المكتبة العتيقة ـ تونس ١٩٦٦م.

● **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**: لحمزة بن الحسن الأصفهاني. تحقيق

J.M.P. Gottwaldt، لايبزغ ١٨٤٤ـ نشرة ثانية على أساس هذه الطبعة ببيروت ١٩٦١.

- **تاريخ الصالحية= القلائد الجوهرية.**
- **تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك.**
- **تاريخ العراق بين احتلالين**: عباس العزاوي، ط بغداد ١٣٥٣ـ ١٣٧٦هـ.
- **تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار**: لمحمد بن رافع السلامي، ذيّل به على تاريخ ابن النّجار، انتخبة التقي الفاسي المكي، ط بغداد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: لابن عساكر، ط ١٩٥١، ١٩٥٤ وما بعدها، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **تاريخ مدينة صنعاء**: أحمد بن عبد الله الرازي، تحقيق: حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زّكار، ط بيروت ـ صنعاء ١٩٧٤.
- **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**: أيمن فؤاد سيد، ط القاهرة ١٩٧٤م.
- **تاريخ الملك الظاهر**: لابن شدّاد، عزّ الدين محمّد بن عليّ. تحقيق: أحمد حطيط، فيسبادن ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. (النشرات الإسلاميّة ٣١).
- **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**: لابن جماعة، بدر الدين. تحقيق وترجمة:

H. Kofler, Islamica 6-7 (1933- 1935) pp. 353-414, 1-64..

- **تذكرة الحفاظ**: للذهبي، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٣ـ ١٣٣٤هـ.
- **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**: لابن عبد الظاهر، محيي الدين. تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١.
- **التعريف بابن خلدون**: لابن خلدون، ط مصر ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- **التعريف بالمصطلح الشريف**: لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ط القاهرة ١٣١٢هـ ثم تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **التكملة لوفيات النقلة**: إملاء الحافظ زكي الدين، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

● **تهذيب تاريخ دمشق**: لعبد القادر بدران، ط دمشق ١٣٢٩ـ ١٣٥١هـ.

● **تهذيب التهذيب**: لابن حجر العسقلاني نشرة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد ـ الدكن ١٣٢٥ـ ١٣٢٧.

● **التيجان في ملوك حمير**: لابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك، نشرة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ـ الدكن ١٣٤٧.

● **جذوة الاقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس**: لابن القاضي، ط فاس ـ حجري ١٣٠٩هـ.

● **الجغرافية**: لأبي الحسن، علي بن موسىً بن سعيد المغربي، تحقيق: إسماعيل العربي، ط الجزائر ١٩٨٢.

● **جمهرة الأمثال**: لأبي هلال العسكري تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، القاهرة ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

● **جمهرة أنساب العرب**: لابن حزم الأندلسي ط مصر ١٩٤٨، ثم تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، القاهرة ١٩٦٢.

● **جمهرة النسب لابن الكلبي** Caskel, W.: Gamharat an-Nasab.Das genealogische Werk des Hisam ibn Muhammad al-Kalbi (1- 2), Leiden 1966.

● **جمهرة النسب**: لابن الكلبي (الجزء ١). تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. (التراث العربي ٢١).

● **حذف من نسب قريش**: لمؤرج بن عمرو السدوسيّ. تحقيق: صلاح الدين المنجّد، القاهرة ١٩٦٠.

● **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، ط مصر ١٢٩٩هـ، ثم تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

● **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم الإصبهاني، ط مصر ١٣٥١هـ.

● **الحماسة لأبي تمام**: حبيب بن أوس الطائي (الجزء ١). تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

● **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**: المنسوب لابن الفوطي، ط بغداد ١٣٥١هـ.

● **خريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب**: للعماد الاصفهاني، تحقيق: محمد العروسي المطوي وآخرون ـ ط تونس.

● **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: لعبد القادر بن عمر البغدادي، ط مصر ١٢٩٩هـ.

● **خلاصة تاريخ تونس**: حسن حسني عبد الوهاب، ط تونس ١٣٧٣هـ.

● **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**: لأبي عبد الله بن محمد الباجي المسعودي، مط الدولة التونسية ١٢٨٣هـ.

● **دائرة المعارف الإسلامية**: نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس. ط مصر ١٩٣٣ـ ١٩٥٧م.

● **درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة**: لعبد القادر بن محمد الأنصاري الحنبلي (ت نحو ٩٧٧هـ) ط السلفية ـ القاهرة ١٩٦٥.

● **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ط حيدرآباد ـ الدكن ١٩٤٥ـ ١٩٥٠م، ثم تحقيق: محمّد سيِّد جاد الحقّ، القاهرة ١٩٢٢م، ثم ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٦م.

● **درة الحجال في أسماء الرجال**: لأحمد بن محمد، ابن القاضي ، ط الرباط.

● **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**: لابن الدواداري = كنز الدرر الجزء ٨. تحقيق: هارمان، القاهرة ١٩٧١.

● **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**: لحمزة بن الحسن الإصبهاني تحقيق: عبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٧١ـ ١٩٧٢.

● **الدليل الشافي على المنهل الصافي**: لأبي المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط مركز البحث العلمي ـ مكة ١٩٨٣.

● **دولة اليمن الزيدية ـ نشأتها ـ تطورها ـ علاقاتها**: محمد عبد الله ماضي، المجلة التاريخية المصرية ٣/ ١٩٥٠ ص ١٥ـ ٣٥.

● **ديوان زهير بن أبي سلمى**: نشرة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٩٤٤.

● **ديوان زياد الأعجم**: انظر: شعر زياد الأعجم.

● **ديوان أبي الطيِّب المتنبّي**: بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى بالتبيان في شرح الديوان: تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة بدون تاريخ.

● **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**: تحقيق: محمد يوسف نجم، بيروت ١٣٧٨/ ١٩٥٨.

● **ديوان النابغة الجعدي**: تحقيق عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت بدون تاريخ.

● **ذخيرة الدارين فيما يتعلق بسيدنا الحسين**: للسيد عبد المجيد، ط حجرية النجف ١٣٤٥هـ.

● **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**: لتقي الدين، أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) تحقيق: جمال الدين الشيّال، ط القاهرة ١٩٥٥.

● **ذيل الروضتين**: لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي، ط مصر ١٣٦٦هـ.

● **ذيل تاريخ دمشق**: لابن القلانسي، أبي يعلى حمزة. تحقيق H.F.Amedroz، ليدن ١٩٠٨.

● **ذيل تجارب الأمم**: للروذراوري، أبي شجاع (الجزء ٣). تحقيق: H.F.Amedroz، القاهرة ١٩١٢.

● **ذيل جامع التواريخ رشيدي**: لحافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله. تحقيق خانبابا بياني، تهران ١٩٣٨.

● **ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين**: لابن جرير الطبري، ط مصر ١٣٢٦هـ في آخر كتابه «تاريخ الأمم والملوك».

● **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظّار، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**: ط القاهرة ١٩٣٩م. ثم ط دار بيروت - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

● **رحلة التجاني في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي**: أبي محمّد عبد الله. تحقيق: حسن حسني عبد الوهّاب، تونس ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م. ط٢/ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - جامعة فرانكفورت - ألمانيا الإتحادية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

● **رحلة العبدري، أبي عبد الله، محمّد المسمّاة الرحلة المغربيّة. تحقيق محمّد الفاسي، الرباط ١٩٦٨.**

● **رغبة الآمل من كتاب الكامل**: وهو شرح لكتاب الكامل للمبرد: لسيد بن علي المرصفي، ط مصر ١٣٤٦-١٣٤٨هـ.

● **الرنوك على عصر سلاطين المماليك**: أحمد عبد الرزاق، المجلة التاريخية

المصرية ٢١/ ١٩٧٤ ص ٦٧ـ ١١٦.

● **الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام**: للإمام المحدّث عبد الرحمن السهيلي. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

● **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**: لابن عبد الظاهر، محيي الدين. تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦.

● **الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**: لياسين بن خير الله العمري. تحقيق: رجاء محمود السامرائي، بغداد ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

● **الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة**: لأبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن (١/ ١ـ٢). تحقيق: محمّد حلمي محمّد أحمد، ومحمّد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٦ـ ١٩٦٢.

● **الروض المعطار في خبر الأقطار**: محمد عبد المنعم الحميري (ت أوائل القرن الثامن الهجري) تحقيق: إحسان عباس ط١/ كلية لبنان ـ بيروت ١٩٧٥.

● **زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر**: لصفوان بن إدريس التجيبي المرسي، ط بيروت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

● **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن**: محمد بن حاتم اليامي تحقيق: ج. ركس. سميث، ط بيروت ١٩٧٤ ص ٢٠١ـ ٥٦٨.

● **السلوك لمعرفة دول الملوك**: للمقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد تحقيق: محمّد مصطفى زيادة وآخرين، القاهرة ١٩٥٦ـ ١٩٧٢.

● **سمط اللآلي**: يحتوي على «اللآلي في شرح أمالي القالي» لأبي عبيد البكري و«شرح ذيل الأمالي وصلة ذيلة والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما» و«فهارس سمط اللآلي» تنسيق وتعليق: عبد العزيز الميمني، ط مصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

● **سير أعلام النبلاء**: للذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وما بعدها.

● **السيرة النبوية**: لابن هشام. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وتحقيق: محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤ـ ١٩٧٣م.

● **سيرة الهادي إلى الحق**: علي بن محمد العلوي، تحقيق: سهيل زكّار ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٢.

● **السيف المهنّد في سيرة الملك المؤيّد شيخ المحمودي**: لبدر الدين العيني، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة ١٩٢٦ـ ١٩٢٧.

● **شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية**: لمحمد بن مخلوف، ط مصر ١٣٤٩هـ .

● **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لأبي الفلاح، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) نشر: حسام الدين القدسي، ط القاهرة ١٣٥٠ـ ١٣٥١هـ، ثم ط المكتب التجاري ـ بيروت [دت].

● **شرح الأشعار الستة الجاهلية**: للوزير أبي بكر، عاصم بن أيّوب البطليوسي (الجزء ١). تحقيق ناصيف سليمان عواد، بغداد ١٩٧٩.

● **شرح ديوان الحماسة**: للتبريزي، ط مصر ١٢٩٦هـ.

● **شرح شواهد المغني**: للسيوطي، ط مصر ١٣٢٢هـ.

● **شعراء النصرانية**: لويس شيخو، ط بيروت ١٩٢٦.

● **شعراء النصرانية بعد الاسلام**: لويس شيخو، ط بيروت.

● **شعر زياد الأعجم**: جمع وتحقيق ودراسة: يوسف حسين بكّار، بيروت ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

● **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة، أبي محمّد عبد الله، ط مصر ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م، ثم تحقيق: أحمد محمّد شاكر، القاهرة ١٣٦٤هـ، ثم ١٩٦٦م.

● **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**: لأحمد بن إبراهيم الحنبلي: تحقيق: ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٩.

● **صبح الأعشى**: للقلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، ط الأميرية ـ القاهرة [دت]، ثم نشرة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٣٣٢/ ١٩١٤.

● **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**: لمحمد بن عبد الله بن بليهد النجدي. ط مصر ١٣٧٠ـ ١٣٧٢هـ.

● **صفة جزيرة العرب**: للهمداني، أبي محمّد الحسن بن أحمد. تحقيق: حمد الجاسر، الرياض ١٣٩٤/ ١٩٧٤. (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ١٧).

● **صفة الصفوة**: لأبي الفرج ابن الجوزي، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٥٥هـ.

● **صورة الأرض**: لابن حوقل النصيبي، تحقيق: ي. هـ. كرامس، ط ليدن

١٩٣٨م.
● **طبقات الأمم**: لصاعد بن أحمد الأندلسي. تحقيق: الأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت ١٩١٢.
● **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين، أبي نصر، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي (ت ٧٧١هـ). ط البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٣ـ ١٩٧٦.
● **طبقات فحول الشعراء**: لمحمّد بن سلاّم الجمحي. تحقيق: محمود محمّد شاكر، القاهرة ١٩٧٤.
● **طبقات فقهاء اليمن**: لعمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت بعد ٥٨٦هـ). تحقيق: فؤاد سيد، ط السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٧.
● **الطبقات الكبرى لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**: للشعراني، ط مصر ١٢٧٦هـ.
● **الطبقات الكبير**: لابن سعد. تحقيق E. Sachau وآخرين، ليدن ١٩٠٥ـ ١٩٤٠.
● **الطرائف الأدبية**: للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧.
● **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**: لابن رسول، الملك الأشرف عمر بن يوسف. تحقيق K.W.Zettersteen، دمشق ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.
● **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**: لابن خلدون، ط مصر ١٢٨٤، ١٣٥٥هـ، ثم منشورات دار الكتب اللبناني، بيروت ١٩٥٩.
● **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب. تحقيق**: عبد الله كنون، القاهرة ١٩٥٦.
● **عشائر الشام**: لأحمد وصفي زكريا. الطبعة الثانية، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
● **عشائر العراق**: لعباس العزّاوي. بغداد ١٩٣٧ـ ١٩٣٨.
● **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**: للفاسي، تقيّ الدين محمّد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ). تحقيق فؤاد سيّد، القاهرة ١٩٥٩ـ ١٩٦٨.
● **العقد الفريد**: لابن عبد ربّه. تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٤٨ـ ١٩٥٣.

• **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**: لموفق الدين، أبي الحسن علي بن أبي بكر الخزرجي (ت ٨١٢هـ) نشر: محمد بسيوني عسل، ط القاهرة ١٩١١.

• **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: لابن عنبة، جمال الدين أحمد بن عليّ. المطبع الجعفري، لكنو حوالي ١٩٠٠.

• **غاية النهاية في طبقات القراء (طبقات القرّاء)**: لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري. ط مصر ١٣٥١هـ.

• **غياث الأمم في التياث الظلم**: لإمام الحرمين، أبي المعالي الجويني. تحقيق: فؤاد عبد المنعم، ومصطفى حلمي. دار الدعوة الإسكندرية ١٩٧٩.

• **الفاخر**: لأبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم. تحقيق: عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

• **الفتح القسّي في الفتح القدسي**: لعماد الدين الأصفهاني = Cnoquere De la Syrie de la Palestine. Ed. C. Landberg, Leiden 1888.

• **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**: لأبي عبيد البكري. تحقيق: إحسان عبّاس، وعبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٧١.

• **فضائلُ الأندلس وأهلها**: لابن حزم وابن سعيد والشقندي. تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٦٨.

• **فهرس المكتبة الأزهرية**: للكتب الموجودة فيها إلى سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م. إشراف: أبو الوفاء المرافي. ثم ط مزيداً ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

• **فوات الوفيات**: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ط مصر ١٢٩٩هـ، ثم بتحقيق: د. إحسان عباس. ط دار الثقافة ـ بيروت [دت] وطبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٧٤.

• **في سراة غامد وزهران، نصوص، مشاهدات، انطباعات**: لحمد الجاسر، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ١٤).

• **في شمال غرب الجزيرة، نصوص، مشاهدات، انطباعات**: لحمد الجاسر. الرياض ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ١٢).

• **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون**: لابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن

علي الشيباني (ت ٩٤٤هـ). تحقيق: محمد بن علي الأكوع. ط القاهرة ١٩٧٧.

● **القصد والأمم**: لابن عبد البرّ القرطبي، نشرة مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

● **القصيدة اليتيمة المنسوبة إلى دوقلة المنبجي. تحقيق**: صلاح الدين المنجّد، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م. (رسائل ونصوص ٧).

● **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: للقلقشندي، أبي العبّاس أحمد بن عليّ. تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٨٢.

● **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان**: لابن الشعار، كمال الدين، أبي البركات المبارك بن الشعّار الموصلي (ت ٦٥٤هـ). تحقيق: كامل سلمان الجبوري. ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

● **القلائد الجوهرية، في تاريخ الصالحية**: لابن طولون، ط دمشق ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

● **قلائد العقيان**: للفتح بن خاقان، ط باريس ١٢٧٧هـ، ثم ط مصر ١٢٨٣هـ.

● **الكامل**: للمبّرد، أبي العباس محمّد بن يزيد. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة بدون تاريخ.

● **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير. تحقيق: **C.Tornberg**، ليدن ١٨٦٦ـ ١٨٧٦.

● **كنز الدرر**: لابن الدواداري، انظر: الدرّة الزكيّة.

● **لباب الآداب**: لأسامة بن منقذ. ط مصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

● **لحظ الالحاظ (ذيل طبقات الحفاظ)**: لمحمد بن فهد المكي. ط مع ذيل تذكرة الحفاظ لابي المحاسن الحسيني الدمشقي. ط دمشق ١٣٤٧هـ.

● **لسان الميزان**: لابن حجر العسقلاني. ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣١هـ.

● **مجلة الإكليل اليمنية**: السنة ٢/ ١٩٨٣ ع٢ـ ٣ (عدد خاص عن صنعاء).

● **المحبّر**: لابن حبيب، أبي جعفر محمّد، تحقيق **Ilse Lichtenstadter**، حيدرآباد ـ الدكن ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

● **مجمع الأمثال**: للميداني، أبي الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٧٤/ ١٩٥٥.

● **مختار الأغاني في الأخبار والتهاني**: اختيار: ابن منظور محمّد بن مكرّم (١ـ ٨). تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

● **المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)**: لعماد الدين، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ). ط مصر ١٣٢٥هـ. ثم ط دار المعرفة ـ بيروت [دت].

● **مختلف القبائل ومؤتلفها**: لابن حبيب، أبي جعفر محمّد. تحقيق F. Wustenfeld, Gottingen 1850.

● **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**: سبط ابن الجوزي. ج٨، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

● **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: للمسعودي، ط باريس ١٨٦١ـ ١٩٣٠م، وط ١٢٨٣هـ.

● **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: لابن فضل الله العمريّ، (الجزء ١). تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤.

● **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: لابن فضل الله العمري القسم عن ممالك بيت جنكزخان. تحقيق، وشرح، وترجمة Klaus Lech، فيسبادن ١٩٦٨.

● **المستقصى في أمثال العرب**: للزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، حيدرآباد ـ الدكن ١٣٨١/ ١٩٦٢.

● **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المكتب الإسلامي، ودار صادر، تصوير بيروت بدون تاريخ.

● **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**: أيمن فؤاد سيد. مط المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٧٤.

● **المصباح المضيّ في كتاب النبيّ الأميّ ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**: لابن حديدة الأنصاري، أبي عبد الله بن محمّد بن عليّ. تحقيق: محمّد عظيم الدين، بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● **المعارف**: لابن قتيبة، أبي محمّد عبد الله بن مسلم. تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٠.

● **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: لعبد الرحيم بن أحمد العباسي. ط مصر ١٣٦٧هـ.

● **معجم الأطباء من سنة ٦٥٠ إلى يومنا هذا**: أحمد عيسىٰ (ت ١٣٦٥هـ). جامعة فؤاد الأول ـ كلية الطب ١٩٤٢.

● **معجم البلدان**: لشهاب الدين، أبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ). ط دار صادر ـ بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

● **معجم الشعراء**: للمرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، ط مصر ١٣٥٤هـ، ثم تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٣٧٩/ ١٩٦٠.

● **معجم الشعراء، من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م**: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

● **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: للبكري، أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز. تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥.

● **المغرب في حلى المغرب**: لابن سعيد الأندلسي. ط مصر ١٩٥٣هـ/ ١٩٥٥م. وط ليدن ١٨٩٨م.

● **الممتع في علم الشعر وعلمه**: لعبد الكريم النهشلي القيرواني. تحقيق: منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

● **المناسك وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة**: تحقيق: حمد الجاسر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. (نصوص وأبحاث جغرافيّة وتاريخية عن جزيرة العرب ٩).

● **منال الطالب في شرح طوال الغرائب**: لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد. تحقيق: محمود محمّد الطناحي، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

● **المنتخب المدرسي من الأدب التونسي**: لحسن حسني عبد الوهاب، ط مصر ١٩٤٤م.

● **منتقلة الطالبيّة**: لابن طباطبا، أبو إسماعيل إبراهيم بن ناصر. تحقيق: السيد محمّد مهدي السيد حسن الخرسان، النجف ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

● **المنمّق في أخبار قريش**: لمحمّد بن حبيب. تحقيق: خورشيد أحمد فارق، حيدرآباد ـ الدكن ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. (السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١٢٧).

● **المنهج الأحمد في طبقات الإمام أحمد**: لعبد الرحمن بن محمد العمري العليمي.

● **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**: لابن تغري بردي، جمال الدين، أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ). تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد محمد أمين، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٥م، ثم ط الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٨٤م.

● **المؤتلف والمختلف**: للآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى. ط مصر ١٣٥٤هـ، ثم تحقيق: عبد السّتّار أحمد فراج، القاهرة ١٣٨١/ ١٩٦١.

● **المونس في أخبار إفريقية وتونس**: لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني

المعروف بابن أبي دينار، ط تونس ١٢٨٦هـ.

● **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: للذهبي، ط مصر ١٣٢٥هـ.

● **النبوع المغربي في الأدب العربي**: لعبد الله كنون الحسني، ط تطوان ١٣٥٧هـ.

● **النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم**: للمقريزي، أبي العباس أحمد بن عليّ. تحقيق: محمود عرنوس، القاهرة ١٩٣٧.

● **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: للشريف الإدريسي، ط بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

● **نسب قريش**: للمصعب الزبيري. تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٥٣.

● **نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب**: لابن سعيد الأندلسي، عليّ بن موسى. تحقيق: عبد الرحمن نصرت، عمّان ١٩٨٢.

● **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: للمقري، ط مصر ١٣٠٢هـ.

● **نهاية الإرب في فنون الأدب**: لشهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ). ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٣ـ ١٩٨٤م.

● **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**: للقلقشندي، أبي العباس أحمد. تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٩.

● **الوافي بالوفيات**: للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) ط استانبول ١٩٣١م، ثم تحقيق: جاكلين سوبله، وداد القاضي، دوروتيا كرافلسكي، فيسبادن ١٤٠٠ـ ١٤٠٢/ ١٩٨٠ـ ١٩٨٢. ثم طبعة المستشرقين ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م وما بعدها.

● **وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة**: مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٣٤١/ ١٩٢٢.

● **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لابن خلّكان، شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمد. ط مصر ١٣١٠، ثم تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت ١٩٦٩ـ ١٩٧٢.

● **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: لإسماعيل باشا البغدادي، ط استانبول ١٩٥١ـ ١٩٥٥م.

* * *

فهرس المحتويات

MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR

by

Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ʿUmari

Edited by

Kāmil Salmān al-Jubūri

Volume IV

